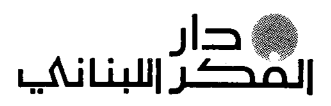
تطوّر النّحو العربي في مدرستَي البصرة والكوفة

تأليف

الدكتور طلال علامة
أستاذ اللغة العربية في الجامعة اللبنانية
كلية الإعلام والتوثيق - معهد الفنون الجميلة

دار الفكر اللبناني
بيروت



للطباعة والنشر

كورنيش بشارة الخوري - بيروت - لبنان
هاتف: ٦٣٠٩٠٦ - ٦٣١٠٠٢ - ٦٣٠٧٥٧
ص.ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠

الطبعة الأولى ١٩٩٣

تَطَوُّر

النَّحْو العَرَبِي

الإهـداء

إلى الراحل المعتوق عالماً ،

زاهداً ، شاهداً بالحق ،

بلاغ بقاء على العهد

طلال

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

إن قلّة الأبحاث المحتكمة إلى المنطق والتجرُّد أمر شاب الدراسات النحوية على الرغم من المكانة التي احتلها علم النحو في تاريخ العرب والمسلمين . الأمر الذي دعا إلى معالجة هذا الجانب باستعراض الأعمال المرافقة لمرحلة التأسيس[١] . إذ أن الحقيقة في نشأة النحو عرضة للأخذ والردِّ بين مدَّعٍ ، ومثبتٍ ، ومنكر ، ومعترض ، ومشترط ، ورافضٍ . قديماً ، وحديثاً .

وبما أن سنة التطور تمدُّ سلطانها أبداً . فقد خضع لها النحو ؛ وهذا رتَّب دراسة التطور في النحو لاستكمال ثالث الحلقات التي بدأت بالطبقة ثم تلتها النشأة .

ومع انتقالنا إلى شق التطور . نشير إلى أن البحث سيهتم فيه بالمسائل العلمية الموزَّعة على حلقاتها الزمنية المنطلقة من القاعدة إلى القمة مع العلماء المتقادمين ، والمتنازحين ضمن الخط النحوي العام . ونحن نلاحظ أن هذا الجانب غائب أيضاً على الرغم من دوره الذي يساهم في نقل الدراسات اللغوية من حيزٍ المزاجية الضيق إلى مستوى الموضوعية الرحب . فيتبين دور الأستاذ والتلميذ بعد تشكّل كل منهما في طبقة خاصة[٢] . وبهذا ينتظم الدور داخل المدرسة الواحدة ، كما يُعرف التقدم الناتج في الدراسة النحوية بشكل تام .

من هنا فإن موضوع الكتاب هو دراسة التطور في النحو . بعرض المسائل النحوية عند العالم الواحد ، ومقارنتها منهجاً ، وأسلوباً ، ودوراً بمثيلها عند العالم

---

(١) راجع كتابنا نشأة النحو العربي ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ١٩٩٢ م .

(٢) راجع كتابنا الطبقة والنحو ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ١٩٢٢ م .

الثاني ، وفي الإطار نفسه إن أمكن . وعرض الموضوع باستقراء متواز متوالد من البدايات مع النشأة إلى النهايات مع الاقتراب من الشكل التام ، وحسب المراحل المتتابعة ثم الحكم عليها ، والتوقف عند المسائل الذائعة الصيت ؛ لمعرفة درجة التطور فضلاً عن الأصالة والتأثر . من هنا سيلاحظ القارىء بعض الإحالات في الحاشية على كتابين هما : الطبقة والنحو ، ونشأة النحو ؛ وذلك لأن التطور يكمِّل النشأة وكلاهما يعتمد على منهجية الطبقات النحوية . تلك المنهجية التي اعتمدها الزبيدي[(١)] في ترجمته لرجال النحو . وهذه الطريقة هي الأدق ، والأصلح ؛ لتتبع التطور كما حدث واقعاً ، لا كما تتصوره مخيلات العلماء ، وأذواقهم الناقدة ، والبعيدة عن الحق في أغلب الأحيان نظراً للخلاف المدرسي الحاد الذي غذَّته العصبية للبلد آنذاك بين البصرة والكوفة . وهذا لا يكون إلّا بالاستقراء الشامل والدقيق ؛ تجنباً للأخطاء التي طبقت المشرق والمغرب ، بعد انتشارها على ألسنة الدراسين وطلاب المعرفة . والتي ينطلقون فيها من حكم مسبق بتقدم البصرة وأصحابها زمناً ، ونوعاً ؛ علماً أن الحقيقة تناهض هذا وترفضه[(٢)] . مع الإشارة إلى أن جديد الدراسة هو في تلازم حدَّيها : التطور العلمي كحد أول يسعى البحث إلى الكشف عنه ، والتسلسل الزمني المبني على الطبقات المختصة بتاريخ العلماء من رجال النحو كحدٍ ثانٍ . لأن كتب الطبقات[(٣)] وإن سجلت تراجم العلماء بدقة ؛ فأنها قد خلطت بين المزاح ، والمكانة العلمية التي أطلقها أحدهم لسبب ما . كما أن بعض الكتب كالإنصاف في مسائل الخلاف[(٤)] ، وإن أضفت كثيراً في مجالها القائم على المنهج المقارن في المسائل النحوية . إلا أنها لم تُحط بدراسة الموضوع انطلاقاً من الترتيب العلمي والمنهجي المتسلسل باعتماد الطبقات . كالذي اعتمدته هذه الدراسة ؛ الأمر الذي مكّن من تحديد انطلاقة التطوُّر ، ورسم حدوده ، وتبيان موقع الإعراب منه ، وتعيين المشاركين فيه كأقطاب وتابعين . فلقد أرسى الأوائل القواعد الكبرى التي رددها تابعوهم . وبهذا تفرّد البحث في الحكم على نتاج سيبويه

---

(١) الطبقة والنحو ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ، والزبيدي هو محمد بن الحسن الإشبيلي المتوفى ٣٧٩ هـ ، عالم باللغة والأدب ومن القضاة . وهو أكبر تلاميذ القالي بعد دخول الأخير الأندلس . راجع فيه الأعلام للزركلي جـ ٦ ص ٨٢ .

(٢) راجع هذا مطولاً تحت عنوان مدرسة البصرة ص١٢٠ . . . .

(٣) راجع كتابنا الطبقة والنحو ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ١٩٩٢ م ، ص ٧٣ ـ ٧٩ .

(٤) لصاحبه الأنباري عبد الرحمن بن محمد توفي ٥٧٧ هـ زاهد عالم بالأدب واللغة من كتبه المشهورة نزهة الالباء في طبقات الأدباء .

بأنه العمل الأهم الذي أحاط بما سبقه من مشاركات نحوية . كما تأكد أن عمله ليس بدعة بين أعمال النحاة كما يرى الباحثون من قدماء ومحدثين . وقد لاحظ البحث التطوُّر المتأثر بالعلوم الدخيلة وهذا ساهم في مناقشة آراء القدماء والمحدثين من مستشرقين وغيرهم رداً لشبهاتهم القائلة بأخذ النحو العربي عن جيراننا الأقربين من سريان ، وعبريين ، وهنود ، وفرس ، ويونان .

وقد جاء شكل البحث كما يلي : مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

مع المقدمة كان المدخل إلى الموضوع وفيها ظهرت الوشائج التي تربطه بالعمل النحوي وأصالة التصدِّي للدراسة من وجهة النظر الخاصة بالبحث . مع ذكر بعض ما وصلت إليه الدراسة من جديد مبتكر في العمل النحوي .

ومع الباب الأول الذي وسمناه بعنوان التطور بين التسمية والمفهوم . تمّت قسمته إلى فصلين اشتمل الأول منهما على التسمية ومعناها في اللغة والاصطلاح . كما تعرَّض الثاني لانطلاقة التطور زمنياً ، وعلمياً فضلاً عن مدى ارتباط الإعراب بالتطور ومفهومه .

ومع الباب الثاني وعنوانه حدود التطور العامة . فقد قسمناه إلى فصلين عالج الأول منهما أسباب التطور وموجباته . بينما عرض الثاني لموجبات التطور المحتكمة إلى : القياس ، والعلّة ، والعامل ؛ كعلامات فارقة في التطور .

ومع الباب الثالث المعنون سمات التطور قسمناه إلى ثلاثة فصول بحث الأول منها ـ وهو أطول فصول الكتاب إطلاقاً لأنه لب الموضوع ـ أمور توصيف التطور فأظهر دور الدؤلي وأعماله ، كما أظهر أعمال تلاميذه ، وركز على دور النظر الشخصي في إيجاد المذاهِب كتطور لافت مع انتصار النحاة لمدارسهم . كما بيَّن الخطوات الفاصلة في سير التطور ، وحدَّد مكانة كتاب سيبويه فضلاً عن الأعمال الركائز في مدرستي البصرة والكوفة ، وتحدث عن أمور القياس ، والعلّة ، والعوامل والمعمولات ، والمصطلحات ، إلى جانب استقلال النحو بالبحث ، وتغيير برامج الدراسة ، وتعدد أماكنها من البادية ، إلى المجالس الخاصة ، والمساجد ، والأسواق ، والكتَّاب . وفي الثاني عرض البحث لأمور الإعراب ، والآراء فيه عند العرب ، والمستشرقين مع الطاعنين بالأصالة ، والقائلين بها . وفي الثالث عرض البحث لأصالة النحو العربي ومدى علاقته بغيره عند الشعوب المجاورة من سريان ، ويونان ، وعبريين ، وفرس ، وهنود .

ومع الباب الرابع وعنوانه دراسة التطور قسمناه إلى ثلاثة فصول .

حدَّد الأول منها المنهج في دراسة التطور كأساس معتمد لتبيان درجة التطور . بينما تحدث الثاني عن التطور الحاصل مع أعلام مدرسة البصرة واحداً واحداً طبقة طبقة . أما الثالث فقد عرض للتطور الحاصل مع أعلام مدرسة الكوفة واحداً واحداً طبقة طبقة . ومع الخاتمة ينتهي البحث بنتائجه التي أكتشفها .

وأخيراً أدعو الله أن يسد خللي إن قصرت فكل اناء ينضح بالذي فيه . فإن لاقى العمل استحساناً فهو المطلوب ، وإلاَّ فإن فوق كل ذي علم عليم .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

البـاب الأول
التطور بين التسمية والمفهوم

الفصـل الأوَّل

مدلول التطور

إن البحث في موضوع «تـطوُّر النحو» يفـرض علينا البحث عن معنى كلمـة «تطوُّر» ومدلولها على حدة . بعد أن بحثنا ذلك مع كلمة «نحـو»[1] ، لنتمكن من تحديد مدلول ، العبارة ومفهومها . لأنها تمكِّننا بدورها من تحديد الغاية التي يحاول البحث إيضاحها منهجاً ، وأسلوباً ، ودوراً ، وغاية . كما تمكِّننا من معرفة الحدود المعنوية التي يشملها البحث في «تطوُّر النحو» من بين المعاني المتعددة التي يضمها الجذر في أساس وضعـه اللغوي ، واستعمـاله الاصـطلاحي . وبناءً عليـه نتمكن بالاعتماد على المعنيين : اللغوي من جهة ، والاصطلاحي من جهة أخرى لكلمة «تطوُّر» ، مع استنتاج بعض الأمور المهمَّة .

١ ـ مع المعنى اللغوي :

تفيدنا العودة إلى لسان العرب ما يلي[2] :

«التطوُّر هو التارة والحال ، وجمعه أطوار ، والأطوار : الحالات المختلفة ، والطور بين الشيئين» .

ونحن نعلم عبر مباحث الاشتقاق أن فعل «تَطَوَّرَ» على وزن «تَفَعَّلَ» ونعلم أيضاً أن صيغة «تفعَّل» مزيدة بحرفين هما : التاء الداخلة على الفعل حرفاً ، من أحرف الزيادة ، والحرف الثاني هو تكرار عين الفعل . كما نعلم أن معـاني صيغة تفعّـل متعددة ومنها : التكلُّف ، والاتخاذ ، والتكرار ، ومع ملاحظتنا أن معنى «التطوُّر» في

---

(١) راجع كتابنا نشأة النحو العربي ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ١٩٩٢ ص ٢٣ ـ ٢٥ .
(٢) ابن منظور ، **لسان العرب** ، جـ ٤ ص ٥٠٧ .

الاشتقاق من «الطور» وهو «كالتنسُّك» من «النُسك» و«التهرُّب» من «الهرَب»، والتطرُّف من «الطَرَف». نستطيع أن نقول: إن التطوُّر هو تكرار الطور، واتخاذه وسيلة، وانتهاج نهجه، وتنفيذه. وبعبارة أوضح هو: «التغيير المتتابع والمدروس من حال إلى حال، ومن شكل إلى شكل على سبيل التكلُّف والاتِّخاذ»[1].

٢ - مع المعنى الاصطلاحي:

أما من ناحية معنى التطوُّر في الاصطلاح، فسنعود في أمر تعريفه إلى «نظرية التطوُّر»، وعليه يمكن القول:

إن التطوُّر في موضوع ما يعني التقدُّم الإيجابي والانتقال المثالي من حال إلى أخرى، ومن شكل إلى آخر، باعتماد الأساس الأوَّل نقطة انطلاق وبداية.

ومع مقارنة المعنيين: الاصطلاحي، باللغوي. نتمكَّن من ملاحظة الفائدة اللاحقة باستعمال كلمة «تطوُّر» وفق منظور حديث. إذ يدور المعنى في كل من الوضع والاصطلاح على التغيُّر من شكل إلى شكل ولكنه يعني إلى جانب الأصل الذي بدأ منه مع الوضع اللغوي وهو: الحال، والحدُّ؛ التوجه نحو الأحسن، والأفضل، إضافة إلى الفائدة الملحوظة إصطلاحياً وهي التقدُّم المتدرِّج والتنامي بصور متلاحقة موزَّعة على درجات معينة بحسب المراحل والأزمنة. نقول هذا دون أن تفوتنا الإشارة إلى أن القدماء لم يستعملوا كلمة «تطوُّر»[2] بمدلولها الحديث نفسه، بل لم يفهموا معناها الإيجابي المبني على الانتقال المتدرِّج، والمتلاحق من شكل إلى شكل.

---

(١) تم اللجوء إلى هذه العملية المتعددة الروافد لخلو أمات معجمات اللغة المتقدمة من معنى التطوُّر باعتباره دخيلاً مستجداً، وليس أصيلاً. ولذا تمَّ مراعاة المصدر «التطوُّر» ثم مقارنته بغيره بحسب الاشتقاق والميزان الصرفي للوصول إلى المعنى اللغوي الدقيق لكلمة «تطور»، بشكل علمي منهجي ومدروس. وراجع في الأمور الصرفية المذكورة لابن الحاجب، **شرح الشافية**، لمحمد بن الحسن الاستراباذي، جـ١ ص ١٠٤. أما المعجمات الحديثة فقد تعرضت للمعنى، راجع محيط المحيط للبستاني مادة طور، ومتن اللغة لأحمد رضا.

(٢) استعمل المتقدمون كلمة طور بمعنى المرحلة والحال في لسان العرب، وأساس البلاغة والقاموس المحيط والمصباح المنير وجمعوها على «أطوار» بما يقابل معنى الحالات والحدود بصور جافة غير منتظمة. أي بمعنى آخر بصور لا تتعدى معنى الاختلاف. أما نحن عصرياً فنفهم كلمة «تطوُّر» أنه الاختلاف بين شكلين: سابق، ولاحق مع التقدُّم نحو الأفضل، والأحسن.

وبناءً عليه نقول : إن التطوُّر في النحو هو الارتقاء الإيجابي من حدٍّ ممارس إلى حدٍّ آخر ، ومن شكل جيد ، أو حسن ، أو عادي إلى شكل آخر أكثر جودة ، وجِدَّة . ومن مرحلة علمية معيَّنة إلى مرحلة أخرى أكثر تقدُّماً ، وملاحظة ، وأعمق دلالة ، ودوراً ، وفائدة . ودراسة التطوُّر تعني دراسة الحدود الفاصلة بين المراحل المتعاقبة بين النشأة الأولى لعلم النحو ونضجه ، بتسجيل التطوُّر علمياً في المسائل المهمَّة بالموضوع والمتعلِّقة به ، ومقارنتها بعضها ببعض وملاحظة أثر العلوم الأخرى فيها فضلاً عن بقية المؤثرات التي أسهمت في تطوُّر النحو . وملاحظة أدوار العلماء في إيجاد البناء النحوي العام ؛ بالتركيز على الحد ، والشكل والمرحلة ، لأن الحد هو الفاصل الزمني في دراسة تبيِّن مراحل التطوُّر المرتبطة بالزمن . لمعرفة الحدود ، والفواصل بين المراحل بحسب تواريخها الفاصلة بينها . والشكل هو الاختلاف في الممارسة الفنيّة والعلمية من حيث المعالجة المستجدَّة للمسائل الجديدة : كالاعتماد على السليقة ، لإعراب القرآن . إلى جانب الاعتماد على العلم المستحدث لهذه الغاية مع الدؤلي[1] ، ووضع حركات الإعراب ، وعلاماته ، مع الدؤلي أيضاً[2] ، واستحداث بعض الأبواب النحوية ، لمعالجة بعض اللحون الطارئة[3] ، مع أبي الأسود كذلك . والمرحلة من حيث استنتاج القواعد ، وتقعيدها من خلال استقراء الواقع اللغوي الصحيح في الاستعمال ، باعتماد السليقة السليمة : كالتوسُّع في النحو ، والقياس والعوامل ، والعلل ، وقد كانت هذه الأمور في ست مراحل[4] متلاحقة نسردها بحسب تقادم وفاة أصحابها كالتالي :

١ ـ الأولى مع الدؤلي .
٢ ـ الثانية مع تلاميذ أبي الأسود .
٣ ـ الثالثة مع تلاميذ التلاميذ (مع الحضرمي) .
٤ ـ الرابعة مع التأليف النحوي العام (مرحلة عيسى بن عمر) .
٥ ـ الخامسة مع كبائر الثقات (أبو عمرو بن العلاء والخليل ، ويونس) .
٦ ـ السادسة مع سيبويه .

---

(١) راجع كتابنا نشأة النحو العربي ص ٣٥ ـ ٤٠ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٥٤ ـ ١٥٧ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٤٧ ـ ١٥٧ .
(٤) سنؤجِّل الحديث عن هذه المراحل لأنها ستبحث لاحقاً ومطولاً راجع الصفحة ٥٨ وما يليها من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

مفهوم التطور وحدّه

١ ـ تحديد انطلاقة التطوُّر زمنياً :

في ضوء ما تقدم مع المعنيين «اللغوي» و «الاصطلاحي» وانطلاقاً من مدلول كلمة «تطوُّر» في كل منهما ، يمكننا أن نلقي الضوء على موضوع غاية في الأهمية . وهو تحديد بداية التطوُّر ، أو تحديد الفترة الزمنية التي انطلق منها التطوُّر مع وجهة النظر الخاصة المتعلقة بالموضوع .

ليس يخفى أن دراسة «تطوُّر النحو» أمر مستحدث فرضته المنهجية العلمية الحديثة لمعرفة المراحل المتعاقبة التي مرَّ فيها النحو دون قفزات بهلوانية ، تترك حلقاتها في الغالب ، أجزاءً كثيرةً ، دون مسح ، أو دراسة وأنها في الوقت نفسه دراسة استقرائية توافق الواقع ، وتطابقه ، وتسعى إلى نقله على صورته الحقيقية ـ وإن ظُنَّ أنها تخالفه من حيث التسمية ، والغاية في العمل لحجَّة عدم معرفة القدماء ، بمدلول كلمة «تطوُّر» ، وعدم استعمالهم لها ، كما نفهمها نحن الآن[١] تلك الموافقة التي نستطيع أن نلاحظها من خلال مقارنة مفهوم عبارة «تطوُّر النحو» ـ بحسب مدلولها الحالي ، بأعمال النحاة على أزمانهم ، ومدارسهم . حيث يتأكد لنا أن القدماء قد استوعبوا مفهوم التطوُّر ، ومارسوه عبر ملاحقة المستجدَّات ، والاهتمام بها . وعبر تحملهم لمسؤولية التعليم ، والإقراء ، والتوجيه ، والتصدِّي للمسائل إن وقعت «كابراً عن كابر» . وإن لم يعبِّروا عن هذا المفهوم بالعبارة نفسها التي نعبِّر بها عنه .

---

(١) بحث الموضوع في ص ١٣ و ١٤ من هذا الكتاب حيث الحديث عن المعنيين اللغوي ، والاصطلاحي لكلمة «تطوُّر» .

ولذا وإن لم يقصد القدماء إليه مباشرة ، وعمداً ، أي وبعبارة أوضح ، على الرغم من عدم تعمُّد الأقدمين إقحام اسم التطوُّر ، أو العمل بمقتضاه عنواناً شاملاً ، أو مبدأً عاماً ـ لعدم معرفتهم به ، وبمدلول لفظه ـ فإنَّا نستطيع أن نقول : إن التطوُّر ، كان موضوعاً أصيلاً في أعمالهم التي حاول كل منهم أن يترك عليها أثراً من نفسه ، وفكره وروحه ، بصورة غير شعورية . ـ وهذه من فضائل العلم التي يدفع إليها أصحابه بعد طول مذاكرة ، ومدارسة ، ومفاتشة ـ كما نستطيع القول : إن التطوُّر كان موضوعاً ذاتياً أصيل الدوافع ، والأبعاد ، والتحرُّك ، والحصول . فهو يحرِّك نفسه بتأثير طبيعة الموضوع ، وتأثير كثرة العاملين به ، وتأثير التطوُّر الحياتي الشامل ، والاختصاص الذي يساعد على توجيه الأنظار تجاه التقدُّم المستمر .

ولذلك وبناءً على ما تقدَّم أعلاه . يمكننا القول : إن موضوع «التطوُّر في النحو» لم يكن أبداً أمراً طارئاً محدَّداً بزمن فاصل يشكل حدّاً قائماً بين زمن سابق ، وآخر لاحق . كي نستطيع معه أن نتحدَّث عن بداية له بعد عدم وجود أو بعد تقليد . كالحديث مثلاً عن التطوُّر الحاصل بين البدايات النحوية الأولى مع أبي الأسود الدؤلي ، وبين استواء البناء النحوي الكامل مع سيبويه ، أو القريب من الكمال . لأنَّ هذا مستحيل في الموضوع اللغوي ، والنحوي . اللذين يرفضان العمل بمقتضى الطفرات المفاجئة ، لأنهما يستدعيان الاستقراء ، والانطلاق من الواقع اللغوي الممارس ، لا من فرض القواعد ، وتعميمها على الناس ليلتزموا بها . وإنما هو ذلك التطوُّر الذي نتحدث عنه مع مراقبة النضج في الممارسة النحوية ، وذلك التعمُّق في فهم المسائل الأمر الذي نراه رافق البدايات النحوية الأولى على نوعيها : الفني والعلمي[1] ـ منذ عُرف النحو ، وعرفت معه الممارسات والمباحثات فيه . أي مع تلك المباحثات الأولى التي وصلتناأخبارها ، والتي جمعت بين علي ، والدؤلي ، والتي أكَّد الجميع من المتقدمين حصولها ، والتي شكَّلت بداية التحول تجاه النحو العلمي ، بعد أن كانت الممارسة النحوية فنية سليقية بحتة . وهذا مما يجيز لنا أن نقول : إن مجرَّد ممارسة النحو ، وتقعيد قواعده ، أو قل إن مجرَّد الحديث عن وضع علم ، وقواعد مهما كان ذلك العلم ، وتلك القواعد بدائية بالنسبة إلى ما انتهى البناء النحوي إليه لاحقاً من علوٍّ ، وتقدّم ، هو تطوُّر ، ورقي بملاحظة مرحلة النحو الفني السابقة ، وغير المحدَّدة بزمن لاستحالة تأريخها ، لأنها قديمة بمرافقتها لمراحل الوعي اللغوي الضاربة في القدم . وهذا يؤكِّد ما سبق ذكره[2] .

(١) راجع كتابنا نشأة النحو العربي ص ٣١ ـ ٣٣ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢٩ ـ ١٣١ و ص ١٣٢ ـ ١٣٨ .

٢ ـ تحديد انطلاقة التطوُّر علمياً :

بعد تحديدنا لانطلاقة التطوُّر زمنياً بتعيين الفترة التي سجَّلت بدايته . ينبغي تحديد أشكال انطلاقته علمياً . لأن مدار البحث هو الحدود الفاصلة بين الأشكال ، والمراحل المختلفة نظراً لطبيعة العمل ، وشكل الممارسة ، والتأثُّر بالعلوم الدخيلة ، والجديدة ، والإفادة من العقليات المتطوِّرة بعامل التقدُّم الفكري ، والإنساني . وهذا كلُّه من أبحاث التطوُّر ، ومستلزماته .

إن الأخبار التي سجلتها الروايات المتواترة في كتب الطبقات . والتراجم ، والوفيات ، وتاريخ النحو ، والتي أجمعت الآراء على صحتها . تقدِّم لنا صورة وافية عن موضوع «تطوُّر النحو» خاصة عند ذلك التحوُّل المهم من النحو الممارس بالشكل الفني السليقي ، إلى الشكل الثاني الممارس ، بالعلم والدراية. . .[1] حيث تتهيأ لنا الأدلة السندية التي تمكننا من تحديد الأشكال العلمية في البدايات النحوية الأولى ، والتي تمكننا بدورها من تحديد عمليات التطوُّر الداخلة ، والمستجدة على الصرح اللغوي العام ، والنحوي الخاص . فبعد أن كانت الممارسات محصورة بالطور النظري ، انتقلت إلى الطور التطبيقي ، والقائم على ملاحظة المؤثرات في أشكال النطق ، والتعبير ، والتي ذكرت تحت عنوان الحروف ، وأسباب الرفع ، والنصب ، والجر[2] . إضافة إلى أقسام الكلمة ، وعلامات كل قسم . وهي ما سميناه بالحدود العامة . هذا التحديد والوضع ضمن الأطر . هو المرحلة الأولى من التطوُّر حيث تمَّ وضع القواعد الأولى التي نقلت النحو من طور سمعي سلبقي إلى طور آخر يعتمد على المبادىء التي تصون من اللحن ، والفساد ، وهذه هي المرحلة الأهم لأنها تشكل الحد بين ما سبق وما لحق من ممارسات نحوية . أو قل هي المرحلة التي عيَّنت الحد الأكثر وضوحاً ، وبروزاً من غيره بملاحظة المنهج والأسلوب وملاحظة تغيُّر أشكال الممارسة السابقة عنها في اللاحقة . فبعد أن كان النحو فناً ، وعملية شعورية تقوم على أساس التحسُّس اللغوي بالأشكال التعبيرية التي تُؤدى بها لغة العرب . ولهجة قريش بصورة بحتة . يبدأ التحوُّل تجاه ممارسة أخرى للعلم فيها دور كبير ، وللأسس المستندة فيها إلى المبادىء اللغوية الصحيحة دور أكبر . وبعد أن كانت العملية النحوية ذوقية ، سليقية صرفة ، أصبحت تحتكم إلى جانب الذوقية (الفصاحة ، والبلاغة ، واستعمال الألفاظ الشائعة ، أو الغريبة) على بعض المبادىء

---

(١) راجع كتابنا نشأة النحو ص ٣١ ـ ٣٣ و ص ١٣١ ـ ١٣٦ .

(٢) راجع كتابنا نشأة النحو ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

المـأخوذة من واقـع الاستعمال ، والمعتمـدة على الأصول التعبيـريـة ، واللفـظيـة الصحيحة . في عملية تقنينها لأصول النطق .

وعليـه نضيف إلى مـا استنتجنـاه لغـويـاً من معنى التـطوُّر في الـوضـع ، والاصـطلاح . ما استنتجنـاه منهجياً من هـذا العرض المتقـدِّم ، لانطلاقـة التطوُّر علمياً . لتقدِّم لنا هذه الإضافة نتيجة علمية في غاية الأهمية وهي : أن التطوُّر في هذه المرحلة[١] يعني إيجاد القواعد في النحو مع علي ، وتلميذه الدؤلي بعد أن كان النحو يمارس قبلهما ، كما كان الأمر مع العروض قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي[٢] . من حيث الاعتماد على السليقة ، والتقليد . إضافة إلى استنتاجنا أن التقعيد للقواعد ، كان الخطوة الأهم في الوضع على طريق التطوُّر المتعمد ، والمدروس والمقصود ، ليكون السبيل الأوحد ، للقضاء على الفساد .

٣ ـ هـل الإعراب تطـوُّر :

عودة سريعة إلى نتائج البحث عن الإعراب في اللغة والاصطلاح . ترينا أن الإعراب يقف من موضوع التطوُّر موقفين متناقضين : هو في شق منه أصيل أصالة التعبير السليم في اللغة العربية ـ ذلـك المستوى المتـطوِّر من اللغة الفصحـى ـ والذي بلغته اللغة بعد مراحل طويلة نتخيلها بحدسنا ضاربة في القدم ، لعدم وجود الوثائق المتحدِّثة عن الموضوع غير ما نملكـه عن اختلاف اللهجـات ، أو أشكال التعبير ، وعلامات الإعراب ، وحركاته ، بالحروف ، والحركـات . وهو في الشق الثاني ، مستجد طارىء ، بملاحظة أنه تطور دعت إليه الحاجة ، ودعا إلى إيجاده العوز[٣] .

أما في الشق الأوَّل ، فمما لا شك فيه أن مدلول كلمة «إعراب» في اللغة[٤]

---

(١) هذا باعتماد ما قررناه في ص ١٦ و١٧ من هذا الكتاب من عدم اعتماد نقطة زمنية واحدة أو معينة لبدايات التطوُّر لأن هذا العمل لم يتحدَّد بزمن ولا بأمر وإنما هو نشاط مستمر وعمل دائم تجاه الأجود والأحسن .

(٢) هو العالم الكبير والمشهور من أزد عمان ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي في البصرة بعد ولادته وحياته فيها عام ١٧٥ هـ درس على يدي عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وتعلَّم العلوم الرياضية والفلسفية والمنطقية وهو صاحب علم العروض وواضح صرح النحو الأتَّم . وصاحب الفضل على العربية ونحوها وصرفها . زاهد بالدنيا اكتفى بالقليل راجع فيه **الأعلام** جـ ٢ ص ٣١٤ ولقد عرضنا بعض أعماله المتعلقة بالنحو والصرف بتوسُّع راجع الصفحة ٣٧ من هذا الكتاب .

(١) راجع كتابنا نشأة النحو العربي ص ١٤١ ـ ١٤٧ .

(٢) جاء الحديث في هذا الموضوع في كتابنا نشأة النحو العربي ص ١٠٨ وما بعدها .

يدل بصورة واضحة على أصالة الإعراب في البناء اللغوي وقدمه ، خاصة مع مراعاة استحالة فهم الحديث بدونه . لا سيَّما مع تلك الصيغ التي يستحيل فهمها من دون إعرابها . لأنها بنيت أساساً على قواعد الإعراب المبني على حدود الإبانة ، والإظهار ، والإفصاح ، والإيضاح . هذا إضافة إلى الدليل الذي يمكن استخلاصه من تأخر وضع «علم النحو» ، عن وضع اللغة . حيث تمَّ وضع العلم بعد فساد السليقة ، والحاجة إلى التعلُّم ، وبعد انتشار اللحن بالإعراب في حركات أواخر الكلمات رفعاً ، ونصباً ، وجرًّا . بعد المرحلة السابقة والتي عُرفت بالسلامة اللغوية التعبيرية قياساً على الفساد المستجِّد ، والطارىء .

أما في الشق الثاني ، فواضح انتماؤه إلى التطوُّر بما تحمله كلمة إعراب في الاصطلاح[١] من مدلول نرى معه أن الإعراب شيء معنوي تدل عليه الحركات المعبر عنها بالعلامات شكلاً : فوق ، الحرف وتحته ، وبين يديه . وهو الأمر الذي لم يعرف إلا مع الدؤلي ، بعد تنبيه علي له ، للحاجة الماسَّة إلى تحويل الحركات اللفظية إلى علامات تدفع إلى الإعراب ، وتبيِّن الحدود الداعية إلى الرفع ، والنصب ، والجر[٤] .

(١) في هذا الموضوع ما جاء في متن الصفحتين ١٥٢ ـ ١٥٣ من كتابنا نشأة النحو العربي .

البـاب الثـانـي

حدود التطوُّر العامَّة

الفصل الأول

أسباب التطور وموجباته

١ ـ الانفتاح على الصعد المختلفة :

بدهي أن لكل شيءٍ سببه الذي يدعو إليه ويوجبه ، وإنّا لا ننكر التأثر ، والتأثير في الحياة الاجتماعية خاصة بين شعبين أحدهما يفوق الآخر تطوراً ، وحضارة ، ولذا فإن مجرد المخالطة هي دعوة صريحة ، وسبب مباشر لسيرورة عملية التطور .

خرج العرب المسلمون من حدود جزيرتهم العربية ناهضي الهمة ، موحدي الرأي ، ناشرين للإسلام الذي وحّدهم بعد تفرقهم على قبائلهم المتناحرة . داعين من دان من الشعوب لفارس ، وروما في العراق ، والشام ، ومصر[١] . إلى الدخول تحت لواء الدين الجديد ، وهم بداة ، قياساً على ما كانت الحضارة عليه في العالم الخارجي ، إلا من كتب له مغادرة الجزيرة للإتجار ، والتزود بالبضائع . وبدخولهم أرض العراق ، والشام خاصة . انفتح أمام المسلمين باب الحضارة على مصراعيه ، وقيض لهم لدخولهم منتصرين فاتحين سيطرة تامة . انتهت بوصول مقدِّرات البلاد المفتتحة إلى أيديهم ، حيث أخذوا يتأثرون تأثراً واسعاً بالحضارات التي كانت تحت متناول أيديهم . وقد مكنهم من ذلك ما انتهى إلى أياديهم من أموال ، وفيءٍ ، وغنائم ، وما كتب لهم من عطاء ثابت من بيت المال . فأترفوا بسرعة ، وتمكنوا من ارتقاء سدة الحضارة ببراعة ، وإجادة ، وشمول عمَّ مختلف الصعد : السياسي منها ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، والإنساني .

(١) المناطق الأولى التي افتتحها المسلمون ودخلت تحت حكمهم في النصف الأول من القرن الهجري الأول . وفيها كانت عملية المخالطة بين العرب المسلمين وسكان البلاد الأصليين تتم بصورة منتظمة حيث تعرّف المسلمون إلى العلوم الدخيلة ، وانفتحوا على الحضارة .

أما على الصعيد السياسي ، وهو الأهم لأنه أول ما يهتم بعد الفتح . فلقد انتهت مقاليد الأمور إلى أيدي الفاتحين من العرب المسلمين . وحري بالقادة أن يلوا أمور الناس بما يسهم في تحسين أمورهم من خلال إقامتهم بينهم لحكمهم ، ولنشر تعاليم الدين الجديد . ودار الإمارة كما هو معلوم عند الفرس ، والروم ، الأوسع ، والأفخم ، وأهل البلاد وأصحابها هم الأوْلى بـإشـادة هـذه الـدور ؛ لتحضرهـم ، وتمكنهم من فن العمارة . ولذا نزل الامراء عنـد هذه الـرغبات التي أملت نفسهـا عليهم ، بعـد أن دهشوا بمعـطيات الحضـارة في العراق ، والشـام . فـابتنـوا دور الإمـارة ، واتخذوا الحجّـاب ، والشُرط ، وأقـاموا الـدواوين لتنظيم أمـور الـدولـة الناشئة . كما يقول ابن خلدون[1] : «اِعلم أن هذه الأطوار طبيعية للدول فإن الغلب الذي يكون به الملك إنما هو بالعصبية . . . ثم إذا حصل الملكُ تبعه الرفه ، واتساع الأحوال ، والحضارة. . . »[2] . وهذا كله من معطيات الحضارة المستفادة من نظامي الحكم ، والسياسة اللذين كانا سائدينِ في فارس ، والشام قبل الإسلام . وفيه يقول ابن خلدون أيضاً : «وأهل الدول أبداً يقلدون في طور الحضارة ، وأحوالها للدولة السـابقة قبلهم. . . ومثـل هذا وقـع للعـرب لمـا كـان الفتـح ، وملكـوا فـارس ، والروم»[3] .

أما على الصعيد الاقتصادي ، ويلي في الأهمية الصعيد السياسي ، فلقد أسهم أيضاً في عملية التطور ، وكان له الدَّور المهم فيها . فقد وصلت إلى حكومة الخلافة الأموال الطائلة ، مما أسهم في التوسيع على أبناء المجتمع الإسلامي الناشىء من النواحي الحضارية ، فابتنيت البيوت للمسلمين الفاتحين ، وطلبت الحضـارة التي بهرتهم معطياتها في العراق والشام . وهجروا حياة التقشف ، والبداوة ، والخشونة ، واتخذوا الإماء ، وتوسعوا في ابتناء مواضع اللهو ، وأماكن الشراب ، وبيع الخمر ، وتجارة الرقيق ، التي راجت بشكل كبير ، وتوسعوا في أمور دنياهم ، وألمُّوا بأمور الزراعة ، والصناعة الحرفية ، والخدمات البسيطة المتعلقة بأمورهم الحياتية . بعد أن كانوا يرون العمل بها عيباً لا يغتفر . فانعكست هذه الممارسات على حياتهم ، وتركت هذه الأمور أبلغ الأثر على الواقع الاقتصادي . إذ شاركت في زيـادة دخل الفرد ، كما شاركت في القضاء على الحالات الاجتماعية الناشئة عن قلّة ذات اليد ،

---

(١) عبد الرحمن بن محمد المؤرخ المشهور ، والبـاحث الاجتماعي ، من أشهـر كتبه تـاريخه والمقدمة منه **بشكل خاص** راجع فيه **الأعلام** جـ٣ ص ٣٣٠ .

(٢) ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص ١٧٢ ، فصل انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة .

(٣) م . ن . والصفحة نفسها في وسطها السطران الرابع والخامس عشر .

والبطالة ، وزادت في ارتباط الإنسان بأرضه ، ومحل إقامته . وهذا كله مما ساعد على نقلة مهمة بالمجتمع الإسلامي الناشيء ، من طور حضاري ، إلى طور حضاري آخر .

أما على الصعيد الاجتماعي ، وهو في المرتبة الثالثة في الأهمية بعد الصعيدين : السياسي ، والاقتصادي فله بدوره أهميته وأثره على موضوع التطور . فلقد كان للاختلاط السكاني العريض ، والواسع بين العرب ، والفرس من ناحية ، والعرب ، والروم من ناحية ثانية . آثار واضحة ظهرت عبر الأشكال الحياتية الجديدة التي يمكن أن توصف بأنها ليست بالعربية الصرف ، ولا بالفارسية الخالصة ، أو الرومية كذلك . ولقد ظهرت هذه الآثار عبر أنواع الأطعمة ، والملابس ، وغيرها من الأمور الحضارية الأخرى التي تترتب على الحضارة . وفي ذلك يقول ابن خلدون : «وتطوروا بطور الحضارة ، والترف في الأحوال ، واستجادة المطاعم ، والملابس ، والمباني ، والأسلحة ، والفرش ، والآنية وسائر الماعون»(١) .

أما على الصعيد الإنساني السكاني . وهو الأخير فقد نتج عن التمازج السكاني الهائل بين العرب المسلمين ، وغيرهم من سكان بلاد العراق ، والشام بالزواج منهم . والإصهار إليهم ؛ أن سرت العادات : الفارسية ، والرومية ، إلى العرب عبر المخالطة والمعايشة ، وظهر ذلك عبر اتخاذهم للحوانيت ، ودساكر الخمرة ، وملاحقتهم للمسرَّات ، والمباهج كطلب الاستماع للمغنين ، والمغنيات ، واقتناء العبيد ، والاماء ، والخصيان ، والجواري ، مما لا شأن للمسلمين في تاريخهم قبل العصر الأموي به . وهذا كما لا يخفى مما حرص العرب على تقليد الفرس ، والروم به تحت عامل التأثر بالمعطيات الدخيلة الجديدة . وقد شاركت هذه الأمور الحياتية المكتسبة ، غيرها من الأمور العلمية ، والثقافية في تطور المسلمين الذين بلغوا من التطور ، والتقدم ، قياساً على ما بلغوه ، وما تمكنوا من الانتهاء إليه مع الجاهلية ، وصدر الإسلام مبلغاً عظيماً . مما ترك أثره الواضح على مخيلاتهم ، وعقولهم ، فشحذها ، وشدها قدماً ، تجاه العطاء الخلّاق المبتكر .

٢ ـ العلاقات الثقافية(٢) :

كانت العلاقات بين العرب المسلمين الفاتحين ، وبين أهل الأمصار المفتتحة

---

(١) ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص ١٧٢ أسفل الصفحة الأسطر الثلاثة الأخيرة .

(٢) الموضوع عالجه مطولاً فيليب حتي ، في **تاريخ العرب المطوَّل** ، ص ٣٦٣ ـ ٣٨٤ . تحت عنوان «العباسيون في عصرهم الذهبي» .

في المقام الأول مقصورة على علاقة الحاكم بالمحكوم ، أو علاقة الداخل في الدين للتعرُّف إليه بعد جهل به . ولذا انحصرت الأمور في البداية ، أو في المراحل الأولى بالمناحي الحياتية المـاديّة التي تستـدعيها الحيـاة المشتركـة ضمن البقعة الـواحدة لخضوعها لقاعدة علاقة الفاتح الحاكم بالمحكوم من دون الأمور الثقافية ، وذلـك لأسباب متعدِّدة نذكر منها : تلك الحساسـة التي تعقب السيطرة ، والغلبة على سكان البلاد الأصليين في المرحلة الأولى ، بين الغالب ، والمغلوب : الأوَّل لأنه دخيل طارىء ، والثاني لأنه مهزوم مرغم ، وهو الأصيل المالك . ومنها إحساس السكان الأصليين بـالغبن ، لاضطرارهم إلى إطـاعة من هم أقـل منهم مكانـة في العـرف الحضاري ، ومنها شعور المسلمين بالغلبة لأنهم منتصرون عسكرياً ، وعرف الأمور أن يسيِّر المنتصرُ المنهزمَ ، وأن يفرض عليه شروطه ، ومنها لأن المسلمين يبشرون بدين جديد لا يعرفه الداخلون فيه . ولذا عليهم أن يتلقوا أولاً خوفاً من الإساءة إلى الدين عن غير ما قصد منهم . ولكن الدخول السريع في الإسلام ، والإقبال الدائم على الدين الجديد لما وعد به أهله من المساواة ، غيّر القاعدة فأقبل النـاس على التعرُّب فضلاً عن الإسلام ، وبدأ اللسان العربي يشيع بين شعوب قريبة ، وبعيدة ؛ لما وفّره نظام الولاء الجديد .

وبعـد أن تمَّت الفتوحـات عاش العـرب ، والموالي حيـاة مشتركـة كما في البصرة ، والكوفة ، والشام ، والفسطاط ، حيث قدَّم السكـان من فرس ، وروم ، خبراتهم الفنية في مجال الزراعة ، والحرفيات وفي مجال تنظيم الدولة عبر الدواوين فأفادوا العرب المسلمين مادياً أولاً : عبر الحرفيات الجديدة على معارفهم اليدوية ، وما يستخدمونه من أدوات هيأوا لهم استعمالها ، بعد أن بيّنوا لهم وسائل صناعاتها ، وفضائلها . كما هيأوا لهم ما احتاجوا إليه من أمور دنياهم ، ومعاشهم في النواحي العسكرية ، والمدنية مثلما حدث مع معاوية عند استعانته بسكان السواحل من بلاد الشام ، ولبنان بشكل خاص في بناء الأساطيل البحرية لمواجهـة أساطيـل الروم ، وحلفـائهم . وثقافيـاً ثانيـاً : عبر إسهـامهم بتعاملهم مـع العرب المسلمين ، بعـد تعرُّبهم ، ودخولهم في الإسلام ، وتعلمهم اللغة العربية لغة الوحي ، والصـلاة ، والكتاب . بإعارة العربيـة بعض الأسماء للمسميـات التي لم يعرفهـا العرب طـور بداوتهم ، وعرفها الفرس ، والروم . والتي ظلَّت على أصولها الأعجمية في التلفُّظ خاصة في مجال الأطعمة ، والأشربة ، وأمور الحضارة[١] .

---

(١) نقل العرب كثيراً من الألفاظ نذكر منها للتمثل وليس للحصر : الكوز ، والجرّة ، والإبريق ، =

وبعد أن استتبت الأمور للعرب الفاتحين ، وبعد أن تقدموا في الحضارة شوطاً معيناً مكّنهم من هضم علومهم الإسلامية الوجود والتاريخ ، وبعد أن تمكّنوا من التحوُّل من الأميَّة المطبقة والمنتشرة ، إلى أمة تطلب العلم ، بعامل الدين الذي حضّهم على ذلك . اندفعوا يطلبون ما لدى الأمم الأخرى من معارف نظرية فضلاً عما قبسوه من معارف تطبيقية ـ وهذه هي السنّة الطبيعية في التحضُّر الإنساني ـ فتيسر لهم ذلك ، وانفتحت عليهم روافد العلم ، والمعرفة التي وجدوها عن طريق الثقافة الهلينية التي يسّر وصولها إليهم الرهبان من السريان في ديورهم الكائنة في العراق ، والشام ، ومصر ، وفي مدارسهم التي انشأوها في الرها ، ونصيبين ، وإنطاكية ، وقنسرين ، وحرّان ، وجند يسابور ، والإسكندرية ومن هنا تعلّم المسلمون ضروب الفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات ، والطبيعيات ، والفلك ، والتنجيم ليؤيدوا بها دينهم ، ويدحضوا مزاعم خصومهم . ولذا نشطت حركة الترجمة إلى اللغة العربية كون السريان يجيدون العربية ، والسريانية ، فضلاً عن إجادة بعضهم لليونانية عند احتياجهم للترجمة عنها بعد أن كانت أغلب الكتب قد نقلت إلى السريانية عن اليونانية ـ وشملت الترجمات أغلب صنوف المعرفة التي انتهى إليها الأقدمون من اليونان ، فتعدَّدت الكتب بتعدّد الموضوعات، والعناوين، وأذكى التنافس الترجمة لما لاقته هذه الحركة من رواج بين العامة ، والخاصة ، وعلى صعيد الحكّام ، وولاة الأمور الذين شجَّعوا وأنفقوا في سبيل ذلك كلَّ غال ونفيس ؛ ليتيسَّر للعرب الرافد الأهم في الثقافة ، والذي نقل المبادرة إليهم . فأحاطوا بحقول المعرفة القديمة ، وأمسكوا بزمام أغلب العلوم على اختلاف أنواعها ، وأحرزوا معرفة خبايا كنوزها ، وكوامن معارفها العقلية .

وبدهـي في النهاية أن تترك هذه الأمور مجتمعة آثارها الواضحة على العقلية العربية الإسلامية تحت عامل التأثر ، والتأثير ، فكان أن أكسبها دفعاً مهماً مضى بها قدماً نحو التطوّر الإنساني العام الذي ظهر على شتى المناحي ، والميادين الثقافية ، والحياتية منها :

= والطست ، وأوقيانوس ، وإمبيق ، وفنار ، وفرجار ، وإسفين ، وإستبرق ، وديباج ، وفالوذج ، ومشمش ، وسفرجل ، والكافور ، والصندل ، والدولاب ، والميزان ، والمارستان ، والصك . . . . وهذا الموضوع بكر يستأهل البحث في أطروحة تدور حول «أصول التعريب» عند قدامى العرب بجمع كل ما عرّب على أصول يراعيها البحث وقد عقد أحمد أمين في كتابه **فجر الإسلام** ص ١١٧ فصلاً في الألفاظ المعربة فليراجع .

٣ ـ التطوُّر في النحو :

قد يظن مع السببين المتقدمين[1] اهتمامهما بالتطوُّر العام دون التطوُّر الخاص بالنحو ، الأمر الذي يعنينا من الموضوع ، هذا التطور الذي لوحظ في الدراسات اللغوية ، والنحوية بعد بداية النظر الشخصي ، وبعد التصدِّي للمستجدات النحوية الطارئة ، وللحون الناشئة .

مع عودتنا إلى البدايات الأولى أيام أبي الأسود نلاحظ أن الدؤلي هو رأس التطوُّر في هذه الممارسات ، للنقلة المهمة التي نقل بهما هذا العالم النحو من حيِّز الممارسات الذوقية الخالصة ، إلى حيز الممارسة المضبوطة بالعلم ، فضلاً عن الذوق مشكّلاً بذلك خطوة مهمة جعلت ما أقدم عليه حاجزاً ، أو حدّاً نهائياً لما سبق ، ولتلك الممارسات التي ظلت حتى عهده قائمة ، ومتّبعة بعد الإشارة التي جاءته من الإمام علي ، ليستنّ بعمله هذا سنّة ، عادت بالنتيجة بالفائدة القصوى على اللغة العربية بالعموم ، والنحو العربي بالخصوص بعد أن تمكّن بعمله هذا ؛ من وضع العلم الحافظ لقواعد التعبير ، المسهِّل على طلاب علم العربية تعلمها ، ولذا يمكننا انطلاقاً من عمله أن نحدِّد الأسباب الداعية إلى تطوُّر النحو من بداية ذلك التطوُّر الذي انطلق مع البدايات الأولى التي يسَّرها الدؤلي على الشكل التالي :

١ ـ كثرة اللحن ، وانتشاره على الألسن .
٢ ـ وصول اللحن إلى القرآن وآياته .
٣ ـ اليقظة العلمية بعد الإسلام ، والداعية إلى ترجيح العقول ، والاعتماد عليها واستعمال التفكير العقلي المنطقي السليم ، والمنظم .
٤ ـ التأثر بالعلوم العقلية الدخيلة .
٥ ـ الخلاف المذهبي بين الكوفة ، والبصرة .
٦ ـ النظر الشخصي ، والتأويل المعتمد على التعليل الخاص وفق ما يرجحه العالم باعتماد وجهة نظره دون غيرها .
٧ ـ ازدياد عدد العاملين في النحو ازدياداً ملحوظاً .
٨ ـ التنافس القائم بين النحاة ، والمشتغلين بالنحو لإثبات التفوُّق ، وإحراز الرياسة .
٩ ـ استمرار الحاجة إلى إحراز علم النحو ، والتعمق فيه لمكانته العلمية ، ولحاجة أبناء العربية ، وغيرهم من الطارئين عليها إلى تعلُّمه خاصة إذا كانوا من العلماء الذين يستخدمون العربية للكتابة ، والتعليم ، والتأليف .

---

(١) عنينا بهما السببين المتقدمين في ص ٢٣ و ٢٥ من هذا الكتاب .

هذه الأسباب مجتمعة أحدثت التطوُّر في النحو . وهي كما هو ملاحظ صالحة لتُعد أسباب التطوُّر حتى نهاية القرن الثالث الهجري فلقد بدأ النحو بسيطاً من تلك القواعد البسيطة التي شكّلت البداية مع الإمام علي ، والدؤلي ، وتطوَّر بعامل النظر الشخصي ، والتأويل المعتمد على وجهات النظر الخاصة ، العامل الأهم في تطوير علم النحو ، ولعل أفضل ما وصلنا في الموضوع ما نقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] عندما سئل عن العلل التي يَعتل بها في النحو فقيل له : عن العرب أخذتها ، أم اخترعتها من نفسك ، فقال : إن العرب نطقت على سجيتها ، وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندي أنه علّة لما علَّلته منه ، فإن أكن أصبت ، فهو الذي التمست ، وإن تكن هناك علَّة له . . . . فإن سنح لغيري علَّة لما علّلته من النحو هي أليق بالمعلول ، فليأت بها[2] .

٤ ـ الاختلاط بالأعاجم :

لا شك أن لهذا الموضوع علاقة مباشرة بتطوُّر النحو إذ هو الباعث الرئيس الذي نشر اللحن ، وعمّمه ، وغذّاه بأهم روافده التي لا تنضب وأوصله إلى آي الذكر الحكيم ، السبب الأهم الداعي إلى وضع النحو كما كان السبب الأهم الداعي إلى التطوُّر الحاصل على يدي الدؤلي مع بداية التحول تجاه النحو العلمي ، باعتباره النقلة المهمَّة من النظرية إلى التطبيق ، ومن مجرَّد الاعتماد على السليقة إلى الاعتماد على الضوابط المانعة ، والطرق الآيلة إلى ضبط التعبير بحسب قواعد النطق في العربية الفصحى . هذا فضلاً عن كونه في آن معاً السبب في وضع علم النحو ، والسبب في تطوُّره ، لأن هذا الاختلاط لم يتوقَّف عند حدّ وضع علم النحو ، وإنما استمر لتستمر معه الردود على اللحون الناتجة عنه .

من أشهر ما وردنا عن الموضوع ما تناقله الرواة[3] حول ما حدث بين أبي الأسود ، وسعد الفارسي . **«وكان قدم «البصرة» مع أهله ، فمر سعد بأبي الأسود ، وسعد يقود فرسه ، قال أبو الأسود له : ما لك يا سعد لا تركب ؟ قال : إن فرسي**

---

(١) مرّ التعريف به وبشخصه وبعلمه في حاشية ص ١٩ من هذا الكتاب .
(٢) الزجَّاجي ، **الإيضاح في علل النحو** ص ٦٥ .
(٣) **أخبار النحويين البصريين** للسيرافي ص ١٨ ، **وطبقات النحويين واللغويين** للزبيدي ص ١٥ ، **وإنباه الرواة على انباه النحاة** للقفطي ص ٦ والروايات الثلاث متفقة على مضمون الخبر .

«ظالعاً» وكان يقصد «ظالع» ، وضحك منه بعض من حضر . قال أبو الأسود : هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ، ودخلوا فيه ، فصاروا لنا إخوة ، فلو علّمناهم الكلام ، فوضع باب الفاعل ، والمفعول ، ولم يزد عليه»(١) .

والطريف اللافت للنظر في الموضوع هو سخرية الجميع من سعد ، ومبادرة الدؤلي إلى التصحيح بتلقين سعد الوجه الصواب ، وتعليمه منع الخطأ الحاصل على لسانه بوضع القاعدة المانعة له . وهذا تطوُّر مهم جداً ، يحمل في طياته نضجاً في الممارسة العلمية المسؤولة حيث يبادر الدؤلي إلى التصدي للفساد الحاصل ، والخطأ الطارىء بتصحيحه ، وتوجيه اللاحن ، وحيث يلاحظ في الوقت نفسه أمر اللحن ليعتمده أساساً يستدعي المعالجة ، وأساساً في وضع القاعدة المصححة له . وهذا كما هو ملاحظ شكل من أشكال المعالجة السريعة التي تعتمد على أسس منهجية في الرد والتصحيح . فالدؤلي في رده اعتمد على سليقته ، وطبعه اللذين يأنفان من استماع اللحن ، وهو في تقعيده للقاعدة قد اعتمد على علمه ، ودرايته بالأصول اللفظية ، والتعبيرية ، التي تحكم الحديث بلهجة قريش ، ولهجة القرآن ، الأمر الذي التزمه في ردوده على اللاحنين . حيث بادر إلى معالجة المستجدات ، ووضع الأبواب الرئيسة التي تحكم أصول التفكير النحوي الصحيح .

أيضاً هناك جانب مهم يدخل تحت عنوان الاختلاط بالأعاجم ، وهو ملاحظ عبر استعراض موضوع تطوُّر النحو ، حيث تؤدي عملية ملاحظة الأسباب الداعية إليه ، والمسبّبة له إلى استخلاص حقيقة أن أكثر المساهمين هم من الموالي من الفرس ، وغيرهم فعنبسة مولى ، وعبد الله بن أبي إسحاق مولى ، وعيسى بن عمر مولى كذلك ، ومسلمة بن عبد الله أيضاً ، ويونس بن حبيب من الموالي ، وسيبويه شيخ النحاة ، والنحويين فارسي من الموالي (وهذا على سبيل التمثل لا الحصر) وإن دل على شيء ، فهو يدل على مدى تأثير الاختلاط في موضوع التطوُّر النحوي العام فالنحو أساساً وُضِعَ للموالي والمتعرِّبين الداخلين في الإسلام ، أو الطارئين على العربية ، وأهلها . والفريقان من غير العرب ، وقد لجأ العلماء إلى وضع العربية لهم بعد أن لمسوا بأم اليد ، وشاهدوا بأم العين ، وسمعوا بملء الأذن مدى ما لحق بالعربية ، وبالقرآن من فساد من جرَّاء ذلك الاختلاط ، ليتمكّن هؤلاء المتعربون ، أو المسلمون الجدد من اللحاق بالعرب في الفصاحة بعد أن أفسدوا على الأخيرين

---

(١) راجع مضمون الخبر في واحدة من الروايات الثلاث السابقة تحت رقم واحد ودائرة المعارف الإسلامية مادة نحو جـ ٣ ص ٨٣٦ .

لغتهم ، وكادوا أن يلحقوا الفساد بكتاب الله الناطق بوحيه لجهلهم بلغة الكتاب التي نزل بها . وهذه هي الفائدة الأولى من الاختلاط بالرغم من الفساد الذي ألحقه هذا الاختلاط من فقدان عنصر السليقة . . . كما أن لكل شيء حتى وإن كان سلبياً مطلقاً بعض الإيجابية التي تترتَّب عليه من باب التأثر والتأثير ؛ لأنه وإن يكن الاختلاط قد سبب فساداً ، أو نشر لحناً ، وأشاع أخطاء فإنه قد سبب أيضاً ، وضع علم النحو الذي نهج بالدراسات اللغوية ، والنحوية النهج العلمي المفيد . أما الفائدة الثانية من الاختلاط فتظهر عبر ملاحظة نبوغ الموالي ، والأعاجم في مجال النحو ، مما ساعد على تطويره بشكل متنام ملحوظ لأنه لهم بالأساس ، «وصاحب الدار أدرى بما فيه» . وأدرى باحتياجاته . حتى وصل بهم الأمر إلى منازعة أصحاب العلم من العرب على الرياسة ، والصدارة ، والزعامة في المدرستين : البصرة ، والكوفة . الأولى مع سيبويه ، والثانية مع الكسائي ، والفراء .

٥ ـ التقدُّم العلمي :

لم يمضِ العهد الأموي ، وبشكل خاص القرن الهجري الأوَّل حتى كان العرب المسلمون ، قد استحالوا من أمة غافلة عن الحضارة ، والعلوم ، إلى أمة تفني الليل ، والنهار ، في سبيل تحصيل العلم الذي حضَّهم الدين الإسلامي الجديد على تحصيله بعد أن مصَّروا الأمصار ، وانفتحوا على العلوم فيها ، وكان أول ما أحرزوه من علوم : العلوم الإسلامية المتعلِّقة : بالقرآن تفسيراً ، وقراءة ، بعد جمعه في المصحف ، وبالحديث رواية ، وتدويناً ، وشرحاً . وهذان يحتاجان علوم العربية من نحو ، وصرف ، وبلاغة ، ومن رواية لسيرة النبي ، ولسير الأمم ، والأنبياء السابقين .

ومع انتهائنا إلى العصر العباسي نلاحظ أن القرن الثاني للهجرة امتاز عن سابقه بحركة ثقافية ، ويقظة فكرية ، ونهضة علمية ، الأمور التي لم يعهد لها مثيل في حياة العرب . الأمر الذي عكس واقع حياة المسلمين بعد مرحلة النقل ، والترجمة الآنفة الذكر[1] تلك المرحلة التي تلت مرحلة وعي المسلمين الفكري على الحضارات المختلفة . مما مكَّنهم من الإطِّلاع على نتاج تلك الحضارات العلمي ، واقتباسه ، وهضمه بعد دراسته . الأمر الذي جعل منهم الأمة الوارثة للثقافات القديمة ، والمرجع الأصلح لنيل العلوم بعد أن أحاطوا بكل ما جاءهم من علوم عن الأقدمين في الطب ، والفلسفة ، وغيرهما من أنواع العلوم في سنوات قليلة بينما أنفق اليونان

---

(١) راجع في هذا الموضوع ص ٢٥ ـ ٢٧ من هذا الكتاب .

القرون المتعددة في وضعها وتنظيمها .

هذا على المستوى العام للتقدُّم العلمي الشامل . أما على المستوى الخاص بالنحو ، وهذا ما يعنينا في الموضوع فنحن نلاحظ أن توسع التأليف مع القرن الثاني للهجرة ، وحصوله على أيدي نفر جليل العدد من العلماء المسلمين غير العرب ، والعلماء العرب غير المسلمين ، والعلماء غير المسلمين ، ومن غير العرب (كالسريان واليهود) أمر أنعش العربية ، ودفع بها أشواطاً مهمة نحو التقدم ، والازدهار . لأن التأليف من دون أي شك كان يتم بالعربية ، ولا شك أن الكاتب بالعربيـة من غير العرب ، يحتاج إلى ما يقوِّم به أود لسانه من علوم العربية ؛ فضلاً عن أثره فيها ، وفي دراساتها بعد تعلُّمه لقواعدها الموضوعة . هذا إلى جانب أثر أبناء العربية أنفسهم على الدراسات النحوية بعد تحصيلهم للمعارف العقلية الدخيلة ، تلك المعارف التي غذَّت قرائحهم ، وشحـذت عقولهم بمعـطياتهـا العقلية المفيـدة حيث انعكس أثر الفريقين على مجالي : النحو ، واللغة : العلماء من غير العرب بإدخالهم الطرائق الجديدة في التفكير ، والتعبير المنهجيين المتّسمين بـالروح العلميـة ، والأساليب الجديدة على العربية ، والعرب ، والمسلمين ، بعد أن أجادوا هذه المعطيات في لغاتهم الأصلية ، أو أجنـاسهم التي انتموا إليهـا . والعلماء من العـرب باقتبـاسهم الطرائق الأساسية التي بنيت عليها العلوم عند اليونان والمذاهب الأصيلة التي حكمت مبادىء تفكيرهم ، ومنازع وتوجهات الكبار من العلماء عندهم ، والتي غدوا بوساطتها مثقّفين لشعوبهم ، وقادة لهم في طريق المعرفة الكليَّة . ولذا تمَّ وضع علم النحو لهؤلاء الوافدين على الإسلام ، والعروبة لتستقيم به ألسنتهم ، وتحتكم إليه قرائحهم بعد أن جُعل الأساس في الحكم اللغوي ، أو النحوي الصحيح . ثم تطوَّر هذا العلم متأثراً بدراسات الطارئين على العربية فيه ، ودراسات أبناء العربية أنفسهم مع تقدُّم العلوم النظرية ، والتطبيقية التي كانت تظهر تباعاً ، ويستفيدون منها . ومما يجـدر الإشارة إليه أن مشاركة هؤلاء الوافدين الجدد لم تتأخر كثيراً ، والدليل ؛ ظهور أسماء لامعـة منهم مع المـراحل الأولى لـدراسة النحـو ، ثم تتابـع ذلك خـلال القـرون المتعاقبة . ولذا لم يتأخروا عن اللحاق بـركب المؤلفين بعد أن بـرعوا في دراسـة العربية ؛ لاحتياجهم الماس إلى تعلُّمها ؛ ولاحترامهم البالغ للنحو فيها ؛ لأنه العلم الذي سييسر لهم تعلُّم لغة الإسلام ، وكتابه الكريم ، ومع هذا التأليف ظهـر الأثر العقلي ، كما ظهرت طرائق التفكير الجديدة المستفيدة من العلوم الدخيلة مما ساهم في التطوُّر المستمر الناتج عن ذلك الرافد المهم في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ألا وهو أثر العلوم الدخيلة .

الفصل الثاني

موجبات التطوّر

التأثر بالعلوم العقليَّة الدخيلة :

في ظل هذا التقدم العلمي العام ، والشامل لشتى المناحي ، والميادين الفكرية ، والإنسانية نمت الدراسات اللغوية ، والنحوية ، وتقدَّمت تقدماً ملحوظاً ، تأثرت فيه شأنها في ذلك شأن بقية العلوم الإسلامية الأولى الأخرى ، بمعطيات الفلسفة ، والمنطق ، وغيرِ ذلك من العلوم العقلية الدخيلة . بعد دراسة العلماء المسلمين لتلك العلوم واطِّلاعهم عليها ، وبعد الأثر الذي أحدثه العلماء المتعرِّبون الذين لم يسلموا ولكنهم ساعدوا ، وقدموا ما لديهم من نتاج علمي على صعيد الثقافة العامَّة . وازداد ذلك الأثر بعد فتح باب الترجمات على مصراعيه حيث شارك هؤلاء المترجمون المتعربون في عملية التأليف الواسعة باللغة العربية[1] . مما زوَّدها بمصطلحات ، ومفاهيم جديدة مستفادة من العلوم الجديدة ، ومن المباحثة في أوصاف لأشياء ، وأسماء لمواضيع غريبةِ عن الحياة الإسلامية ، أو العربية لا تمت إليها بصلة . وبعد إقدام أهل الاختصاص من نحويين ، ولغويين ، على متابعة أساليب المتكلمينِ الذين أعملوا علومهم العقلية ، ووسائطها في التعبير عند اضطرارهم إلى تعلّم النحو ؛ لإحراز التأليف ، والكتابة الصحيحة .

ومن هنا يتبين أنه من الصواب في مكان القول : إن العلوم الدخيلة ، تركت أثرها الواضح على الصعيد النحوي . لما كان للاتصال الدائم بين العلماء المتعددي

---

(١) بلاشير ، **تاريخ الأدب العربي** جـ ١ ص ٦٨ ، تحت عنوان الإسهامات الخارجية ولفليب حتي ، **تاريخ العرب المطول** ص ٣٧٩ تحت عنوان «المترجمون» .

المعارف ، والعلوم في القطر الواحد من أثر بعد المباحثات المستفيضة المتأثرة بخلفية العلم الخاص بكل واحد منهم مما ساهم في نقل الأفكار ، وتلاقحها . ولذا انتقلت إلى النحويين ـ وهم أساساً أبعد الناس عن هذه العمليات من زاويتها المنطقية البحتة ـ عمليات عرض ، ومقارنة النصوص المروية لهم ، أو المعروضة عليهم للحكم على صحتها وأصالتها ؛ على الآثار التي تأكدوا من صحتها وتثبتوا من أصالتها فكانوا يقبلون من الألفاظ ، والتعابير ما يوافقها ويرفضون منها ما يخالفها ، ويخرج عن حدودها . وبذلك تمَّ التعرُّف على القياس من وجهة النظر المنطقية الفلسفية القائمة على شروط ، أو أسس ، وهو من أساليب المناطقة ، وأهل الفلسفة الذين يقدِّمونه بأساليبهم على أي عملية تستتبع إصدار الحكم بالصحة أو الخطأ على تفصيل لاحق[1] . بعد أن اعتمدوا السماع سابقاً . الأمر الذي جعلوه شاهداً حياً على تعابيرهم ، وألفاظهم كي لا يحدِّثوا بما لم يحدِّث العرب به ، وإن كان هذا الأمر قد تأثَّر فيما بعد أيضاً بمفاهيم الفلسفة ، والمنطق بعد التوسُّع في فهمه ، وشرحه[2] . ثم كان التعليل ، بإيجاد العلَّة الدافعة إلى الشيء ، وهو أيضاً من نتائج الفلسفة ، والمنطق كما سيرد[3] .

على أن الدارس المدقّق لعملية تطوُّر النحو يلاحظ فيها تأثراً ملحوظاً بالفلسفة ، والعلوم العقلية الدخيلة بعد أن انتحى العلماء ـ غبّ تعرُّفهم على الفلسفة الإغريقية ـ منحى التأثُّر بها ، وبالمنطق الأرسطي . ولذلك برزت إلى الوجود تعابير جديدة لم يكن لها وجود في دنيا العربية أيام الدؤلي ، والروّاد الأوائل ، ومنها : العلّة ، والمعلول ، والعامل ، والمعمول ، والقياس ، واجتماع النقيضين ، والحلقة المفرغة ، وهذه الألفاظ مجتمعة ، وكما لا يخفى ليست من النحو العربي في شيء ، ولا تمتّ إلى العمل بصلة بتاتاً . وإنما هي من معطيات الفلسفة ، وبحوثها . فما العلة إلاَّ المؤثر ، وما المعلول إلاَّ الحاصل عن هذا المؤثر . وما العامل إلاَّ السبب ، وما المعمول إلا المسبَّب عنه . وما القياس إلاَّ طريقة من طرائق الاستنباط ، والاستقراء ، وما اجتماع النقيضين إلاَّ واحدة من أهم طرائق النقض الفلسفي ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الحلقة المفرغة . ولقد حدثتنا الأخبار الواردة عن العلماء

---

(١) الموضوع في ص ٦٠ من هذا الكتاب حيث تمت معالجته .

(٢) في هذا الموضوع وفي هذه الشروط والأمور مجتمعة الصفحة ٨٨ من هذا الكتاب تحت عنوان الإرتحال إلى البوادي .

(٣) الموضوع في الصفحة ٦٣ من هذا الكتاب وما بعدها .

الكبار بما يعود إلى المفهومين الأخيرين في النحو من ذلك قول المبرد[1] حيث يجيب في جمع طلحة بقوله : «فأما طلحة ، فلو قلت في جمعها طلحتون ، للزمك أن تكون أنثته ، وذكّرته في حال ، وهذا هو المحال»[2] . وهذه هي استحالة جمع النقيضين ومثله أيضاً ما نقل عن المبرد في الأفعال حيث يقول في حدها : «كان حدُّها ألَّا يعرب فيها شيء ، لأن الإعراب لا يكون إلَّا بعامل فإذا جعلت لها عوامل تعمل فيها لزمك أن تجعل لعواملها عوامل ، وكذلك لعوامل عواملها إلى ما لا نهاية»[3] . وهذه هي الحلقة المفرغة وليس أدل على أثر المنطق في الدراسات النحوية من تلك المحاولة التي قامت على أساس تطبيق المقولات العشر على أبواب النحو وهي : الجوهر ، والكم ، والكيف ، والزمان ، والمكان ، والإضافة ، والوضع ، والملك ، والفاعلية ، والمفعولية[4] .

أما بالنسبة إلى القياس ، والعلة ، والعامل ، فقد كان أمرها كما يلي :

أ ـ القياس :

أحد مبادىء المدرسة البصرية الثلاثة التي قامت عليها إلى جانب السماع ، والتعليل وهو يشكل مع التعليل المبدأين العقليين المستفادين من العلوم الدخيلة (الفلسفة ، والمنطق. . . .) .

تعريفه : هو محاكاة العرب في طرائقهم التعبيرية ، وحمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول المادة ، وفروعها ، وضبط الحروف ، وترتيب الكلمات ، وما يتبع ذلك[5] . وله عدا ذلك شروط أخرى لا يفوتنا أن نشير مع ذكرنا لها ، أن التأثر بالمنطق في القياس ، كائن في هذه التسمية ، وفي هذه الشروط التي وضعت لأن أصل العمل لا جِدّة فيه بملاحظة أنه متابعة لما آثر عن العرب ولكن هذه المتابعة تستتبع عدم اعتماد الشاذ ، وعدم مخالفة قاعدة من القواعد ، واعتماد القياس على

---

(١) حاشية الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب حيث التعريف بشخصه مع المصادر ، والمراجع الخاصة بذلك وبعمله في المتن .

(٢) المبرد ، **المقتضب** جـ ٤ قسم ١ ص ٣٠٥ .

(٣) المبرد ، **المقتضب** ، جـ ٤ قسم ١ ص ٤٠٨ .

(٤) تمام حسان ، **مناهج البحث في اللغة** ، ص ١٤ ـ ٢٩ وهو بحث قيم جداً يعرض فيه صاحبه للموضوع بصورة مؤيدة بالأمثال التي يبرهن فيها استعانة النحاة العرب بهذه المقولات عند تطبيقهم للقواعد النحوية ، فليراجع .

(٥) عباس حسن ، **اللغة والنحو بين القديم والحديث** ، الصفحة ٨٠ وما بعدها .

القليل والكثير تبعاً لقواعد معينة تحكم هذا الاعتماد في الشكلين ، وعدم تعارض السماع ، والقياس ، وغيرها[1] من عدم اعتماد الشاذ ، وضرورة اضطراد القواعد وهذا كلّه من نتائج الفلسفة ، والمنطق ، والعلوم العقلية المستفادة من الثقافة الهلّينية التي عملت جهداً في التحكم بطرائق التعريف ، والنظر ، والفهم للأمور ، بعد اطّلاع الناس عليها ، وتأثُّرهم بمناهجها .

ب ـ العلّة أو التعليل :

المبدأ الثاني من مبادىء المدرسة البصرية وهو أيضاً أصيل في اللغة ، والعمل النحوي ، من حيث المفهوم العام والدور . قبل أن يعي العلماء اسمه ، أو قبل أن يهتمُّوا بهذا الاسم ، أو قبل أن يطلبوه أساساً من أسسهم المعتبرة في العملية النحوية ، ومنطلقاً من منطلقاتهم فنحن نشتّم رائحته في الممارسات النحوية الأولى بنوعيها : الفني ، والعلمي ، مع مبادرة الدؤلي إلى تصحيح أخطاء إبنته ، وسعد الفارسي ، والرجل القاريء للقرآن الذي أخطأ بقراءة الآية الثالثة من سورة التوبة ﴿**إن الله بريء من المشركين ورسوله**﴾ . حيث يبادر الدؤلي إلى تصحيح الأخطاء في حركات الأواخر من الكلمات دون أن يعيِّن السبب الداعي إلى التحريك على الوجه الذي يعيِّنه هو ، والذي يختلف عن الوجه الذي حرّك به اللاحن كلامه ، وما ذلك إلاَّ لعدم معرفته بمبدأ التعليل ، أو لعدم وضع اسم التعليل بعد . وإن كان في عمله كما تقدم أعلاه يصدر عن أسباب حدت به إلى رفض بعض الصور التي نطق بها اللاحنون ، بأشكال تخالف الصيغ الفصحى التي يعرفها حق المعرفة ، ويدعو إلى اتِّباعها ، وامتثالها في عمليات النطق . لأن مجرَّد رفض نطق اللاحن لعدم مراعاته الأصول يعني الالتزام بمبادىء ، وإن لم يُصرَّح بها هي الأساس في عملية الرفض تلك ، مع انتفاء قصة الذوقية ، بتطبيق مبادىء خاصة على العموم بل واستحالتها لغوياً ، ونحوياً .

تعريفه : التعليل هو العملية التي تكشف السبب الموجب الداعي إلى التغيير في حركات الإعراب . ولقد دعا إليه ، ووجَّه إلى إيجاده ، طول المراقبة من قبل العلماء ، حتى تمَّ الكشف عن أسراره ، وهي أن حركات أواخر الكلمات لها علل ، وأسباب يطَّرد حكمها فيجب التعرف عليها[2] .

---

(١) ابن جني ، **الخصائص** ، الصفحات ١٠٩ ـ ١١٥ ، و٣٥٧ ـ ٣٦٩ حيث عرض الموضوع بتفصيل واستقصاء ، للشروط كافة ولطرق الاستعمال العامَّة والخاصَّة .

(٢) في بعض هذا التعريف ، **إحياء النحو** ، القاهرة ص ١٠ .

على أن التعليل الذي نتحدث عنه ، هو ذلك التعليل غير الحسّي ، واللاشعوري القديم قدم مزاولة النحو الفتية ، أما التعليل المتعمّد ، والمقصود ، فسنتحدث عنه لاحقاً[١] . ولعل أدل شيء على النوع الأول الحادثة التي جرت بين ابن جنّي[٢] ، والشجَّري[٣] . حيث سأل ابن جني كيف تقول : ضربت أخوك ، فقال : ضربت أخاك فأدرته على الرفع فأبى ، وقال لا أقول أخوك أبداً ، قلت فكيف تقول : ضربني أخوك فرفع فقلت : ألست تزعم إنك لا تقول : أخوك أبداً فقال : إيش هذا اختلفت وجهتا الكلام»[٤] وما ذلك إلّا لجهل الأعرابي بالعلل .

ج - العامـل :

هو السبب الموجب للتغيير في حركات الأواخر من الكلمات المتحدَّث عنه مع التعليل[٥] .

يرجع الفضل في إيجاد هذه النظرية إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي[٦] إذ أن الدارس المدقِّق لكتاب سيبويه ، يرى رأي العين أن الخليل هو الذي ثبَّت أصول النظرية ، ومدّ فروعها ، وأحكمها إحكاماً وبهذا أخذت صورتها النهائية التي ثبتت على مختلف العصور . شأنه في هذا العمل شأن ما قام به في العروض الذي اكتشفه اكتشافاً ليس له سابقة ، ولا تدانيه لاحقة . مما يشهد له بإتقان النظريات الرياضية السائدة في عصره كما أُشيع عنه ، فضلاً عن إجادته للمنطق الأرسطي المترجم على أيدي صديقه ابن المقفع ، وما ثقفه أيضاً في مجال الموسيقى اليونانية ، ومباحثها الصوتية ، والفلسفية .

---

(١) الصفحة ٦٣ من هذا الكتاب .

(٢) راجع كتابنا نشأة النحو العربي ص ٢٥ حيث ورد التعريف به .

(٣) هو محمد بن العساف التميمي ، أعرابي ، صاحب ابن جني الذي أخذ عنه أشياء كثيرة وقال فيه : «قلما رأيت بدوياً أفصح منه» .

(٤) ابن جني ، **الخصائص** ، جـ ١ ص ٧٦ .

(٥) الصفحة ٣٦ من هذا الكتاب تحت عنوان تعريف التعليل .

(٦) التعريف به في الصفحة ١٩ من هذا الكتاب ونزيد على ما مرَّ بأنه اختص من بين العلماء ومن بين معاصريه بزهده وقناعته كما يقول النضر بن شميل أقام الخليل في خصٍ من أخصاص البصرة لا يقدر على فلس وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ، راجع فيه للغوي **مراتب النحويين** ص ٢٧ وللسيرافي ، **أخبار النحويين البصريين** ص ٣٨ **وطبقات النحويين واللغويين** للزبيدي ص ٢٧ ، وللأنباري **نزهة الألباء** ص ٤٥ **ولياقوت معجم الأدباء** جـ ١١ ص ٧٢ .

هذا كله يدفعنا إلى الاستنتاج أن وجود العامل في اللغة وجود ينطق بالأثر الفلسفي، والمنطقي. فلقد نظر النحاة المتأثرون بالفلسفة، والمنطق إلى الواقع النحوي، واللغوي نظرة فلسفية فكما أن لكلٍ مصنوع صانعاً، ولكل حادث مسبباً ينبغي أن يكون لهذا التغيير في الحركات أسباب موجبة سمُّوها العامل، أو العواملٍ. ولذا استقرَّ في ذهن الخليل، والذين جاؤوا من بعده أن الحركات الإعرابية وما يتّصل بها من أمور ومباحث، إنما هي أثر لمؤثِّر أوجدها، ولا يتصوَّر العقل وجودها بدونه.

واستمرت هذه النظرية بعد الخليل بالتقدُّم حتى وصل بها النحاة إلى العلل الثواني، والثوالث[1] التي ذهبوا في الأولى منها إلى معرفة الأحكام الخاصة بنطق العرب، وفي الثانية إلى تأكيد أن العرب أمة حكيمة التفكير، منطقية التعبير وهذا الأمر هو الذي حدا بابن مضاء القرطبي[2] إلى ثورته المشهورة ضد فلسفة الاعراب، والغرق في الأمور النظرية التي لا طائل منها.

وفي النهاية نجد أن النحو، وإن لم يختلط بالفلسفة، والمنطق اختلاطاً مباشراً، فقد تأثر بمناهجهما في البحث، والاستدلال وكان ذلك عبر دراسة المتكلمين لهما، واستخدامهما في الدفاع عن آرائهم. وقلدهم النحاة في ذلك، وعاد ذلك بالأثر على عملهم كما تأثَّر النحو في مصطلحاته، وأصوله، وكذلك تسمياته فأنت ترى أن اصطلاح العلَّة الآنف الذكر مستعار من الفلسفة، وكذلك اصطلاح العامل، والمعمول كما ترى أن اصطلاح القياس مستعار من المنطق، وقل الأمر نفسه بالنسبة إلى استخدام الطرق الفلسفية في النقض، والنفي، والإثبات كما تأثَّر النحاة بالمتكلمين في أسلوبهم العلمي، وفي رفضهم لما لم يتقيد بهذا الأسلوب، وفي رفعهم من قيمة العقل، وفي إعطائهم لأنفسهم حرية العمل، والبحث، والتفكير؛ لاعتمادهم على العقل. كذلك ظهر تأثر النحاة بالمتكلِّمين عبر إعطائهم لأنفسهم حق الرفض، والقبول على طريقة الفلاسفة، من دون أن يتحرَّجوا أمام حقيقة تناقض ما وضعوه وما اقترحوه، ومن دون أن يزعجهم ورود بيت من الشعر، أو عبارة من النثر على لسان أحد الأعراب، أو حتى آية من الآيات بغير ما نطقوا به، أو قعَّدوه، أو وضعوه من أسس لأنهم كانوا يعزون ذلك إلى القليل الشاذ الذي يهمل، ولا يعوَّل عليه.

---

(١) كما هو الأمر مع ابن السرّاج، راجع الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب.

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد، عالم بالعربية له معرفة بالطب والهندسة والحساب وله شعر ولد بقرطبة وولي القضاء بفاس له كتب منها كتابه **«الرد على النحاة»** و **«إصلاح المنطق»** في النحو راجع فيه **الاعلام** جـ ١ ص ١٤٧.

الباب الثالث

سمات التطور

الفصـل الأوَّل

توصيف التطوُّر

حددنا سابقاً انطلاقة التجـديد النحـوي زمنياً ، مـع مرحلة المبـاحثات التي سجَّلت نضجاً في شكلي الممارسة اللذين عرفهما النحو وهمـا : الشكل الفني ، والشكل العلمي ، لترابطهما . لأن نضج النحو الفني يستدعي البدء أو بعبارة أخرى يوجب التحوُّل تجاه العلمي . إذ أن استقراء الواقع ، ومراجع سير الأمور في أشكالها الطبيعية يفرضان علينا هذا الترابط ، كما يفرضان هذا الانتقال من النحو الفني ، إلى النحو العلمي . فضلاً عن الاستنتاج العقلي المنطقي لطبيعة العمل النحوي العلمي ، الذي يفرض اكتمال النحو الفني ليتيسر لنا الحديث عن بدايات في الشكل العلمي . وبناء على هذه المعادلة القائمة على ضرورة اكتمال الشكل الفني في النحو ؛ للسماح بالحديث عن الشكل العلمي ، واستحالة الحديث عن النحـو العلمي من دون أن نسلِّم بحدوث الفني ، ونضجه[1] ، نستطيع أن تتحدث عن البدايات العلمية التي كانت مع علي ، والدؤلي ، حيث تمَّ وضع بعض الحدود العامـة التي تبيِّن أسس الرفع ، والنصب ، والجر ، والتي تحدِّد أقسام الكلام بعد تعريف كل قسم ، لتحدِّد انطلاقة التقدُّم العلمي أيضاً[2] .

وهنا لا بد من استعراض التقدُّم العلمي على أشكاله التي بدأ بها مع الدؤلي .

---

(١) لأن الأمرين مترابطان فالأوّل يمهِّد للثاني ، والثاني نتيجة للأوَّل ، وهذا ما يوافق طبيعة الأمور في العلوم ونشأتها .

(٢) الصفحات ١٦ ـ ١٩ من هذا الكتاب .

١ ـ عمل الدؤلي :

إن الحكم على عمل الدؤلي من زاوية التجديد في النحو يفضي بنا إلى ضرورة تقتضي إدخال هذا العمل في سياق التطوُّر لأن هذا العمل هو النقلة النوعية المهمَّة التي اجتاز بها الدؤلي ما كان رائجاً قبله من ممارسات في النحو . لتبدأ بما قام به مرحلة أخرى من الممارسات المنهجية المحتكمة إلى العلم ، بعد نضج الممارسات الفنية السابقة ، ووصولهـا إلى مرحلة هيـأت معها لإيجـاد الناحيـة العملية ، بعـد الاحتياج إليها لمحاربة الفساد ، واللحن وهنا نقول :

إن التطوُّر بدأ مع الإمام علي ، والدؤلي ، وأستمر بالتقدُّم مـع العلماء في المراحل المتعاقبة . وقد اعتمدت تلك البداية على حسٍ لغوي مرهف تمكَّن الدؤلي بوساطته من استقراء اللغة على الأصول ، والحدود التي حدَّدها علي ، بعد اعتماده على منهج فقه اللغة الوصفي ، المنطلق من استقراء الحقائق ، بحسب وجودها ، وممارساتها . ولذا تمَّت الخطوات الأولى باعتماد الكليات المتفق عليها مع علي ، والدؤلي ، والتي قاد إليها طول الملاحظة ، وإرادة التصحيح للوضع السيء المتردِّي يوماً عن يوم . فكان وضع بعض الأبواب العامة التي وجَّه إليها اللحون الناشئة التي كانت تجابه أبا الأسـود تباعـاً . كخبر مـدافعته للرجـل الذي لحن بعبـارة «سقطت عصاتي»[١] وخبر تصحيحه للحن إبنته[٢] ، وخبر تصحيحه للحن غلام أبي الأسود الذي حدَّثه عن مرض أبيه بالحمى[٣] ، وخبر تصحيحه للحن سعد الفارسي[٤] ، وخبر قراءة آية ، ورسوله ، وتصحيحه للقارىء اللاحن بها ، أو للرجل اللاحن بها .

على أن أهمَّ ما يلفت النظر في الموضوع هو النضج الحاصل ، والمؤدي إلى وضع علم النحو ، بعد الممارسات المعتمدة على المشافهة سابقاً . هذا التقدُّم الذي تأكَّد بعمل الدؤلي ؛ لاختلاف ما قام به عما كان سابقاً عليه ، والذي أختط بوساطته منهجاً جديداً ، وطريقاً خاصاً ، هو طريق التطوُّر القائم على اعتماد قواعد علميـة خاصَّة شارك في وضعها الحس اللغوي ، نطقاً ، وتلفظاً ، وتعبيراً . فأبو الأسود لم

---

(١) أبو الطيب اللغوي ، **مراتب النحويين** ص ٨ وراجع في هذا وفي الأسباب الأربعة التي تليه ص ١١٣ ـ ١٢٨ من كتابنا نشأة النحو .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٤ ، وللأنباري **نزهة الالباء في طبقـات الأدباء** ص ٢١ .

(٣) اللغوي ، **مراتب النحويين** ، ص ٩ وللزبيدي الطبقات ، ص ١٦ .

(٤) السيرافي ، **أخبار النحويين البصريين** ص ١٩ ، وللزبيدي **الطبقات** ص ١٥ ، وللقفطي **إنباه الرواة** جـ ١ ص ٦ .

يغيِّر الأشكال المعروفة في النطق والتعبير ، وإنما أحال تلك الأشكال ، والنماذج إلى قواعد خاصة بالنطق ، تمكّن الناطق الفاقد لعنصر السليقة ، بعد مخالطته للأعاجم ، أو كونه واحداً من هؤلاء الأعاجم ؛ من ترسُّم مبدأ يمكِّنه من مجانبة الخطأ ، والابتعاد عن اللحن وكان الأسبق إلى الوجود تلك الأبواب التي كانت اللحون فيها ـ كما حدثتنا الروايات[1] ثم كان نقط القرآن بنقط الإعراب «والذي يمكن اعتباره أعظم خدمة قدِّمت للعربية حتى الآن»[2] ، لأنه أول عمل تطبيقي للقواعد التي وضعت ولأنه بالتالي جاء في المرحلة التي أشرفت فيها السليقة على أن تُفقد من بين الناس ، بعد المخالطة الحاصلة . فحفظ الأصل في الإعراب ليكون دليلاً على أصالته في اللغة واكتسب ـ أي القرآن ـ عملاً سليقياً علمياً في آن معاً . نتج عن سليقة أصيلة ، وذهنية علمية خلّاقة ، لم تتأثر بعد بالنظرات الفلسفية ، والأسس المنطقية من عامل ، وعلّة ، وقياس ، فنطق بالواقع ، وسجّله قبل غيابه إلى لا رجعة .

٢ ـ عمل تلاميذ الدؤلي :

ويمضي عهد الدؤلي ، فيتابع تلامذته الأربعة وهم : عنبسة الفيل[3] ، وميمون الأقرن[4] ، ونصر بن عاصم[5] ، ويحيى بن يعمر[6] ، ما بدأ به أستاذهم ضمن الأُطر التي حدَّد بها عمله ، فيتصدون لإقراء القرآن للناس ، ولتوجيههم إلى علوم العربية ، بما نهلوا منه من علم وآراء .

ثم تكون الخطوة الكبرى الثانية ، التي تلت خطوة أبي الأسود مع نصر ،

---

(١) الصفحات ١٤٧ ـ ١٥٤ من كتابنا نشأة النحو .

(٢) سعيد الأفغاني في **أصول النحو** ، ص ١٦١ .

(٣) تعلم النحو ، وروى الشعر حتى ظرف وصار أبرع أصحاب الدؤلي ؛ توفي ١٠٠ هـ راجع فيه **الزهر** للسيوطي جـ ٢ ص .

(٤) رأس الناس بعد عنبسة ويروي الأنباري عن معمر بن المثنى أن من رأس الناس بعد الدؤلي هو عنبسة . ثم جاء ميمون وهو تلميذه . راجع فيه للأنباري ، **نزهة الالباء** ص ٢٢ ـ ٢٣ ، وللزبيدي **طبقات النحويين** ص ٢٣ ـ ٢٤ ، ولياقوت **معجم الأدباء** جـ ٦ ص ٩١ توفي بعد ١٠٠ هـ .

(٥) نصر ، أحد القرّاء والفصحاء ، أستاذ أبي عمر بن العلاء توفي ٨٩ أو ٩٠ هـ راجع فيه للزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ٢١ **ونزهة الالباء** للأنباري ص ٢٣ ـ ٢٤ ولياقوت **معجم الادباء** جـ ٧ ص ١٠ وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٦) يحيى بن يعمر ، عالم بالعربية والحديث من الفصحاء والقضاة وكان صاحب غريب توفي ١٢٩ هـ . راجع فيه للأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٤ ـ ٢٦ ، ولياقوت **معجم الادباء** جـ ٧ ص ٢٩٦ وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٤١٧ وللزبيدي **الطبقات** ص ٢١ .

ويحيى . حيث يتبين للناس ، بعد انتشار القراءة ، وانحسار الأخذ عن العلماء صدراً بصدر ، ومشافهة ، عدم كفاية ما وضعَهُ الدؤلي ، ليخلِّص الناس من الخطأ ، ولتسلم اللغة من الفساد ، وليُتلى القرآن بشكل صحيح ، خال من اللحن . فقد كانت الأحرف المتشابهة تُكتب على هيئة واحدة ، فلم يكن يفرق بين الباء ، والتاء شيء مما أدى إلى التصحيف وإلى بعض الأخطاء المشينة ، كما نقل الجاحظ في «الحيوان» حول عامل المدينة للخليفة هشام بن عبد الملك الذي قرأ «أحصِ من قبلك من المخنثين» «بأخصِ »[١] . كما نُمي إلى الحجاج قراءة آية **﴿وما يجحد بآياتنا إلاّ كلُّ ختَّار كفور﴾** «بلفظ جبار»[٢] . ففزع هذا الأخير فزعاً كبيراً ، وطلب إلى كتّابه أن يجدوا لذلك حلاً ، فأجابه إلى ما سأل : نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر . فوضعا نُقَطاً لاعجام الحروف يتم بوساطتها معرفتها بعضها من بعض . وهنا ظهر إلى الوجود اسم (الحرف المهمل ، والحرف المعجم) حيث تمَّ تمييز الحروف المهملة ، عن الحروف المعجمة ، كما تمَّ تمييز الحروف المعجمة بعضها من بعض خاصة تلك المتشابهة : كالتاء ، والباء ، والنون ، والياء . ثم كان إهمال الحروف وإعجامها في القرآن ، وفي مصحف عثمان بالذات[٣] .

٣ ـ وضع القواعد اعتمد النظر الشخصي وهذا تطوُّر مهم :

إنه من الفائدة في مكان أن يُخصَّ هذا الموضوع بجانب من الحديث ، وإن ظن أنه يمكن استنتاجه من خلال السياق في البحث . ومدار الفائدة فيه تسليط الاضواء على أدوار بعض العلماء الكبار الذين تمكنوا بثاقب نظرهم ، وطول باعهم في المباحثة العلمية الصرفة ، من الوصول إلى بعض الأسرار التي حكمت اللغة العربية الفصحى ، وكانت الأسس التعبيرية فيها . وعليه نستطيع أن نسلك ضمن هذا الاعتبار الأساسي عمل علي عند وضعه للحدود العامة ، وكذلك نستطيع أن نسلك أيضاً عمل الدؤلي من بعده عندما طبَّق تلك الحدود ، وانبرى بوساطتها يتصدَّى للّحون الناشئة التي وضع لمعالجتها الأبواب الخاصة بها . وقل الأمر نفسه بالنسبة لدوره في نقط القرآن ، عندما ابتكر نقطه بنقط الإعراب .

---

(١) الجاحظ ، **الحيوان** ، جـ ١ ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٢) سورة لقمان ٣١/٣٢ .

(٣) أبو أحمد العسكري ، **التصحيف والتحريف** ، ص ١٠ ولابن أبي داود **المصاحف** نشر ليدن ١٩٣٧ م ، ص ١٤١ .

ولم يختلف الأمر كثيراً مع تلاميذ أبي الأسود، عما قام به هو؛ بل تابعوه، ونسجوا على منواله، خاصة عند محاولتهم تقليد أبي الأسود باختراعهم مبدأ إعجام الحروف، وإهمالها. حيث اعتمدوا على عمل أستاذهم السابق، وأضافوا إلى ما قام به أموراً، صانوا بها الوحي من الفساد، والعبث.

ثم يأتي دور ابن أبي إسحٰق[1] الذي يمثّل طور النظر الشخصي خير تمثيل، والذي قال فيه القدماء كابن سلام[2] عندما حاولوا أن يصفوا طبيعة عمله: «كان أول من بعج النحو، ومدَّ القياس، وشرح العلل»[3] وكأبي الطيب اللغوي[4] الذي يقول فيه: «هو أعلم أهل البصرة، وأعقلهم، فرَّع النحو، وقاسه وتكلَّم في الهمز حتى عمل فيه كتاباً مما أملاه»[5]. وواضح من هاتين الروايتين اتفاقهما على تفريع النحو عن أصوله التي وضع عليها في مرحلة سابقة، لأنه تمكَّن من تلك الأصول بعد دراستها على أصحابها، أو بعد تعرُّفه إليها بطريقة ما لم تصلنا. واللافت للنظر هنا هو تمكن هذا المولى من القيام بهذا كلِّه، وهو من غير العرب. فقد تمكَّن من ذلك بعد أن اعتمد على وجهة نظره الخاصة، أو بعد أن توسَّع بالقياس على ما ورد عن العرب للوصول إلى قول ما لم يروَ عنهم. وبعد أن توسَّع بالحديث عن العلل الموجبة لتغيير الإعراب بين شكل تعبيري، وشكل آخر. وهذا ما يدفعنا إلى رفض ما جاء به بعض المحدثين[6] ـ حيث نادى ببداية النحو مع ابن أبي إسحٰق من دون العناية بالمراحل السابقة عليه زمنياً، وعلمياً، بل من دون الاعتراف بها، لأنه يعدُّه

---

(١) مولى لآل الحضرمي، اسمه عبد الله توفي ١١٧ هـ وله شهرة وقدمة في النحو. راجع فيه **مراتب النحويين** للغوي ص ١٣، وللسيرافي، **أخبار النحويين والبصريين** ص ٢٥ وللزبيدي. **طبقات النحويين** ص ٢٥ ـ ٢٦ ولابن سلام، **طبقات فحول الشعراء** ص ١٤ وللأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٦، وللقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ١٠٤.

(٢) حاشية الصفحة ٨١ من كتابنا نشأة النحو العربي حيث التعريف بالجمحي وباسمه وبدوره وبالمرجع المحال عليه في ذلك.

(٣) ابن سلاّم، **طبقات فحول الشعراء**، ص ١٤.

(٤) حاشية الصفحة ٨١ من كتابنا نشأة النحو العربي حيث التعريف به وبدوره مع الإحالة إلى المرجع في ذلك.

(٥) اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١٢.

(٦) عنينا به شوقي ضيف في كتابه **المدارس النحوية**، حيث عدَّ ابن أبي إسحٰق أول نحوي بالمعنى الدقيق للكلمة ناسياً أن التفريع مستحيل قبل التأصيل ومتجاهلاً أن هكذا مباحث تستدعي بدايات لا بدَّ منها كأوليات لها.

أول النحاة ـ لأن طبيعة الرواية تناقض هذا الاستنتاج المحتاج إلى السند التاريخي فضلاً عن مغايرته للشياع المطمئن في هذه المسألة ، إضافة إلى الخطأ الحاصل من الأخذ بهذا الاستنتاج ، الذي يناقض عقلياً طبائع الأمور إذ كيف يفرِّع الإنسان ، طالما أن الأصول لم توضع بعد .

وقل الأمر نفسه بالنسبة لعيسى بن عمر(١) ، أحد الثقات الكبار ، فهو مولى ، وقد عمَّم في قياسه ، وكان كأستاذه ابن أبي إسحٰق يطعن على العرب الفصحاء ، إذا خالفوا القياس ، ولم يكتفِ بذلك بل وصل طعنه إلى الجاهليين(٢) والفحول . وهذا تطوُّر مهم حيث أُخضعت اللغة للمقاييس بدل أن يكون العكس هو الصحيح ، ليحكم عليها بالشذوذ ، ولذا اجتهد العلماء بعده ، وبعد أستاذه تأثُراً بهما في تحصيل الأجوبة بما يوافق آراءهم الخاصة ، وطلبوا التعليل وفق ما يرونه ، وما يجتهدون بتخريجه فكانت الاختلافات ، وكان التمذهُب في النحو .

وكذلك بالنسبة إلى أبي عمرو بن العلاء(٣) ، الذي لم يتورَّع عن الطعن في العرب الحجة بأقوالهم ، عند مخالفتهم لما قال لأنه «يعمل على الأكثر ، ويسمي ما خالفه لغات» . وما ذلك إلاَّ بتأثير المفاتشة ، والمقايسة ، وإعادة النظر، والجدل والنقد ، والسؤال عن العلة ، بملاحظة الشواذ ، والقياس .

وهكذا بالنسبة إلى يونس بن حبيب المولى أيضاً الذي اختط لنفسه مساراً خاصاً استبد فيه بآرائه ، وانفرد بها عن غيره من النحاة حتى قيل فيه : كانت ليونس مذاهب ، وأقيسة تفرد بها(٤) .

---

(١) مولى لآل خالد بن الوليد ، أهمُّ تلاميذ الحضرمي ، وقد مضى على طريقته في القياس والتعليل هو صاحب أول كتابين جامعين لم يصلانا وهما الاكمال ، والجامع ، راجع فيه للّغوي **مراتب النحويين** ص ٢١ وللزبيدي **الطبقات** ص ٣٥ وللسيرافي **أخبار النحويين** ص ٣١ وللأنباري **النزهة** ص ٢٨ .

(٢) وذلك معروف مشهور عنه فراجعه حيث وردت أخباره كما ذكرنا تحت رقم ٢ من هذه الحاشية .

(٣) تميمي ، تتلمذ للحضرمي كعيسى ، اهتم باللغة أكثر من النحو ، راجع فيه **مراتب النحويين** ص ١٣ ، **وطبقات الزبيدي** ص ٢٨ **وأخبار النحويين** ص ٢٨ **ونزهة الالباء** ص ٣٠ .

(٤) يونس من موالي بني حنيفة تتلمذ للحضرمي ، وسمع عن الأعراب بعد رحيله إلى البوادي وهو من أساتذة سيبويه . راجع فيه للغوي **مراتب النحويين** ص ٢١ ، وللسيرافي **أخبار النحويين البصريين** ص ٣٣ ، وللأنباري **نزهة الألباء** ص ٤٧ ، ولياقوت **معجم الادباء** جـ ٢٠ ص ٦٤ ، وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٦٥ .

بعد هذا العرض ، يمكننا أن نقطع أن وضع القواعد تأثّر إلى حدٍّ بعيد بمنطلقات شخصية كان العمدة فيها وجهات النظر الخاصة ، وهذا مهم جداً لأنه كان السبيل إلى الخلاف في الآراء بين أتباع المدرسة الواحدة في النحو ، فضلاً عن الخلافات بين المدارس المتعددة فيه ، الأمر الذي نشأ ، ووجد بعد أن تطوّر الخلاف بين السابقين ، واللاحقين ، أو بين الأساتذة والطلّاب إلى جدال انقسم عنده النحاة ، وطلّاب العلم إلى مؤيدين ، ومعارضين . الأمر الذي هيأ لشكل آخر من أشكال التطوُّر ، وهو الخلاف المدرسي المذهبي في النحو .

٤ ـ إيجاد المذاهب :

وهو أيضاً شكل آخر من أشكال التطوُّر في النحو عرفه الصرح النحوي أولاً بشكله البسيط القائم على الخلاف بين السابق ، واللاحق من العلماء والطلّاب بعد اعتماد كل منهم على طبعه ، ونظره الشخصي ، ثم انتقل إلى شكل آخر أكثر بروزاً ، ولكنه ظل محصوراً ضمن أتباع المدرسة الواحدة (أي المدرسة البصرية) ، لأن هذه المرحلة لم تُسجِّل تمذهباً بعد ، بالمفهوم العام للتمذهب المتعمَّد القائم على تعمد المخالفة ، حيث أصبح كل عالم يجيب بما يحلِّل ، وبما يرى من دون أن يرى حرجاً فيما صنع لخروجه على غيره ، أو على الإجماع . كالذي نقله القفطي عن تفرُّد أحدهم بقراءة مخالفة قال : روى محبوب عن خالد الحذّاء قال : «سألت نصر بن عاصم . كيف تقرأ ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد**﴾ فلم ينوِّن ، فأخبرته أن عروة ينوِّن : وقال : بئسما قال»[١] .

ومما يلفت النظر هو ذلك التمذهب في النحو الأمر الذي عُرف مع أبي جعفر الرؤاسي[٢] ، ومعاذ الهرَّاء[٣] ، مؤسِسَي المدرسة الكوفية في النحو[٤] ، والصرف .

---

(١) القفطي ، **إنباه الرواة على انباه النحاة** جـ ٣ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ . ومنه ما ورد في الموضوع عن الأخفش الأوسط الذي كان أشهر من توسع بالخلاف على أساتذته الخليل ، وسيبويه راجع ترجته في **الانباه** جـ ٢ ص ٣٦ .

(٢) هو محمد بن الحسن ، أول من وضع النحو من الكوفيين في كتاب توفي ١٨٧ هـ ، راجع فيه **الفهرست** ص ٩٦ **ونزهة الالباء** ص ٥١ **والاعلام** جـ ٦ ص ٢٧١ .

(٣) أبو مسلم ، عرف بهذا الاسم لبيعه الثياب الهروية توفي ١٨٧ هـ راجع فيه **طبقات الزبيدي** ص ١٣٦ **ونزهة الالباء** ص ٥٠ **والانباه** جـ ٣ ص ٢٨٨ ، **واعلام** جـ ٧ ص ٢٥٨ .

(٤) يعيد بعض المحدثين سيراً على نهج الأقدمين في التعميم الأمر إلى الكسائي والفرّاء بحجة ما أورده اللغوي ص ٢٤ من المراتب عن الرؤاي «هو مطروح العلم وليس بشيء» منكرين عليه دورة ، ولكن الرواية تؤكد أنه صاحب علم وإن كان فاسداً فهو المؤسس وتوسع تلميذاه بما قاله من بعده .

الأول في النحو ، والثاني في الصرف . بعد أن اختلفا في النحو[١] ، والصرف إلى نحاة البصرة وعلى رأسهم عيسى بن عمر الآنف الذكر ، وأبو عمرو بن العلاء . من هنا يبدأ التمذهب في النحو بأن يكون الجواب عند مدرسة مناقضاً له في الأمر نفسه عند المدرسة الأخرى . وقد توطد هذا ، وتأكد مع ما قام به الكسائي[٢] ، والفرَّاء[٣] ، اللذان أرسيا مبادىء المدرسة الكوفية في النحو .

٥ ـ انتصار كل نحوي لمدرسته :

ليس يخفى أن الحديث عن هذا الموضوع أمر من الصعوبة في مكان ؛ لسكوت القدماء عنه ؛ ولاكتفائهم منه بأجوبة عامة وقفوا فيها إلى جانب البصريين ، وتركوا فيها الكوفيين لسبب ، أو لآخر[٤] .

مع عودتنا التاريخية إلى موضوع الخلاف بين النحويين نلاحظ أن هذا الموضوع انطلق من الخلاف المنهجي الشخصي بين أبناء المدرسة الواحدة والبصرية بشكل أخص ـ كما سماهم العلماء لاحقاً ـ إذ لا يخفى أن الانتماء المدرسي في النحو القائم على التصميم والتعمُّد لم يكن إلّا بعد اشتهار أمر مدرسة الكوفة . حيث يبدأ التمذهب المتعمَّد ، أو المقصود لهذه المدرسة أو تلك . ولذا يسعنا أن نُعلِن بملء الفم أن أبا الأسود الدؤلي لم يكن في عمله النحوي بصريَ المذهب ، لأنه لم يتعمد أن يتمذهب في النحو بمذهب ، ولم يقف مع فريق ضد آخر ، وإنما عمل على إحياء النحو علماً قائماً بنفسه يحارب به اللحن أنى وقع في البصرة ، أو في الكوفة ،؟ فضلاً عن أنه لم يكن بعد في الكوفة من يقف بازائه ، ليجعله نداً له . وإلا لعهدنا لذلك الند أو «غير الموجود» بالرياسة والريادة . وقل الأمر نفسه عن النحاة بعده حتى سيبويه .

---

(١) هذا ما تنبئنا به كتب التراجم والطبقات راجع ترجمتهما في المصادر الواردة تحت الرقمين ٢ و ٣ من هذه الصفحة .

(٢) علي بن حمزة فارسي ، أحد أصحاب القراءات السبع توفي ١٨٩ هـ راجع فيه **المراتب** ص ٧٤ **وطبقات الزبيدي** ص ١٣٨ **ونزهة الألباء** ص ٥٨ .

(٣) يحيى بن زياد فارسي ، إمام الكوفيين في عصره توفي ٢٠٧ هـ راجع فيه **مراتب النحويين** ص ٨٦ **وطبقات الزبيدي** ص ١٤٣ **ونزهة الالباء** ص ٨١ .

(٤) ليس المقصود التأريخ الكامل لقصة الخلاف ، لأن هذا خارج عن طبيعة الموضوع الذي يعالجه البحث ، هو يستأهل بحثاً خاصاً به ولكن من باب إلقاء الضوء على الموضوع ومن باب الإشارة إلى الوجه الصحيح فيه ، نشير إليه . من ذلك ما نلمسه في دراسات أغلب المعاصرين جرياً على ما قام به دارسو النحو من القدماء بمناصرة البصريين على حساب الكوفيين لأنهم أقدم ، وأعلم في النحو دون عرض المسائل علمياً على بساط المقارنة والبحث .

ويمضي الأمر بعد الدؤلي ، فتكون طبقة تلاميذه ، وطبقة تلاميذ تلاميذه ، ثم تكون الطبقة الرابعة[1] ، مع عيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء[2] وهنا تظهر أول طبقة من الكوفيين مع الرؤاسي والهرّاء الآنفي الذكر ، واللذين رحلا إلى البصرة وأخذا عن علمائها ، أفراد الطبقة الرابعة التي كان منها عيسى بن عمر الذي وصل بطعنه إلى الفصحاء ، والفحول من الجاهليين من أجل قياسه ، ومنها أيضاً أبو عمرو بن العلاء ، الذي لم يبالِ بالاحتجاج بغير ما احتجَّت به العرب[3] . وطبيعي أن يستمعا إلى عرب غير الذين سمع عنهم البصريون ، لانتمائهم المكاني الذي حداهم إلى ذلك ، من حيث إقامتهم . فكانت بداية الخلاف الذي يراه البحث ناتجاً في قسم كبير منه ، أساساً ، ومنشأ عن هذا الاختلاف في الأخذ عن الأعراب ، لا عن تلك الأسباب التي أغرب المحدثون في أحاديثهم عنها ، عن الواقع ، وابتعدوا بها عن الحق وسوي الصراط والذي اجتهد هؤلاء المحدثون في عزوه إلى أسباب بعيدة عن إمكان القبول المطلق غير المردود ، فجعلوا من هذه الأسباب : السياسي ، والعصبي ، والعلمي ، والديني ، والجغرافي ، والحياتي وغيره[5] . كما فعل سعيد الأفغاني[4] حيث نرى معه من الأسباب ما يلي :

١ ـ السياسي .
٢ ـ ومن أجل القوت في قصور الحكام ، وكانوا يميلون إلى الكوفيين .
٣ ـ والعصبية للبلد ، أكثر منه للسياسة ، ولذا انضم البصريون لعائشة والكوفيين لعلي ، وكما فعل عباس حسن[6] حيث نرى معه الأسباب كما يلي :
١ ـ العلمي ، وهو الخلاف حول مسائل : القياس ، والسماع ، والحكم بالشذوذ .
٢ ـ غير العلمي ويتفرع منه :
أ ـ التعصُّب المذهبي .

---

(١) تبعنا في ذلك **طبقات الزبيدي** وهو مدار البحث كله (التطوُّر في ضوء **طبقات الزبيدي**) .
(٢) ورد التعريف بهما حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .
(٣) الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .
(٤) في هذا الموضوع **القواعد النحوية** ، لعبد الحميد حسن ، وفي **أصول النحو** للأفغاني **واللغة والنحو** لعباس حسن .
(٥) في التعريف به حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو العربي وراجع في آرائه كتابه في **أصول النحو** ص ١٥٩ ـ وما بعدها .
(٦) أستاذ جامعي مصري معاصر له كتب مشهورة منها **اللغة والنحو** حيث آراؤه من ص ٨٧ ـ ١٢٦ وقد نشرته دار المعارف بمصر ١٩٦٦ م .

ب ـ الوضع السياسي .
ج ـ الأحزاب القائمة .

وكما فعل عبد الحميد حسن[1] حيث نرى معه من الأسباب ما يلي :

١ ـ الموقع .
٢ ـ ميول السكان ، وطباعهم .
٣ ـ درجة الصفاء في العروبة .
٤ ـ منهج البحث .

واللافت للنظر في هذه الأسباب أن الذين وضعوها لم يأخذوا بعين الانتباه ذلك التطوُّر الحاصل بعد إعمال النظر الشخصي ، ولم يراعوا مسألة الخلاف بين أبناء المدرسة الواحدة ، كالذي اشتهرت أخباره عند يونس ، وتفرُّده بأقيسته ، ومذاهبه ، وعند الأخفش الأوسط ، ومخالفته للخليل وسيبويه وغير ذلك كثير . ولعلَّ خير دليل على ذلك حادثة خلاف عيسى بن عمر ، مع أبي عمرو بن العلاء في «ليس الطيب إلّا المسك»[2] .

ثم يأتي دور الخليل بن أحمد ، الذي مكَّن للنحو بناءه من دون أن يظهر ذلك الخلاف بينه وبين أحد الكوفيين ، ومنهم الكسائي المذكي لنار مدرسة الكوفة حتى كانت وفاته حيث ينتقض عليه سيبويه ـ وهذا طبيعي ـ بعض آرائه وفق ما يناسب عقله ، ويخرجها بما يوافق رأيه كما في حديثه عن الحال وتنكيرها ، وتعليل ورود بعض المعرَّفات ومنها عن العرب[3] ، وحديثه عن العامل المعنوي لرفع المبتدأ ، وهو العامل المعنوي الوحيد الذي أثبته سيبويه[4] . وكما خالفه في أن إذن تنصب المضارع بنفسها ، لا بأن مضمرة كما ذهب الخليل[5] ، وغير ذلك كثير . ومع سيبويه

---

(١) مؤلف مصري معاصر شارك في عدة مجالات ثقافية في التعليم والمحاضرة والكتابة له كتب منها كتابه **القواعد النحوية** المنشور في مكتبة الأنجلو أمريكية عام ١٩٥٢ م حيث رواية ما نقلنا ص ١ ـ ٨٢ .

(٢) في هذه الحادثة ما نقله عنها القالي أبو علي في **الأمالي** ، ص ٣٩ ، وما نقله السيوطي في **المزهر** جـ ٢ ص ٢٧٧ . وقد وردت مفصلة في حاشية الصفحة ٥٢ من كتابنا نشأة النحو فلتراجع .

(٣) سيبويه ، الكتاب جـ ١ ص ٢٢٨ باب الحال .

(٤) سيبويه ، م. ن. جـ ١ ص ٣٢٤ باب الابتداء .

(٥) سيبويه ، م. ن. جـ ١ ص ٤٨١ باب إذن .

نستطيع أن نتحدَّث عن خلاف بصري ، كوفي . بعد أن نضجت آراء الرؤاسي ، والهرَّاء ـ التي أخذاها عن عيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء كتلميذين مع زميلهما الخليل مدعِّم الصرح النحوي البصري ـ على يد الكسائي ، والفرّاء اللذين مكّنا للنحو الكوفي ووضعا له مميزاته التي يستقل بها لما حصَّلاه من علوم عقلية ، ونقلية . ولما ألمَّا به من علم بمسائل النحو البصري حيث درس الأوَّل على عيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، والخليل بن أحمد . ودرس الثاني على يونس ، واختصَّ به . وقد مكّن آراءهما موقف الأخفش الأوسط[1] في مسائل الخلاف التي خالف بها سيبويه مما حدا بتلاميذهما من بعد إلى النسج على منوال الخلاف ، والتركيز عليه .

والمهم هنا هو الحد الناشىء مع سيبويه ، بين ما مضى من نحاة لم يعملوا بمنطق الخلاف المدرسي ؛ لجهلهم به ، أو قل لعدم اهتمام نحاة البصرة بآراء النحاة غيرهم ، لعدم أهميتها ، وخطورتها ، وبين ما لحق بعد سيبويه والمسألة الزنبورية ، بين الكسائي وبينه ، تلك المسألة التي سلَّطت الاضواء على الخلاف ، وأكَّدته بعدها لأن الكسائي لم يعتم بعد ، أن يكون تلميذاً مشدوهاً بعلم أستاذه الخليل . ولذا اعتمر الأمر في نفسه بعد أن خرج إلى البادية اقتداء بخروج الخليل إليها ، وبعد أن أعاد النظر في مبادىء الرؤاسي والهرَّاء ، فانبرى ينشر بعض تلك المبادىء ، مدافعاً عن أصولها ، وأسسها بما قبسه عن الأعراب ، وجسّد ذلك الخلاف عبر تحدِّيه لسيبويه . متخذاً في ذلك كله منهجاً خاصاً به مختلفاً عن مناهج الرؤاسي ، والخليل ، وغيرهما[2] .

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة فارسي الأصل وتلميذ سيبويه وهو الذي فتح مسائل الخلاف عليه بعد موته لمعرفته بكتابه . إذ هو قارئه الوحيد عليه . ولم نذهب شأن بعض المعاصرين كشوقي ضيف إلى أن الأخفش الأوسط هو الذي أفاد الكوفيين مسائل الخلاف لأن الكسائي توفي ١٨٩ هـ وبعد ثماني سنوات من موت سيبويه وبعد عشر ونيف من انتصاره عليه في المسألة الزنبورية ، التي تدل على معرفة الكسائي السابقة بأمور الخلاف ومناقضتها مع البصريين . هذا إلى جانب عدم معرفة الكسائي بالأخفش الأوسط عندما ناظره بمائة مسألة خطأه فيها بعد إخبار سيبويه للأخفش بما حصل له مع الكسائي عند مناظرته له ـ راجع في هذا الياقوت **معجم الادباء** جـ ١١ ص ٢٢٧ وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٥٩٠ وللشريشي **شرح مقامات الحريري** جـ ٢ ص ١٣ سطر .

وراجع في ترجمة الأخفش الأوسط ، للغوي **مراتب النحويين** ص ٦٨ ، وللسيرافي أخبار **النحويين** البصريين ص ٥٠ ولابن النديم **الفهرست** ص ٧٧ .

(٢) في هذا الموضوع ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٩٦ السطر ١١ ، مناقضة الكسائي للفراء في مسائل الرؤاسي .

وعليه نستطيع أن نقول : إن انتصار كل نحوي لرأيه بدأ قديماً ، قبل التمذهب في النحو بملاحظة وجهة النظر الشخصية لكل عالم ، بحسب إحاطته بالعلم ، وبالعلوم العقلية الدخيلة ، ثم انتقل الخلاف إلى مجال آخر ، وهو الخلاف بين أتباع المدرستين : البصرة ، والكوفة . ذلك الخلاف المدروس ، والمقصود . وهذا تطوّر مهم . لأنه لم يكن خلافاً لفظياً مناطه مجرد التنميق ، وشهوة الجدل المنطقي ، بل كان خلافاً له آثاره في اللغة ، ونحوها وسائر شؤونها ، إذ يأتي لغوي فيأخذ عن أعرابي دون آخر فيجيء لغوي آخر ، فيرضى بالأخذ عن الإثنين معاً . . . فتصدر الأحكام متناقضة متضاربة»[١] . وبعدها انتصر كلٌ لمدرسته ، ورأيه .

٦ ـ الخطوات الفاصلة إبان المراحل المتعاقبة[٢] :

١ ـ الخطوة الأولى كانت للدؤلي ، التزاماً منه بإشارة علي . ومعها وُضعت بعض الأبواب ، ونقط القرآن بنقط الإعراب[٣] .

٢ ـ الخطوة الثانية لتلاميذ الدؤلي ، كانت بتعميم ما وصل إليه الدؤلي من أبواب وقواعد تصون اللسان عن الخطأ ، وبإقراء الناس للقرآن المنقوط بنقط الدؤلي[٤] .

٣ ـ الخطوة الثالثة كانت لإثنين من تلاميذ الدؤلي وهما : نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر . ومعها يُنقط القرآن بنقط الإعجام ؛ لمعرفة الأحرف المتشابهة بعضها من بعض .

٤ ـ الخطوة الرابعة كانت لابن أبي إسحٰق ومعها توسّع في استخدام القياس ، وشرح العلل ، ووضعها[٥] .

٥ ـ الخطوة الخامسة كانت مع عيسى بن عمر . حيث تُقدَّر العوامل

---

(١) عباس حسن ، **اللغة ، والنحو بين القديم والحديث** ص ١٢٦ .

(٢) التسجيل عددي ، لتبيان الخطوات تدريجياً بدون تداخل . تمَّ فيه تسجيل الجديد فقط وفاق ترتيب العلماء في طبقات الزبيدي . دون إعادة ما أخذه الطالب عن أستاذه . ودون ذكر العلماء الذين لم يأتوا بجديد على السابق لأن عملهم ليس تطوراً .

(٣) التعريف به حاشية الصفحة ٣٥ من كتابنا نشأة النحو العربي والصفحة ١٤٧ في عمله .

(٤) التعريف به حاشية الصفحة ٤٣ من هذا الكتاب والمتن في أعمالهم .

(٥) التعريف به حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب والمتن في عمله .

المحذوفة ، ويكون أول كتابين له هما : الإكمال ، والجامع . وهي أول محاولة لبناء صرح نحوي[1] .

٦ ـ الخطوة السادسة مع أبي عمرو بن العلاء ، حيث يأخذ بالاطِّراد في القواعد ، ويتشدد في القياس ، وبيني على الأكثر ، ويسمِّي ما خالفه لغات[2] .

٧ ـ الخطوة السابعة مع يونس بن حبيب . حيث ينتهج طرقاً خاصة ليصبح ذا مذاهب ، وأقيسة تفرَّد بها[3] .

٨ ـ الخطوة الثامنة مع الخليل بن أحمد . حيث توضع معه القوانين للنحو والتصريف ، كما توضع المصطلحات (مبتدأ ، خبر ، حال) كما توضع قوانين الإعلال ، والقلب ، ونظرية العوامل ، والمعمولات ، والاحتمالات في الإعراب ، والتمارين النحوية[4] .

٩ ـ الخطوة التاسعة مع سيبويه[5] الذي نقل بالنحو خطوة مهمة ، وفاصلة . بملاحظة ما وصلنا فهو صاحب أول كتاب نحوي نثري وصلنا وكتابه فضلاً عن ذلك يعلم قواعد العربية ، وأساليبها ودقائقها التعبيرية .

١٠ ـ الخطوة العاشرة مع الأخفش الأوسط[6] . راوية كتاب سيبويه والسبيل الوحيد إلى شرحه ، ودرسه . والذي أوتي معرفة بلغات العرب مكَّنته من مخالفة أستاذه في كثير من المسائل التي تفرَّد بها اعتماداً على وجهة نظره .

١١ ـ الخطوة الحادية عشرة مع قطرب[7] حيث يخالف سيبويه ، وغيره من النحويين في التعليل وفاق ما يراه كما يخالفه في الإعراب بالحركات ، والحروف وغير ذلك من المسائل الفرعية .

---

(١) التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب والمتن في عمله .
(٢) التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب والمتن في عمله .
(٣) التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب والمتن في عمله .
(٤) التعريف به حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب والمتن في عمله .
(٥) عمرو بن عثمان بن قنبر ، فارسي من موالي بني الحارث بن كعب تلمذ لحماد بن سلمة ، وعيسى ، ويونس ، واختص بالخليل . ناظر الكسائي في المسألة الزنبورية ص ٦٥ ، وللسيرافي ، **أخبار النحويين البصريين** ص ٤٨ وللزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ٦٦ ولابن النديم **الفهرست** ص ٧٦ .
(٦) ورد التعريف به في حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب وفي المتن التعريف بآرائه .
(٧) هو محمد بن المستنير . تلميذ سيبويه وهو الذي سماه بهذا الاسم . أدَّب أولاد الرشيد توفي ٢٠٦ هـ راجع فيه **المراتب** ص ٦٧ وأخبار النحويين ص ٤٩ **والفهرست** ٧٨ .

١٢ ـ الخطوة الثانية عشرة مع الجرمي[١] . وله آراء في النحو والصرف خالف بها جمهور النحاة ومن بينهم سيبويه .

١٣ ـ الخطوة الثالثة عشرة مع المازني[٢] . وله آراء استقل بها ، وخالف فيها في النحو ، والصرف سيبويه ، والخليل والجمهور من النحاة وهو من خطا تجاه فصل النحو عن الصرف ، وأقامه علماً مستقلاً ، ويسَّره بعده للمتخصصين من أمثال أبي علي الفارسي ، وتلميذه ابن جني وعنده أن القياس مهم ، ويُعتمد عليه .

١٤ ـ الخطوة الرابعة عشرة مع المبرِّد[٣] . وقد نقل المقالات الخاصة بالبصريين ، وقرَّرها ، وأجرى الفروع والعلل ، والمقاييس عليها . كما خطَّأ سيبويه . وكان يقدِّم السماع على القياس .

١٥ ـ الخطوة الخامسة عشرة مع الزجّاج[٤] . وقد خالف سيبويه والجمهور في العوامل ، في مسائل نحوية وصرفية كثيرة . وله آراء خاصة في التعليل . وفي التصريف بعضها جيد ، وبعضها بعيد كلَّ البعد ، غريب .

١٦ ـ الخطوة السادسة عشرة مع ابن السرّاج[٥] وقد خطا بالنحو خطوة مهمة تجاه العلَّة ، وعلَّة العلَّة ، كما قدَّم القياس على الشاذ والنوادر من السماع داعياً إلى إسقاطها . وله آراء خالف بها الجمهور في الصرف ، والنحو . وزاد على أبنية

---

(١) صالح بن إسحق . تلميذ الأخفش الأوسط والمازني دخل بغداد ودرَّس «الكتاب» حتى وفاته ٢٢٥ راجع فيه **مراتب النحويين** ص ٧٥ **وأخبار النحويين البصريين** ص ٧٢ **وطبقات النحويين واللغويين** ص ٧٦ **ونزهة الالباء** ص ١١٤ .

(٢) بكر بن محمد تلميذ الأخفش الأوسط ، وأعظم نحاة البصرة في عصره توفي ٢٤٩ هـ . راجع فيه **مراتب النحويين** ص ٧٧ **وأخبار النحويين البصريين** ص ٧٤ **وطبقات النحويين واللغويين** ص ٩٢ **ونزهة الالباء** ص ١٤٠ **وبغية الوعاة** جـ ١ ص ٤٦٣ .

(٣) محمد بن يزد أخذ عن الجرمي ثم المازني دخل بغداد وأختلف مع ثعلب ، الكوفي حتى وفاته ٢٦٨ هـ . وهو آخر ائمة البصرة المهمين راجع فيه **مراتب النحويين** ص ٨٣ ، **وأخبار النحويين البصريين** ص ٩٦ **وطبقات النحويين واللغويين** ص ١٠٨ **والفهرست** ص ٩٣ **وبغية الوعاة** جـ ١ ص ٢٩٦ .

(٤) إبراهيم بن السري ، تلميذ المبرِّد وحتى وفاته ٢٦٨ هـ علم ابن المعتضد توفي ٣١٠ هـ . راجع فيه ، للسيرافي **أخبار النحويين البصريين** ص ١٠٨ ، وللأنباري **نزهة الالباء** ص ١٨٣ وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤١١ .

(٥) محمد بن السري تلميذ المبرِّد وهو أصغرهم توفي ٣٢٦ هـ . راجع فيه للسيرافي **أخبار النحويين البصريين** ص ١٠٨ ، وللزبيدي **طبقات النحويين اللغويين** ص ١٢٢ ، ولابن النديم ، **الفهرست** ص ٩٢ ، وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ١٠٩ .

الأسماء ، وصيغها : إثنين وعشرين بناءً .

١٧ ـ الخطوة السابعة عشرة مع السيرافي[١] ومعها ينتصر لسيبويه ضد الكوفيين ، معلناً بصريته ، ولكنّه لم يتورَّع عن مخالفة سيبويه ، والخليل في بعض المسائل . وقد علَّل لما لم يعلِّل له النحاة ، وأكثر من تخريجات وجوه الإعراب .

هذا بالنسبة إلى مدرسة البصرة ، أما مدرسة الكوفة[٢] فقد كانت الخطوات فيها كما يلي :

١ ـ الخطوة الأولى مع الرؤاسي[٣] . ولا نعرف شيئاً عن آرائه النحوية لأن العلماء ودارسي اللغة ، والنحو اهتموا بالبصريين أكثر من اهتمامهم بالكوفيين ، بل لأنهم أهملوا الكوفيين تعصباً حيناً ، وعدم اهتمام حيناً آخر ، واكتفوا بنقل ما لا يشفي الغليل كقول أبي الطيب اللغوي فيه : «كان بالكوفة نحوي يقال له الرؤاسي ، وهو مطروح العلم ، وليس بشيء»[٤] كما نقلوا أنه أخذ عن عيسى ، وأبي عمرو .

٢ ـ الخطوة الثانية مع الهرَّاء[٥] ، والظاهر أنه أخذ عن البصريين أمور النحو ، والصرف ثم رجع إلى الكوفة ، وأملى . وأثر عنه تعرُّضه لمسائل في الصرف . ولذا عرف بأنه مبدع علم التصريف ، لأنه أول من باحث فيه .

٣ ـ الخطوة الثالثة مع الكسائي[٦] ، وهو الذي خطا بالنحو الكوفي خطوات سابقة تجاه الاستقلال . فقد توسَّع في القياس حتى على ما حكم عليه بالنُدرة ، والشذوذ كما قال البصريون . كما أصَّل أصولاً جديدة شملت النادر ، والشاذ ، كما أتسع في الرواية حتى عمَّن خالط الحواضر من الأعراب .

---

(١) هو الحسن بن عبد الله ـ تلمذ لابن السراج ترجم لنحاة البصرة توفي ٣٦٨ هـ راجع فيه للأنباري **نزهة الالباء** ص ٣٠٧ ، ولياقوت **معجم الادباء** ، جـ ٨ ص ١٤٥ ولابن النديم **الفهرست** ص ٩٣ ، وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٥٠٧ .

(٢) لا يعني تركنا ذكر العلماء الباقين إهمالاً لهم على كثرة عددهم . وإنما يعني عدم مشاركتهم بالإتيان بالجديد مما يوجب إدخالهم ضمن هذا السلك . واكتفاءهم بالدوران في حلقات أساتذتهم بتبليغ ما وصل إليه هؤلاء الأساتذة من آراء ومفاهيم . وقل الأمر نفسه بالنسبة لعلماء البصريين الذين أغفلنا ذكرهم أيضاً .

(٣) الرؤاسي أبو جعفر ، راجع في التعريف به في حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .

(٤) اللغوي ، **مراتب النحويين** ، ص ٢٤ .

(٥) حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب حيث التعريف به وبعمله .

(٦) حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب حيث التعريف به وبعمله .

٤ ـ الخطوة الرابعة مع الفرَّاء[١] . والذي وضع الأصول النهائية للنحو الكوفي ، فوضع مصطلحات جديدة ، وحلَّل الكلمات بما يخالف سيبويه ، وأستاذه الخليل . وغيَّر في كثير من العوامل والمعمولات والتقدير ، وتخريج المسائل . كما في ألقاب الإعراب ، والبناء ، واشتقاق المصدر من الفعل وإعراب الأفعال ، وأقسام الأفعال ، وبسط السماع ، والقياس ، ومنعهما وفق مذهبه . مع بعض المخالفة لأستاذه الكسائي .

وختاماً لا يفوتنا أن نذكر أن الخطوات الفاصلة هذه هي مراحل التطوُّر النحوي في كل من مدرستي : البصرة ، والكوفة ، بحسب مفهوم كلمة تطوُّر الخاص المبني على تغيُّر الحدود المتلاحقة كما لا تفوتنا الإشارة إلى أن هذه المعالجة هي من حيث التصوُّر العام المعزول عن كل مؤثر ، والذي يلاحق مسائل النحو كما كانت عليه مع الأعلام النحاة ، دون التعرُّض لمتعلقات التطور الأخرى ، والتي يجب بحثها على حدة ، والتي ستبحث لاحقاً مع كل علم لسبر أغوار التطوُّر بعد أن قرَّ الرأي على أن يكون هذا العمل ، محصلة ، يسجل فيها تطوُّر النحو في مسائله فقط .

٧ ـ وجود كتاب سيبويه لم يكن تطوُّراً مفاجئاً ، وإنما تطوُّر بالغ الأهمية :

مما تقدم نستطيع أن نتبين انتماء عمل سيبويه إلى الخطوة التاسعة من خطوات التطور النحوي العام . إلى جانب معرفتنا بانتسابه الطبقي[٢] إلى الطبقة السادسة من طبقات البصريين عند الزبيدي[٣] . وهذا إن دلَّ على شيء ، فهو يدل على إمكان الحكم على كتابه ، بأنه نتيجة طبيعية للمراحل السابقة عليه ، زمنياً وعلمياً[٤] وبدهي أن تطبيقه على الطبقة السادسة كان وفق ترتيب أخذه ، وتعلمه على سابقيه من أبناء الطبقة الخامسة. . . وهكذا بصورة تنازلية متدرِّجة حتى وصولنا إلى الطبقة

---

(١) حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب حيث التعريف به وبعمله .

(٢) عنينا به التطبيق على الطبقات ، أي طبقات النحاة وفق **طبقات الزبيدي** . الكتاب المشهور في النحو .

(٣) هو محمد بن الحسن الإشبيلي ، عالم باللغة والأدب ، وهو مؤدِّب هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر . له كتب أشهرها **طبقات النحويين واللغويين** ، راجع فيه **الاعلام** جـ ٦ ص .

(٤) هذا من نتائج البحث في كتابنا الطبقة والنحو ، ومفاد ذلك أن الطبقة تعني في معناها العام المرتبة العلمية المستندة إلى السبق الزمني ، المذهبي ، المكاني ، العلمي . وهي عنوان مهم جداً في التاريخ الإسلامي كونها فرعاً من فروع الترجمة الأربعة للرجال عند المسلمين ، إضافة إلى الكنى والألقاب وحروف المعجم ، والوفيات . للتوسُّع في هذا راجع الطبقة والنحو من المقدمة إلى ص ٥٤ فهو موضوع شائق .

الأولى . كما أن ترتيب ما قام به من عمل نحوي في الحلقة التاسعة ، أو في الدرجة التاسعة يدفعنا إلى التأكيد على ما تقدَّم من كـون عمله العلمي المتطوِّر ، والمهم نتيجة علمية حتمية لما تقدم ؛ لاستحالة وجود هذا العمل الشامل القريب جداً من حدود التمام ، دون خطوات سابقة محدَّدة ، وممهدة ، مرَّ فيها النحو بأنواع متعددة من المجاهدات حتى استوى له بناؤه الناضج مع من أُوتي قدرة خلَّاقة حصَّل بها ما انتهت إليه الدراسات حتى عصر أستاذه الخليل . ولهذا نرد على من يتعجب من عمل سيبويه ، بـأن الخطوات الأولى التي سبقتـه من أيام أبي الأسـود حتى أيام أستـاذه الخليل بن أحمد ، هي التي مهَّدت له وساعدت على إيجاده بهذا الشكل التام .

ولولا تلك الخطوات لما تمكَّن صاحبنا من القيام بشيء على الإطـلاق ولذا ننفي ، وبكل جرأة أن يكون وجود كتابه تطوراً مفاجئاً كالذي جاء به أحمد أمين[١] عندما قال : «تاريخ النحو غامض في منشئه كل الغموض ، فإنَّا نرى فجأة كتاباً ضخماً هو كتاب سيبويه ، ولا نرى قبله ما يصح أن يكون نواة ، تبين ما هو سنَّة طبيعية من نشوء ، وارتقاء ، وكل ما ذكروه في هذا القبيل لا يشفي غليلاً»[٢] .

ولذا وباعتبار ما تقدَّم نستطيع أن نقول . إن كتاب سيبويه بالرغم من كونه أول كتاب نثري نحوي وصلنا ، فهو يمثل المستوى المهم من التطوُّر ، بملاحظة ما سبق من ممارسات نحوية اجتهد النحاة في صقلها وفي جعلها صحيحة ، وناجحة إلى أبعد الحدود . كما يمكننا القطع بأن عمله النحوي هو في القمة من الممارسة النحوية حتى عهده لما تربَّع به على رأس الهرم في الدرس النحوي ، وتقعيد القواعد في إحاطة وشمول ، وبل يمكننا تجاوز ذلك إلى القول : إن جميع النحاة بعده ما زالوا عيالاً عليه وعلى كتابه ، فيما قاموا به من أعمال نحوية لأنهم لم يخرجوا عن كون الواحد منهم بعد سيبويه والكتاب ، شارحاً له ، أو دراساً مستفيداً ، أو منتقداً محاولاً الوصول إلى بعض العيوب التي يمكن أن يصيب في اكتشافها أو يخطىء إشارة منهم جميعاً . إلى دور سيبويه الرائد والذي لا ينكر ، في الإيجابي من أعمالهم ، وفي السلبي لأن مجرَّد النقد يعني بلوغ ذلك الكتاب مستـوى في السيرورة ، حـداً إلى انتقاده للتخلُّص من عيوبه إن وقعت أو ـ وهذا هو الأغلب ـ إن مجرَّد الانتقاد يرفع إلى مجازاة العمل المنتقَد (بفتح القاف) وإن كان المنتقِد (بكسر القاف) بعيداً عن تلك المجاورة . ولذا نرى أن أغلب المتأخرين على سيبويه ، يتنافسون في دراسة كتابه ،

---

(١) التعريف به حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٢) أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** جـ ٢ ص ٢٨٥ والصفحة ١٦٨ من نشأة النحو العربي .

وفي شرحه ، وفي التعليق عليه عبر العصور المتلاحقة . بعد أن تمكَّن ذلك الفارسي الحاذق للغة العرب ، وأسرارها من جعل كتابه كتاباً جامعاً لأغلب مسائل النحو ، واللغة وكأنه ترك لغيره ممن يجيء بعده ما لا خطر له .

٨ ـ الأعمال الركائز في التطوُّر :

إن التأمل في الخطوات المتعاقبة[1] التي شاركت في بناء التطور النحوي ، يفضي بنا إلى ملاحظة نقاط ارتكاز فيها تميَّزت عن غيرها ، وعن مثيلاتها ، بكونها القواعد التي لا بد منها لقيام البناء . كما نلاحظ أنها الأدلَّة الأهم التي وجهت مسار النحو بأن شكلت له الحدود المقومة ، بينما تدخل الأعمال الأخرى فيها ، توابع لها .

هذه هي النقاط وإذا قرنَّاها باسم أعمال ، تتوزع على مدرستي البصرة والكوفة كما يلي :

١ ـ مع مدرسة البصرة :

١ ـ أعمال الدؤلي .
٢ ـ أعمال ابن أبي إسحق .
٣ ـ أعمال الخليل بن أحمد الفراهيدي .
٤ ـ أعمال سيبويه .
٥ ـ أعمال المازني .

٢ ـ مع مدرسة الكوفة :

١ ـ أعمال أبي جعفر الرؤاسي .
٢ ـ أعمال معاذ الهرَّاء .
٣ ـ أعمال الكسائي .
٤ ـ أعمال الفرَّاء .

كما تقدَّم ، وكما هو ملاحظ مع مراقبتنا لهذه الأعمال الثوابت نلاحظ استحالة عزل واحد منها ، أو إهماله . لأننا لو عزلنا ، أعمال واحد من هؤلاء الأعلام لامتنعت المتابعة ، واستحال السير في خط نحوي واحد ، ولحدثت وهدة في طريق التطوُّر ، لا يمكن تجاوزها ، والقفز عنها ، ومتابعة الطريق . إذ لولا الدؤلي لما كان للنحو أصل يبحث فيه ، أو يُتحدث به . مهما كانت تلك البدايات بسيطة ، بدائية ، وعادية لأنها هي النحو الصحيح ، والأصيل في النهاية . لا تلك الأشكال المعقَّدة التي آل

(١) الصفحات ٥٢ ـ ٥٦ من هذا الكتاب .

الأمر إليها . ولأن الفضل للمتقدم دائماً لفتحه الطريق ، كما أنشد ابن السرَّاج[1] ثنياً لتلميذه الذي قدَّم كتابه على كتاب أستاذه المبرِّد[2] :

ولكن بكت؟ فهاج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم[3]

وهكذا قلّ بالنسبة لابن أبي إسحٰق الذي كان الأساس في التوسُّع بالقياس ، ولولاه لما كان توسُّع ، ولما اضطردت قاعدة ، ولا قياس في النحو .

والأمر نفسه مع الخليل الذي أقام صرح النحو . الجامع للشارد والوارد في القواعد بعد فوائد العلماء السابقين عليه في المجال نفسه .

وليس أمر سيبويه بصعب التحصيل إذ لولا كتابه ، وما سُجل فيه لا نَعرف ما هي حال العربية اليوم .

وما أمر المازني بأخف ، وهو الذي فاز بقصب السبق في فصل النحو عن الصرف .

وهكذا قل بالنسبة إلى الرؤاسي[4] الذي مهما «كان مطروح العلم» ، فهو فاتح الخلاف الكوفي على البصريين ، ورأس تلك المدرسة التي لا يستطيع أحد نكران دورها في النحو ، أو نكران وجودها .

وما أمر الهرَّاء[5] أيضاً ، عم أبي جعفر الرؤاسي . أقل أثراً من عمل الرؤاسي ، هذا إلى جانب علمنا بتأسيسه لعلم الصرف .

وكذلك بالنسبة إلى الكسائي[6] الذي دعَّم النحو الكوفي على مبادئه المستقلَّة علمياً عن النحو البصري بما قبسه عن الأعراب في البوادي ، وبما أجال به فكره بعد إلمامه بعلم الخليل .

وهكذا بالنسبة إلى الفرَّاء[7] الذي تمكَّن من رسم الحدود النهائية للنحو الكوفي

---

(١) حاشية الصفحة ٥٤- حيث التعريف به ، وبشخصه ، والمتن في علمه .
(٢) التعريف به حاشية الصفحة ٥٤ حيث التعريف به . والمتن في عمله .
(٣) القفطي **إنباه الرواة على أنباه النحاة** جـ ٣ ص ١٤٥ **وبغية الوعاة** جـ ١ ص ٤١١ السيوطي ، **نزهة الالباء** للأنباري ص ١٨٣ حيث ورد هذا البيت في ترجمة ابن السرَّاج .
(٤) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .
(٥) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .
(٦) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .
(٧) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

على مبادئه ، وطرائقه ، المختلفة عنها في غيره .

٩ ـ استحداث القياس :

القياس موضوع مستحدث مستفـاد من العلوم العقلية الـدخيلة . ولقد عـرَّفه الفلاسفة ، والمناطقة ، وبأقوالهم التالية :

«القياس قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنه لذاته قول آخر»[١] وعرفه بقول آخر له :

«هو إثبات حكم في محل بعلَّة لثبوته في محل آخـر بتلك العلَّة»[٢] وعرَّفـه الشهرستاني بقوله :

«إنه آلة به تحصَّل المعلومات التي لم تكن حاصلة ، فتصير معلومة بالروية[٣] بعـد أن علَّق على استفادة ابن سينـا ، والفلاسفـة المسلمين هذا الأمـر وغيـره من المسائل العقلية عند أرسطو .

وعليه نرى مقارنة مع تعريف القياس النحوي السـابق[٤] مشابهـة العمل بين القياسين ، مع اختلاف المضمون . فعمـل القياسين واحـد ، ولكن الثاني أعم . حيث ينطبق على سائر الأعمال من نحوية ، وفلسفية وعلم أصول ، وكلام ، وجدل ، بينما الأوَّل خاص بعلم النحو ، وهذا مما يؤكد استفـادة الموضـوع في التسمية ، والشروط ، من الفلسفة بعد تعرُّف المسلمين عليها ، واطِّلاعهم على القياس فيها .

تاريخ القياس النحوي :

أما تاريخ القياس النحوي فله نسب عريق يبدأ مع نهاية القرن الهجري الأول ،

---

(١) الشيخ محمد رضا المظفر **المنطق** جـ ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر ، **أصول الفقه** ، جـ ٢ ص ١٨٣ .

(٣) الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم ، **الملل والنحل** جـ ٢ ص ١٥٩ .

(٤) ليس غرضنا هنا أن ندرس أمور القياس لأنه من متعلقات الفلسفة . بل غرضنا هو إثبات التطوُّر في النحـو من خلال استخـدام هذا العلم للقيـاس الموضـوع الدخيـل إسماً ، وأقسـاماً ، وشروطاً ، بعد الترجمات . ولذا قدمنا النوع الأول وهو خاص على النوع الثاني وهو عام . لتعيين المطلوب (راجع ص) من هذا الكتاب على إنّا لا نعرف بالضبط تأريخ التعرُّف إلى القياس عند المسلمين قبل الترجمات لأنه عرف بالفقه كما النحـو قبل التـرجمات ، ومثـل أبي حنيفة غير بعيد مع قياسه المشهور ، وإن كنا نرجِّح أن قياسه بسيط يختلف عن القياس المعقَّد الذي عرف لاحقاً مع الفلسفة ، بشروطه الكثيرة . الذي أعطي الاسم نفسه لمشابهة عمل كل منهما .

فقد أخذ به ابن الحضرمي[1] المتوفى ١١٧ هـ فكان يقيس ، ويعلّل ، بل «كان أول من بعج النحو ، ومد القياس وشرح العلل»[2] . وكان شديد التجريد للقياس[3] . وقد اشتهر خبره مع يونس بن حبيب عند سؤال يونس له : هل يقول أحد الصويق - يعني السويق - قال : نعم عمرو بن تميم تقولها . وما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يطّرد ، وينقاس[4] .

ثم كان الخليل بن أحمد[5] المتوفى ١٧٥ هـ ، والذي عُدَّ رافع لواء القياس ، وكاشف قناعه[6] . وجاء من بعده تلميذاه سيبويه[7] المتوفى عام ١٨٠ هـ ، وكتابه حافل بالقياس ، والكسائي[8] المتوفى ١٨٩ هـ وإليه عُزِيَ القول المشهور :

إنما النحو قياس يتّبع .
وبه في كل أمر ينتفع[9]

وظل القياس معتمد النحويين حتى أرسى الفارسي أبو علي المتوفى ٣٧٧ هـ[10] أطنابه ، وكان شعاره : «لإن أخطىء في خمسين مسألة مما بابه الرواية ، أحب إليَّ من أن أخطىء في مسألة واحدة قياسيه» ، وتابعه على هذا تلميذه ابن جني المتوفى ٣٩٢ هـ[11] الذي كان يقول : «إذا بطل النحو أن يكون رواية ونقلاً ، وجب أن يكون قياساً ، وعقلاً»[12] .

ومضت القرون الأربعة الأولى للهجرة ، والقياس معتمد النحويين والعمود الفقري للنحو من دون أن يَشُذَّ واحد من النحويين عنه . حتى قال الأنباري صاحب

---

(١) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب والمتن في عمله .
(٢) ابن سلاّم، **طبقات فحول الشعراء** ص ١٤ .
(٣) الأنباري ، **نزهة الالباء في طبقات الادباء** ص ٢٦ .
(٤) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٢٦ .
(٥) في التعريف به حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب ، وحاشية الصفحة ٣٧ أيضاً .
(٦) في هذا لابن جني ، **الخصائص** ، جـ ١ ص ٣٦١ .
(٧) في التعريف به حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .
(٨) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .
(٩) نقل ذلك صاحب **انباه الرواة على انباه النحاة** ، راجع الانباه جـ ٢ ص ٦ **والبغية** جـ ٢ ص ١٦١ .
(١٠) في التعريف بشخصية حاشية الصفحة ٨١ من هذا الكتاب .
(١١) في التعريف به حاشية الصفحة ٢٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .
(١٢) مقال الأستاذ مصطفى نظيف ، في **مجلة المجمع اللغوي** ، جـ ٧ ص ٢٤٢ .

الإنصاف المتوفى ٥٧٧ هـ . عبارته المشهورة التي يقول فيها : إن إنكار القياس لا يتحقق لأن من أنكر القياس ، فقد أنكر النحو[١] .

وكما اختلف أهل البصرة ، مع أهل الكوفة في غير مسألة من المسائل اختلفوا أيضاً في القياس . فقد قاس الكوفيون حتى على المثال الواحد[٢] . والكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول ، لاعتمدوه وجعلوه أصلاً ، وبوَّبوا عليه[٣] .

أما البصريون فقد تشددوا في القياس على القليل ، وامتنعوا عنه ، وطلبوا الكثرة من غير تبيان لحدودها ، ومداها[٤] ، لأنهم اعتقدوا أن سلامة اللغة ، والدين في هذا العمل .

ولعل أفضل ما نختم به موضوع القياس هو ما حدَّث به أبو حيان التوحيدي[٥] ، ومسكويه[٦] . يقول أبو حيان : إن أقيسة النحو لا تخضع لما تخضع له أقيسة المنطق . سُئِل بعض العلماء بالنحو ، واللغة فقيل له : أيستمر القياس في جميع ما يُذهب إليه ، فقال : لا ، فقال السائل : فينكسر القياس في جميع ذلك ، فقال : لا ، فقال له : فما السبب ، فقال : لا أدري ، ولكن القياس يفزع إليه في موضع ، ويفزع منه في موضع[٧] .

ويقول مسكويه مفسراً : أما قياس النحويين فليس مبيناً على أوائل ضرورية .

---

(١) مصطفى نظيف ، مقال في مجلة المجمع اللغوي ، جـ ٧ ص ٢٤٢ .

(٢) ذكر ذلك ، الإمام الشاطبي المتوفى ٧٩٠ هـ في شرح باب الحال من الألفية في **المواهب** جـ ١ ص ٤٣ .

(٣) عباس حسن ، اللغة والنحو ص ٨٧ وقد نقله عن **شرح المفصل** لابن يعيش .

(٤) عباس حسن **اللغة والنحو** ص ٨٨ .

(٥) هو علي بن محمد فيلسوف نعته ياقوت بشيخ الصوفية ، وفيلسوف الأدباء . قال ابن الجوزي : كان زنديقاً ولد بشيراز ، وأقام ببغداد وصحب ابن العميد وابن عباد . وُشي به إلى المهلبي فطلبه ١٠ فاستتر حتى مات نحو ٤٠٠ هـ راجع فيه للزركلي **الاعلام** جـ ٤ ص ٣٢٦ وللسيوطي ، **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٦) أحمد بن محمد بن يعقوب ، مؤرخ بحاث اشتغل بالفلسفة قبل التاريخ كان مشرفاً على خزانة ابن العميد ، ثم على كتب عضد الدولة . له مآخذ وغرائب من الكذب راجع فيه **الاعلام** جـ ١ ص ٢١٢ .

(٧) التوحيدي ، ومسكويه ، **الهوامل والشوامل** ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

فلذلك لا يستمر ، وإنما أجاب هذا الرجل العالم بالنحو عن القياس الذي يخصُّ صناعته ، ولم يلزمه إلاَّ ذلك[1] . (وهذا هو محل الشاهد) .

أما الفيلسوف فقياساته كلها مستمرة لا ينكسر فيها شيء ، لا سيما ضرب من القياس هو المسمى برهاناً[2] .

١٠ ـ استحداث العلَّة :

تقدم تعريف العلة ، والتعليل النحوي غير الحسي ، الممارس فنياً بصورة غير شعورية[3] حيث تبين أنه عملية رافقت الممارسات النحوية الفنية الضاربة في القدم دون تعمُّد ، أو طلب له . وذلك يستنتج عبر تلك الممارسات المطَّردة ، الداعية إلى تغيير حركات الإعراب : رفعاً ، ونصباً ، وجراً . دونما قواعد موضوعية ملزمة غير السليقة ، والحاجة إلى الإعراب ؛ للإفصاح عن المعاني بالألفاظ . وها نحن أولاء أمام بحث الموضوع من جانبه العلمي ، بعد بحثه من جانبه السليقي الفني .

عرَّفوا العلَّة ، والمعلول فقالوا :

«كل شيء يصدر عنه أمر إما بالاستقلال ، أو الانضمام فإنه علَّة لذلك الأمر ، والأمر معلول له»[4] .

وقالوا : «والعلل أربع : علة للفاعل ، وعلة للمادة ، وعلة للصورة ، وعلة للغاية»[5] .

وفي ضوء ما تقدمه هذه التعريفات الجامعة ، يمكننا أن نبيِّن استحالة معرفة الأوائل بالقياس ، بل ويمكننا أن نؤكد جهلهم به قبل مرحلة الترجمات، ليستفيدوه من الفلسفة ، والمنطق لأنه وإن أمكن الوصول إلى النوع الأول[6] من التعليل باعتبار طبائع الأمور التي تفرض وجود الداعي إلى الأمر قبل حصول ذلك الأمر ، فإن

---

(١) م . ن . والصفحة نفسها .
(٢) م . ن . والصفحة نفسها .
(٣) هذا الموضوع في الصفحة ٣٦ من هذا الكتاب .
(٤) أنظر للعلاّمة الحلي المتوفى ٧٢٦ هـ ، **كشف المراد** ، وهو شرح على كتاب **تجريد الاعتقاد** ، للعالم الرياضي ، والفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي المتوفى ٦٧٢ هـ ص ١١٣ .
(٥) الشهرستاني ، **الملل ، والنحل** ، جـ ٢ ص ١٧١ أول الفقرة الثالثة .
(٦) عنينا به التعليل غير الحسي ، أو الفني الوارد آنفاً ص ٣٦ .

تعريفهما بالشكلين المجرَّدين والمحيطين المتقدمين ، يقتضيان علماً ، ومعرفة بأمور الفلسفة ، والمنطق وذلك مفقود ، وغير موجود .

تاريخ التعليل النحوي :

تطالعنا كتب التراجم ، والطبقات بعبارة[1] توجِّه أنظارنا ناحية الموضوع ، وتمكننا من العودة إلى بداياته الأولى التي كانت مع ابن أبي إسحٰق[2] وهي : «كان ابن أبي إسحٰق الحضرمي أول من بعج النحو ، ومدَّ القياس ، والعلل» .

ويكفي أن نراجع كتب الطبقات ، والتراجم لنعرف ما دار بينه ، وبين الفرزدق بشكل خاص لنرى مدى عمله بالقياس ، والتعليل[3] .

ثم يأتي دور الخليل بن أحمد الفراهيدي[4] الذي قال فيه الزبيدي : «إنه استنبط من علل النحو ، ما لم يستنبطه أحد ، وما لم يسبقه إلى مثله سابق»[5] . على أن تعليلاته تتصف جميعاً بكونها بعيدة عن الفلسفة قريبة من روح اللغة ، ومن حسِّها الذي يُنفِّر من القبح . . . على أنه إن كانت هذه العلل غير فلسفية في طبيعتها . فإن هذا لا يعني على الإطلاق أنها تدين في نشأتها ، ووجودها للتفكير النحوي وطرائقه الخاصة به . لأننا مع هذا ينبغي أن لا ننسى أنها علة يُسأل بها عن سبب الحدوث ، ويُسأل عنها ، وعن طبيعتها ، وماهيتها ليعرف مدى تأثُّرها بالأسلوب العقلي الدخيل في الفكر . . . الفلسفي . وحسبها في هذا أنها تعتمد القياس ، لتكون متأثرة بالمنطق[6] .

ومن أمثلة التعليل عند الخليل ما جاء في كتاب سيبويه : «**كفى بالله شهيداً ، بيني وبينكم**»[7] إنما هو كفى الله ، ولكنك لما أدخلت الباء ـ أي بصدره ـ عملت

---

(١) الزبيدي ، **طبقات اللغويين والنحويين** ص ٢٥ ـ ٢٦ ، وللغوي **مراتب النحويين** ص ١٢ ولابن سلام **طبقات فحول الشعراء** ص ١٤ .

(٢) التعريف به حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب والمتن في عمله .

(٣) عددنا من هذه الكتب في الصفحة ٣٧ ثلاثة وهناك أيضاً **أخبار النحويين البصريين ، ونزهة الالباء ، وانباه الرواة ، وبغية الوعاة** .

(٤) التعريف به حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب وص ٣٧ الحاشية .

(٥) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ، ص ٤٣ وما بعدها .

(٦) مازن المبارك ، **النحو العربي** ، **العلّة النحوية** ، ص ٥٤ ـ ٦٠ .

(٧) سورة الرعد ٤٣/١٣ وهناك آيات أخرى قريبة منها ، يونس ٢٩/١٠ ، والإسراء ٩٦/١٧ ، والعنكبوت ٥٢/٢٩ .

والموضع موضع نصب ، والمعنى معنى النصب[1] وواضح مراعاة الخليل للمعنى في الإعراب وعليه نقول : إن النحوي في هذه المرحلة لم يكن يجيز طرقاً متعددة في الإعراب ، دون مراعاة المعنى . وهذا الشيء مهم جداً .

وظل الوضع النحوي مع العلَّة ، وعلى ما هو عليه . حتى مجيء «سيبويه» - تلميذ الخليل - حيث وضع كتابه في النحو ، وقسمه على أبواب ذكر في كل منها أحكامه المؤيَّدة بالعلل فكان كتاب : قياس ، وعلَّة ونحو . وكتابه هذا هو أول أثر نثري جامع وصلنا حيث يعتمد فيه على استنباط العلل ، وذكرها بعقب الأحكام المتعلقة بها دون أن يشير عند عمله هذا أنه يعلِّل ، من دون أن يستعمل عبارة النحاة من بعده وهي «والعلَّة في ذلك كذا» ويستمر الوضع هكذا حتى نهاية القرن الثاني الهجري .

ثم يأتي المبرِّد[2] الذي يعتني بالعلَّة إلى درجة أصبحت معها عنده رديفة للحكم النحوي ، وكانت له فيه اليد الطولى ، والحظ الموفور . وكان فيها من المجتهدين ثم تلت هؤلاء طبقة إفردت للعلَّة كتباً خاصة بها . فألَّف قطرب المتوفى ٢٠٦ هـ[3] ، تلميذ سيبويه كتاب «العلل في النحو» وألَّف المازني المتوفى ٢٣٠ هـ[4] كتاب «علل النحو» . وهكذا حتى نهاية القرن الثالث حيث تصبح العلَّة موضوعاً ترمقه أنظار النحاة ، بل زادوا على هذا الحد أنهم جعلوا منها وسيلة للامتحان .

هذا على صعيد المدرسة البصرية ، أما على صعيد المدرسة الكوفية . فقد قاد الكسائي[5] التوسُّع في القياس ، والسماع عن الأعراب ، والإحاطة بقراءة القرآن ، كونه أحد القراء السبعة المشهورين إلى التعليل بآرائه الخاصة . ففارق جمهور البصريين ، ضارباً بتخريجاته أوتاداً فاصلة بين آرائهم ، وآراء الكوفيين . محتجاً في تخريجاته ببعض الآيات كما في المسألة التي تحمل الرقم الخامس والستين من مسائل الخلاف الواردة في كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف»[6] حيث يجيز

---

(١) سيبويه ، **الكتاب** ، جـ ١ ص ٤٨ .
(٢) التعريف به حاشية الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب وفي المتن عمله .
(٣) التعريف به حاشية الصفحة ٥٣ والمتن في عمله من هذا الكتاب .
(٤) التعريف به حاشية الصفحة ٥٤ والمتن في عمله من هذا الكتاب .
(٥) التعريف به حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب والمتن في عمله .
(٦) **الإنصاف في مسائل الخلاف** كتاب مشهور لصاحبه عبد الرحمٰن بن محمد الأنباري إلى جانب

الكوفيون العطف على الضمير المخفوض ، دون إعادة الخافض ويحتجون بالآية : ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾[1] أو تخريج إعراب بعض الآيات ، والتعابير بعلل خاصة به كالتي علَّل بها آية ﴿**إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ، من آمن بالله ، واليوم الآخر وعمل صالحاً ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون**﴾[2] . وهي المسألة ذات الرقم الثالث والعشرين من مسائل الخلاف في كتاب الإنصاف المتقدِّم أعلاه . حيث وضع قاعدة في جواز العطف على اسم إن قبل تمام الخبر . بينما يخرِّجها البصريون بإعرابين مختلفين : مفاد الأول : هو خبر إن محذوف ، والصابئون مبتدأ ، وخبره ما بعده أما الثاني : إن الخبر ، المذكور هو خبر إن ، والصابئون مبتدأ خبره محذوف . وكذلك تعليله لعدم إعمال أسماء المبالغة كما عند سيبويه ، والبصريين ، بأنها فرع من أسماء الأفعال ، وأسماء الأفعال ، فرع من الفعل المضارع ، ولذلك ضعف عملها[3] .

ثم يأتي دور الفرَّاء[4] ، المثبِّت النهائي للنحو الكوفي . ما خلا بضعة أمور فرعية . والذي يتابع عمل أستاذه الكسائي[5] ، بتعمُّق وتوسع ، مكَّنه منهما ، عمق ثقافته العقلية ، والفلسفية ، والعلمية حيث تتحول معه عملية التعليل إلى تنظيم واسع رسَّخ به الصورة النهائية للمدرسة الكوفية بما خالف به مدرسة البصرة ، من أصول ، وما وضعه من مصطلحات ، وتخريجات في تحليل بعض العبارات والأدوات ، وبعض العوامل ، والمعمولات ، من ذلك حديثه عن موضوع اشتقاق المصدر من الفعل كما تقول مدرسته ، أو اشتقاق الفعل من المصدر ، كما تقول مدرسة البصرة . حيث علَّل ذلك بأن المصدر يصح بصحة الفعل ، ويعتل باعتلاله . وأن الفعل يعمل في المصدر النصب (والعامل أهم دوراً) . ولذا فهو الأصل . وأن الفعل يؤكد المصدر ، وأن وجود أفعال لا مصادر لها : كنعم ، وبئس يؤكد أصالة الفعل ،

كتابه الآخر المشهور **بنزهة الالباء** ، والأنباري ولد عام ٥١٣ وتوفي ٥٧٧ هـ جـ ٢ ص ١٦٩ ، وللسيوطي ، **بغية الوعاة** ، جـ ٢ ص ٨٦ .

(١) سورة النساء : ٤/١ .

(٢) الأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** : المسألة رقم ٢٣ ص والآية من سورة المائدة ٥/٦٩ .

(٣) أحمد بن يحيى ، ثعلب ، **مجالس ثعلب** ، ص ١٥٠ وص ٢٣٦ وسيبويه ، **الكتاب** جـ ١ ص ٥٦ .

(٤) حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب والمتن في عمله .

(٥) حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب والمتن في عمله .

واشتقاق المصدر[١] وأيضاً تعليله لمبدأ الإعراب بأنه أصل في الأفعال ، كما هو أصل في الأسماء ، بينما يراه البصريون ، أصل في الأسماء ، فرع في الأفعال ، ومفاد تعليله أن الأسماء قد تدل على الحال ، وقد تدل على الاستقبال ، وقد تدل على المضي . ولذا كما كان الإعراب أصلاً فيها ، يجب أن يكون أصلاً في الأفعال[٢] . وكذلك قسمته للأفعال إلى ماض ، ومضارع ، ودائم . ويعني بالأخير اسم الفاعل لا فعل الأمر ، لأن الأمر مقتطع من المضارع المجزوم بلام الأمر المحذوفة لكثرة الاستعمال . وغير هذا كثير[٣] .

وفي القرن الرابع يستمر البحث في العلَّة ، كما يستمر التأليف في التعليل . حيث يوضع في الميزان والاعتبار المنهج القائم على إعمال النظر الفلسفي ، والجدل الكلامي . إلى درجة يمكن معها التعميم بالقول : إن القرن الرابع الهجري ، هو الذي شهد طغيان الفلسفة على النحو . حيث يفضي الميل إلى ملاحقة العلل ، دون أسباب موجبة إلى التهجُّم عليها ، والإزراء بأصحابها من جهة المحاربين لها ، وإلى الدفاع عنها ، والتحمس لها من جهة المؤيدين[٤] . ومن هنا أيضاً نستطيع الحديث عن بداية اتصال بين علم النحو ، وأصول الفقه ، وعلم الكلام ، بتأثير عملية التعليل تلك . حيث يبدأ بالظهور ، منهج التأليف في أصول النحو ، على طريقة الفقهاء في أصول الفقه إلى درجة ظهرت معها كتب الخلاف في النحو ، على نسق كتب الخلاف في الفقه[٥] . ولقد سجَّل ابن جني [٦] في هذا الموضوع صوراً مهمة تتحدث عنه ، وتبرزه من ذلك قوله : «إعلم أن علل النحويين . . . أقرب إلى علل المتكلمين ، منها إلى علل المتفقهين» [٧] . وقوله أيضاً في موضع آخر : «إن علل النحويين تتأخر

(١) الأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، ١٩٥٥ م المسألة رقم ٢٣ ص .

(٢) الزجاجي ، **الإيضاح في علل النحو** ص ٨٠ .

(٣) الفرَّاء ، **معاني القرآن** ، جـ ١ ص ١٦٥ وص ٤٦٩ .

(٤) من ذلك ما سجله التاريخ العلمي المتخصص لابن جني من آراء في بحوث العلَّة والمعلول في النحو . الأمر الذي هيأ من بعد لثورة ابن مضاء القرطبي (راجع في ترجمته حاشية الصفحة ١٦٤ من هذا الكتاب حيث التعريف به) في الرد على النحاة لما فرعوه وأدخلوه في أبحاثهم النظرية المتعلقة بها ، بدون داع لها وبدون أصالة في النحو .

(٥) للتوسُّع في هذا الموضوع راجع كتاب النحو العربي ، **العلة النحوية** ، لمازن المبارك ، فهو قيم جداً منهجاً ، وأسلوباً ، ومستوى . وانظر أيضاً في **الخصائص** الصفحات ٤٨ ـ ٩٦ و ١٤٤ ـ ١٦٤ و ١٦٤ ـ ٢٥٠ . حيث بحث الموضوع بصورة لطيفة فريدة .

(٦) التعريف به حاشية الصفحة ٢٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٧) ابن جني ، **الخصائص** ، جـ ١ ص ٤٨ .

عن علل المتكلمين»[1] وما ذلك إلا لأن الأولى يمكن نقضها ، بينما يستحيل نقض الثانية ، لأنه لا قدرة لأحد على ذلك ، أو على الإتيان بغيرها .

١١ ـ استحداث العوامل والمعمولات :

العامل كما مر تعريفه . هو السبب الداعي إلى التغيير في حركات أواخر الكلمات[2] .

والتزاماً بما جرى الأمر عليه ، مع مباحثتنا أمري القياس، والعلّة. ينبغي أن نفصل بين شكلي العوامل الممارسة على مرحلتين : فنية ، وعلمية :

فالطور الفني. هو ذلك الطور السليقي ، الذي تمت فيه الممارسات ، وفق طبائع الأمور التي تحكمها العادة ، ومبادىء التلفظ بالتقليد ، والتي كانت تمارس بصورة غير إرادية تبعاً لحالات تركيب الكلام المتّبعة عند محادثة الذكر ، أو الأنثى ، أو حالات اختلاف الحديث بين المتكلِّم ، والمخاطب ، والغائب . وهذا الطور أصيل ، كل الأصالة لاستحالة التعبير بدونه حيث تمت ممارسته بصورة لا شعورية ، وخارجة عن التعمُّد ، للتمكُّن من نقل الصور الذهنية إلى ألفاظ صادقة في التعبير عنها .

الطور العلمي ، وهو من الأمور الطارئة المستجدة التي حدثت بعامل التقدم العلمي ، وتأثير التطوُّر الفكري . بعد أن طرح النحاة المتأثرون بالفلسفة ، والمنطق ، على أنفسهم السؤال عن السبب الدافع إلى تغيير حركات الإعراب في أواخر الكلمات . بأن سألوا عن العلّة الموجبة للتغيير بعد أن تعلّموا من طرائق التفكير الفلسفي أن لكل معلول علة . وبسؤالهم عن العلة الداعية إلى اختلاف الحركات في أواخر كلمة من الكلمات ككلمة الولد على سبيل المثال في الجمل الثلاث التالية :

نام الولدُ
رأيت الولدَ
مررت بالولدِ

انكشف لهم أن هنالك فضلاً عن الاختلاف المعنوي ، واللفظي بين الجمل الثلاث ، اختلاف بحركات أواخر الكلمات . وأنه إن كانت أسباب الاختلافين

---

(١) المصدر السابق نفسه جـ ١ ص ١٤٥ .
(٢) هذا التعريف في الصفحة ٣٦ من هذا الكتاب .

الأولين واضحة يمكن الوصول إليها ، وشرحها بأن إرادة التعبير عن صورة ذهنية ، توجب التعبير عنها بلفظ يناسبها ، ولا يناسب غيرها ، مما يوجب التغيير اللفظي ، بين حالة تعبيرية وأخرى ، الأمر الذي يرتب بدوره التغيير المعنوي . فما هو الداعي إلى التغيير في الحركات ؟ وهذا هو منشأ السؤال عن العامل في الكلمات ، عمل الرفع ، والنصب ، والجر .

تاريخ العامل نحوياً :

من خلال الحديث المتقدِّم عن العامل يتبين لنا استحالة صدور هذه التساؤلات إلاَّ عن عقل منظم بالعلوم العقلية . ولذا لم بكد يتهيأ هذا الأمر مع الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العقل المنظَّم ، النيِّر المصقول بما تهيأ له من معرفة العلوم العقلية الدخيلة ، حتى ظهرت إلى الوجود نظرية العامل معه ، فطرح السؤال عنها بشكل علمي دقيق ، وتمكن من إرسائها أساساً من الأسس المهمة في البناء النحوي .

فكَّر الخليل نحوياً ، واستعان على تنظيم فكره بما قبسه ، من علوم الرياضيات ، والفلسفة ، والمنطق ، فكان له ما أراد ، وعمم هذه النظرية على فروع النحو ، وشد أزرها بالأجوبة الصحيحة ، والأدلَّة ، والبراهين القاطعة ، ولقد كان عمله فيها كما يلي :

قسم العمل إلى قسمين : العوامل ، والمعمولات[1] .

---

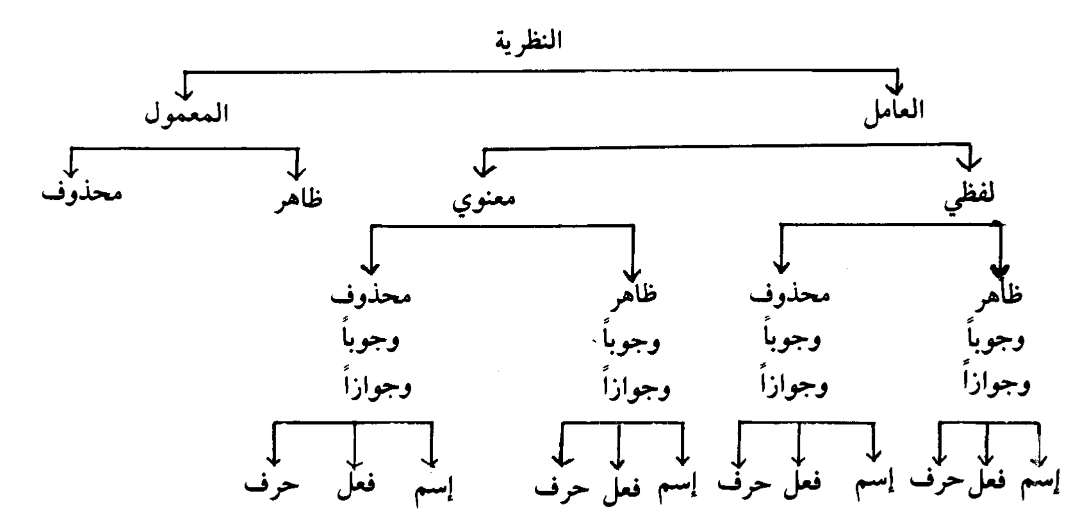
(١) هذا التقسيم استنتاجي خاص تمَّ استنتاجه من استقراءات آراء الخليل الواردة في كتاب سيبويه في الرفع ، والنصب ، والجر والأسماء والأفعال والحروف حسب الأرقام التالية في الكتاب الجزء الأول منه جـ١ ص ٢٨٠ ، وص ٢٨٢ ، وص ٤٨ ، وص ٤٣٥ ، ٤٤٩ ، ٢٥٥ ، ٣٥٩ ، ٢٤٩ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٧٤ ، ٤١٢ ، ٤٦٤ ، ٢٨١ ، وما بعدها وص ٢٥٩ ، ٣٩٩ ، ١٨١ ، ٣٧ ، ١٨٩ ، ٣١٠ ، ٤٦٢ ، ١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣٠٧ ، ٤٥٢ ، ٤٢٩ .

وفي المثنى : جـ١ ص ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، وص ٣١ (الحاشية) ، ٥٩ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٣ ، وما بعدها ، ٩٧ ، ٩٩ ، وما بعدها ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٥٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٩ ، ٢٧٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ١٩٨ ، وما بعدها ٣٠٣ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩ وما بعدها ، ٣٧٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤٣١ ، ٥١ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٤٧ ، ٧٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٤٥ ، وجـ١ ص ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ١٢٨ ، ٣٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٤٨ ، ١٣٠ ، وما بعدها ، ١٥٢ ، وما بعدها ، ١٤٨ ، ٢٦٠ ، ١٣٣ .

والعوامل تنقسم بدورها إلى قسمين : لفظي ، ومعنوي وينقسمان بدورهما إلى أسماء ، وأفعال ، وحروف ، وأدوات . ووضع لكل عامل شروط عمله ، ثم جعل العوامل في قسمين : ظاهر ، ومحذوف ، لوجوب أو لجواز .

والمَعمولات تنقسم بدورها إلى قسمين : ظاهرة أو محذوفة ، وأكثر من تخريج العبارات بما يوافقها مع العوامل .

ويمكننا أن نمثِّل ذلك بالرسم ، زيادة في الإيضاح .



ثم يأتي دور سيبويه الذي يتابع عمل أستاذه في تثبيت نظرية العوامل ، والمعمولات كتابة في كتابه بشكل يستنفد معه كل المهمّات المحتاجة إلى تبيان عواملها . فيتكلّم في الموضوع ، ثم يبيِّن العامل فيه بشكل تتداخل معه نظرية العوامل في أبواب الكتاب كلّها . إلى درجة جعلها معها الأساس الذي يبني عليه النحو . فهو بعد حديثه عن أنواع الإعراب ، والبناء للكلمات ، يتحدَّث عن العامل ، فيبين أنه هو الذي يحدث الإعراب وعلاماته من رفع ، ونصب ، وجر ، وسكون . ثم يوزع الأبواب باعتبار العوامل ويبدأ بالفعل ، وما يعمل عمله ، ثم يتحدَّث عن أقسام الفعل ، وأنواعه ، وأقسام الملحقات به ، وأنواعها . (أي ما تعمل عمل الفعل من إسم فاعل ، ومفعول. . .) واضعاً الشروط للإعمال والإلغاء . ثم يتحدَّث عن عمل المبتدأ لعمل الفعل . ويبحث في النواسخ ، وعملها ، ثم عن عمل لا النافية للجنس ، وعمل أدوات الاستثناء وحروف النصب وأدوات الشرط ، والتوكيد ، والتفصيل ، كما يبيِّن عمل العوامل مذكورة ، ومحذوفة باستقصاء كل الشروط

الخاصَّة بالأعمال في حالي الذكر ، والحذف ، والشروط المتعلِّقة بكل ما تقدَّم[1] .

واضح من هذا العرض ، أن أعمال الخليل ، وتلميذه سيبويه قد أحاطت بموضوع العامل ، والمعمول . إلى درجة لم يتركا بعدهما في هذه النظرية زيادة لمستزيد . ولذلك انحصر الأمر بعدهما . بمخالفتهما في تحديد العامل ، أو المعمول فقط . وفي هذا المجال كان عمل الأخفش الأوسط[2] تلميذ سيبويه . وقل الأمر نفسه عن الكوفيين الذين لم يردّوا نظرية العامل ـ وهذا هو المهم ـ بل أقروا بها ، واعترفوا بضرورة وجودها ، ولكنهم أخضعوها لمقاييسهم ، ولطرائقهم الخاصة بهم . يشهد على ذلك ما اشتهر من أمورهم في مسائل الخلاف ، مع البصريين فقد نقل الإنباري[3] في كتابه «الإنصاف في مسائل الخلاف» في المسألة العاشرة ، من هذه المسائل ، وهي العامل في الاسم المرفوع بعد لولا ، ما يسلِّط الاضواء على موضوع التعليل عند الكوفيين ، واختلافه عنه عند البصريين . حيث يرى الكوفيون أن لولا نفسها هي التي تعمل عمل الرفع في الاسم الذي يليها مرفوعاً ، بينما يرى البصريون ، أن لولا لا تعمل وأن العامل في الإسم الوارد بعدها ، هو الابتداء ، ولذا جاء مرفوعاً . ولقد تمَّ هذا الاختلاف في التعليل مع الفرَّاء[4] .

---

(١) وكما فعلنا مع الخليل ، استنتجنا هنا عمل سيبويه . راجع في هذه الأعمال الجزء الأول من كتابه في الصفحات التالية بصورة مرتبة بحسب الأعمال المسجلة في المتن : جـ ١ ص ١٥ وص ١٧ ، ص ١٩ ، وص ٢٠ ، و ٢١ وص ٢٩ وص ٣١ (الحاشية) وص ٥٧ وص ٥٩ وص ٦١ وص ٧٥ و ٨٢ ـ ٩١ وما بعدها وص ٩٧ وص ٩٩ وما بعدها وص ٩٧ وص ٩٩ وما بعدها ، وص ١٢٠ وص ١٢٣ وص ١٥٠ وص ١٨٥ وص ٢٠٩ وص ٢٧٨ و ٢٦٠ وص ٢٧٩ وص ٢٨٣ و ١٩٨ وما بعدها وص ٣٠٣ وص ٣٤٥ وص ٣٥٩ وما بعدها وص ٣٧٧ و ٣٨٨ وص ٤٠٧ وص ٤١٢ وص ٤٣١ وص ٥١ وص ٧د وص ٧١ وص ٤٧ وص ٧٢ وص ٤٦ وص ٤٧ وص ٤٢ وص ٥٤ وص ٦٥ ، وص ٤٥ وجـ ١ وص ٥٢ وص ٥٥ وص ٦٦ وص ١٢٨ وص ٣٢٧ وص ١٢٩ وص ١٤١ وص ١٤٣ وص ١٥٠ وص ١٥٥ وص ١٥٨ وص ١٥٧ وص ١٦٠ وص ١٦٢ وص ١٦٨ وص ١٧١ وص ١٧٢ وص ١٧٤ وص ١٨٩ وص ١٩٠ وص ٢٤٨ وص ١٣٠ وما بعدها وص ١٥٢ وص ١٤٨ وص ٢٦٠ وص ١٣٣ وص ٣٣ وص ٥٤ وص ٧١ وص ١٣١ وص ١٣٧ وص ١٦٢ وص ١٩١ وص ١٩١ وص ٢٥٢ وص ٣٩٨ وص ٢٧٩ وص ٧١ وص ٧٠ وص ٢٨٤ .

(٢) التعريف به حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .

(٣) الأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** ص ٤٩ مسألة ١٠ .

(٤) التعريف به حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

ومثله ما نقله «الأنباري» في «الإنصاف» تحت رقم المسألة الثالثة عشرة من مسائل الخلاف بين البصريين ، والكوفيين حول الخلاف في تقدير العامل في صيغة التنازع ، حيث أوجب الكوفيون في صيغة «أكرمني ، وأكرمت زيداً» . إعمال الفعل الأوَّل ، لأنه الأولى بالإعمال بعد الابتداء به . ورفض البصريون هذا ، وأكدوا ضرورة إعمال الثاني لأنه الأولى بالإعمال لقربه من المعمول . وقد بدأ الكسائي بهذه المسألة ، وتابعها الفرَّاء[1] .

ومثله الخلاف على عامل الرفع في الفعل المضارع ، أهو تجرُّده عن الناصب ، والجازم عند البصريين ، أم هو حرف المضارعة كما كان الكسائي يرى[2] .

إلى ما هنالك من أمور خلافية يضيق المجال عن ذكرها . تؤكِّد لاتصالها بأساس الموضوع حصول التطوُّر الذي لحق بمباحث النحو ، منذ كانت هذه النظرية ، إلى أن حدثت هذه الأمور الخلافية .

١٢ ـ المصطلحات النحوية :

بدهي أن تمرَّ المصطلحات النحوية بأدوار متعدِّدة ، شأنها في ذلك شأن متعلقات النحو الأخرى . بانتقالها من البساطة ، والإرسال إلى التركيب ، والتعقيد بعد إعمال النظر ، والعقل فيها .

مع المراحل الأولى عمدتنا في الموضوع هي الروايات[3] التي حدَّثت عن بدايات النحو . لأنها السبيل الوحيد الذي نملكه ، والذي بقي لدينا للوصول إلى تلك البدايات . ومنها نستطيع أن نتحدَّث عن أسماء لأبواب ، وأسماء لبعض المصطلحات مع الدؤلي هي[4] :

١ ـ باب الفاعل .
٢ ـ باب المفعول .

---

(١) الأنباري **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، ص ٥٧ مسألة ١٣ .
(٢) ابن مضاء ، **الرد على النحاة** ، من ص ٨٥ ـ ١٠٦ .
(٣) في هذه الروايات حاشيتي الصفحات ٨١ ـ ٨٣ ومتن الصفحتين ١٤٧ ـ ١٤٨ من كتابنا نشأة النحو العربي .
(٤) في هذا مفصلاً الصفحتين ١٤٧ ـ ١٤٨ من كتابنا نشأة النحو حيث بيَّنا طريقة الوصول إلى هذه النتائج .

٣ ـ باب المضاف .
٤ ـ الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم .
٥ ـ باب التعجُّب .
٦ ـ باب الاستفهام .
٧ ـ أقسام الكلمة (إسم ، فعل ، حرف) مع تعريفات كل قسم (وأنواع الإسم) .
٨ ـ باب العطف .
٩ ـ باب النعت .

ثم تكون طبقة تلاميذ أبي الأسود التي تُتابع عمله في التوجيه ، وإقراء القرآن ، ونقطه بنقط الإعجام من دون أن تحدِّثنا الروايات عن شيء من أمور المصطلحات[٣] . وهكذا قل بالنسبة لطبقة التلاميذ مع ابن إسحاق[٢] . إلى أن نصل إلى الطبقة الرابعة مع عيسى بن عمر[٣] صاحب أول كتابين جامعين في النحو . ولكن يد الزمان عفَت على آثارهما من دون أن تترك لنا شيئاً من تلك الممارسات أكثر مما رواه عنه تلميذه الخليل بن أحمد[٤] . في أحاديثه الواردة في كتاب سيبويه[٥] إضافة إلى بيتين تناقلتهما كتب الطبقات والتراجم ، ونقلهما إبن النديم[٦] في الفهرست في شأن هذين الكتابين :

بطل النحو جميعاً كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر[٧]

وهذان البيتان إن دلاَّ على شيء ، فهما يدلان على بناء نحوي تام لعهدهما مهما كان ذلك البناء بسيطاً ، بالنسبة إلى ذلك الذي استجدَّ مع سيبويه ، والكتاب . ومن أمثلة ما رواه الخليل ، وذكره سيبويه في «الكتاب» قراءة عيسى لآية : ﴿**يا جبال أوِّبي معه والطير**﴾[٨] بنصب الطير ، وتقدير ذلك بأنها منصوبة على النداء . بفعل

---

(١) في هذه الصفحة من هذا الكتاب (المتن والحاشية) حيث معالجة الموضوع مع مصادر الروايات .
(٢) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب .
(٣) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .
(٤) في التعريف به حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب وحاشية الصفحة ٣٧ أيضاً .
(٥) في التعريف به حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .
(٦) في التعريف به حاشية الصفحة ٨٢ من كتابنا نشأة النحو العربي .
(٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٦٣ .
(٨) سورة سبأ ٣٤/١٠ .

محذوف وهذا مصطلح . وكذلك رفعه لكلمتي الأوّل ، فالأوّل من عبارة : أدخلوا الأوّل فالأوّل بتقدير فعل مضارع محذوف ، وهذا مكان الشاهد ، فهذا مصطلح ، محذوف تقديره ليدخل[1] .

وما إن نصل إلى الطبقة الخامسة مع «الخليل بن أحمد» حتى نقف أمام مرحلة يبلغ فيه المصطلح تقدُّماً ملحوظاً . فنحن مع هذه الطبقة أمام أعمال تكاد تكون نهائية بما قُيض لأعمال الخليل من حفظ على يدي تلميذه سيبويه في الكتاب عبر المحاورات التي جمعت بينهما ، والتي نستشفُّ منها أسماء لمصطلحات مثل : المبتدأ والخبر[2] ، وباب كان وأخواتها ، وباب إن وأخواتها[3] ، والأفعال على أنواعها[4] ، والحال[5] ، والتوابع[6] والنداء[7] ، وما الكافة[8] ، والإعراب بالمحل ، واللفظ[9] ، وما تبعه من حروف جرٍّ زائدة . وهنالك غيره الكثير مما يستفيض به كتاب سيبويه كعلامات الإعراب ، والبناء ، والمذكّر ، والمؤنّث ، والمقصور ، والممدود ، والمهموز من الأسماء[10].

ثم يأتي دور سيبويه الذي يشكِّل مرحلة استكمال ما بدأه الخليل . وكأن العربية جعلت لهذين ليضعا ما يريدان وضعه من الأمور المهمَّة ، وليتركا ما دون ذلك لغيرهما أو كأن العمل حصر بدائرتهما ، فبلغ من النضج ، والرقي ، مستوىً متطوراً جداً . فنحن نرى سيبويه عند حديثه عن التوابع بعد الذي عرضناه للخليل ، يستخدم المصطلحات التي ما نزال نستخدمها حتى الآن من مثل قوله : النعت والبدل ، والتوكيد ، والعطف ، (عطف البيانِ مع بعض التداخل بينهما)[11] وكذلك عند حديثه

---

(١) سيبويه ، **الكتاب** جـ ١ ص ١٩٩ .
(٢) م . ن . جـ ١ ص ٢٤٨ وما بعدها .
(٣) م . ن . جـ ١ ص ٢٨٠ .
(٤) م . ن . جـ ١ ص ٥ - ١٧ .
(٥) م . ن . جـ ١ ص ١٨٧ .
(٦) م . ن . جـ ١ ص ٢٤٨ - ٢٦٣ .
(٧) م . ن . جـ ١ ص ٣٠٣ - ٣١٠ .
(٨) م . ن . جـ ١ ص ٢٨٢ .
(٩) م . ن . جـ ١ ص ٤٨ .
(١٠) ابن يعيش شرح المفصَّل ، جـ ١ ص ٧٢ ، وللزجَّاجي ، **الإيضاح في علل النحو** ص ١٣٠ - ١٤١ وللخوارزمي ، **مفاتيح العلوم** ، ص ٢٥ - ٣٥ .
(١١) سيبويه **الكتاب** جـ ١ ص ٢٢٣ ، و ٣٠٦ ، و ٣٩٣ .

عن التصغيـر[1] ، وعن ضميـر الشـأن المقـدَّر[2] ، وعن أسمـاء الفـاعـل ، والمفعول[3] ، وعن المعارف[4] ، وعن أسلوب التحذير[5] .

وبناءً عليه يتبيَّن لنا وضع المصطلحات التي كانت حتى عهد سيبويه فقد دعا إلى وضعها تطوُّر العلم ، فوضعت وثبتت مع غيرها من الأمور المنهجية التي ما نراها ثابتة حتى أيامنا هـذه[6] . على أن هذه المصـطلحات وإن سمِّيت وثبتت فهنـالك مصطلحات لم تتم تسميتها معه ـ من باب تبيان الشيء بإظهار ضـده ـ ربما لعـدم الاتفاق عليها حتى عهده . ومنها ما ذكره عند حديثه عن الفعل المتعدِّي[7] ومنها ما ذكره عند حديثه على البدل[8] . ومنها أيضاً عند حديثه عن التنازع[9] ، ومنها عند حديثه عن إسم المرة[10] ومنها عند حديثه عن إسم الآلة[11] ، ومنها عند حديثه عن إسم المكان ، وعن إسم الزمان[12] ، فقد تحدَّث عنها فقط ، وأوضـح أعمالهـا ، وقواعدها المتعلقة بها جميعاً ، وسجَّل الشروط المرافقة لها . ثم جاء النحاة من بعده وخلعوا عليها أسماءها التي نعرفها بها اليوم . وربما كانت هذه المصطلحـات من الأمور المختلف عليها . ولم يقتنع سيبويه بتسميتها لوجهة نظر معينة ، أو لعدم اقتناع بتسميتها . لأنه لا يفوتنا أن الخلاف البصري الكـوفي . طال هـذه المصطلحـات أيضاً ، وهذه ناحية مهمة من نواحي التطوُّر في متعلقات النحو ، التي سجَّلها تاريخ

(١) م . ن . جـ ٢ ص ١٠٥ و ١٢٧ .
(٢) م . ن . جـ ١ ص ٣٥ .
(٣) م . ن . جـ ١ ص ٥٥ .
(٤) م . ن . جـ ١ ص ٢١٩ .
(٥) م . ن . جـ ١ ص ١٣٨ .
(٦) لم يكن الهدف استقصاء كل ما يتعلَّق بالموضوع ، فذلك عمل منفصل قائم بنفسه ولذلك اقتصرنا على ما سردنا من أمثلة كانت حتى تاريخ سيبويه في **الكتاب** .
(٧) يقول : باب الفاعل الذي لم يتعدَّاه فعله إلى مفعول به ، والمفعول الذي لم يتعدَّ إليه فعل فاعل ولا تعدَّى فعله إلى مفعـول آخر . **الكتاب** جـ ١ ص ١٤ .
(٨) يقول : باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم إسماً آخر فيعمل فيه كما عمل في الأوَّل . **الكتاب** جـ ١ ص ٧٥ .
(٩) يقول : باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به . **الكتاب** جـ ١ ص ٣٧ .
(١٠) يقول : باب نظائر ضربته ضربة ، ورميته رمية ، **الكتاب** جـ ٢ ص ٢٤٦ .
(١١) يقول : باب ما عالجت به . **الكتاب** جـ ٢ .
(١٢) يقول : باب اشتقاق الأسماء لمواضع نبات الثلاثة التي ليست فيها زيادة من لفظها . **الكتاب** جـ ٢ ص ٢٤٦ .

هـذا العلم . وتبياناً لما لحق بـالنحو ومصـطلحـاتـه من تـطوُّر ، نسـرد من هـذه المصطلحات المختلف على تسميتها بين البصريين ، والكوفيين ما يلي :

المصطلح	المدرسة البصرية	المدرسة الكوفية
١ ـ فعل الأمر	شريك الماضي والمضارع مبني على ما جُزم به المضارع	معرب مجزوم بلام الأمر(١)
٢ ـ أسماء الأفعال	أسماء لألفاظ ثابتة عن الأفعال أو أسماء لمعاني هذه الألفاظ	عدَّها الكوفيون أفعالاً حقيقية(٢)
٣ ـ ضمير الفصل	الإسم نفسه ، لفصله ما قبله عما بعده	سموه بالعماد(٣)
٤ ـ حروف الجر	الإسم نفسه وسمُّوها أيضاً حروف الإضافة	حروف الصفات(٤)
٥ ـ لام الابتداء	الاسم نفسه	جواب قسم مقدَّر(٥)
٦ ـ حروف الزيادة	الإسم نفسه لعدم تأثيرها	حروف الصلة والحشو(٦)
٧ ـ المفعول المطلق والمفاعيل عدا المفعول به	الأسماء ونفسه مع المفاعيل كلها والمفعول به	شبه مفاعيل عدا المفعول به(٧) فهو فقط الذي يُسمى مفعولاً
٨ ـ المبتدأ المرفوع بالابتداء	العامل هو الابتداء	العامل هو الخبر لأنهما مترافعان(٨)

---

(١) الأزهري ، خالد بن عبد الله المتوفى ٩٠٥ هـ **التصريح بمضمون التوضيح** جـ ١ ص ٥٥ . وراجع للأشموني ، علي بن محمد توفي نحو ٩٠٠ هـ ، **الشرح على الألفية** جـ ١ ص ٥٤ .
(٢) الأزهري ، **التصريح** جـ ٢ ص ٩٩٦ **وللأشموني** الشرح ، جـ ٣ ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٣) ابن يعيش ، **شرح المفصَّل** ، القاهرة لا . ت . جـ ٣ ص ١١٠ ولـلأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** مسألة رقم ١٠٠ .
(٤) ابن يعيش موفق الدين بن علي ، **شرح المفصل** للزمخشري محمد بن عمر جـ ٨ ص ٧ .
(٥) الأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، مسألة ٥٨ .
(٦) يعيش ، **شرح المفصل** ، جـ ٨ ص ١٢٨ .
(٧) لأزهري ، **التصريح بمضمون التوضيح** جـ ١ ص ٣٢٣ .
(٨) الأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** مسألة رقم ٥ وللأزهري ، **التصريح بمضمون التوضيح** جـ ١ ص ٨٤ .

المصطلح	المدرسة البصرية	المدرسة الكوفية
٩ ـ رفع المضارع	العامل هو وقوعه موقع الاسم أو تعريته من العوامل اللفظية	مرفوع بحرف المضارعة وبتجرده من النواصب والجوازم
١٠ ـ إسم الفاعل	الاسم نفسه	الفعل الدائم(١٠)
١١ ـ ضمير الشأن	الشأن والقصة والكناية	ضمير المجهول(٣)
١٢ ـ الضمير	الضمير	المكني والكناية(٤)
١٣ ـ ألقاب الإعراب والبناء	الرفع، والنصب، والجر، والجزم إعراباً، الضم، والفتح، والكسر بناءً	الرفع، والنصب، والجر(٥)، والجزم، للمبني والمعرب
١٤ ـ التقريب	رفضه البصريون، وسموه إسم إشارة لأنهم رفضوا أن يعمل «هذا» عمل كان	التقريب(٦) مثل هذا زيد شاعراً
١٥ ـ العوامل في الفاعلية والمفعولية	رفضها البصريون لأن الكوفيين يرون أن الفعل هو العامل في الفاعل، والمفعول	الفاعلية والمفعولية(٧) من العوامل

(١) الأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** مسألة رقم ٧٤ وللأزهري ، **التصريح بمضمون التوضيح** جـ ٧ ص ١٢ .
(٢) **مجالس ثعلب** ، ص ٤٥٦ ـ ٤٦٣ ، وللسيوطي ، **الأشباه والنظائر** ، جـ ٣ ص ٣٩ .
(٣) ابن يعيش ، موفق الدين بن علي ، **شرح المفصل** ، للزمخشري ، محمد بن عمر ، القاهرة جـ ٣ ص ١١٤ .
(٤) أحمد بن يحيى **مجالس ثعلب** ، دار المعارف ١٩٤٨ م ص ٣٣٢، ولابن يعيش ، **شرح المفصل** ، جـ ٣ ص ٨٤ .
(٥) ابن يعيش **شرح المفصل** ، جـ ٣ ص ٨٤ .
(٦) أحمد بن يحيى ، **مجالس ثعلب** ، ص ٥٢ .
(٧) الإنباري **الإنصاف في مسائل الخلاف** مسألة رقم ١١ .

المصطلح	المدرسة البصرية	المدرسة الكوفية
١٦ ـ الخلاف	وهو مصطلح رفضه البصريون ناصباً للظرف إذا وقع خبراً في «محمد أمامك»، بينما يعلقه البصريون بمحذوف خبر للمبتدأ المتقدم	العامل في نصب[٦] أمامك معنوي وهو «الخلاف»
١٧ ـ الصرف	رفضه البصريون ، وجعلوه منصوباً بالفعل الذي قبله	جعله الكوفيون علّة[٢] لنصب المضارع بعد الواو ولنصب المفعول معه مثل: عاد سامر وغروب الشمس. ولا تنهَ عن خلق وتأتي مثله

١٣ ـ إنفصال النحو عن غيره من العلوم اللغوية :

تطالع الناظر في تاريخ رجال النحو أشكال من الأخبار[٣] ، تتحدَّث عن معارف هؤلاء الرجال التي أحرزوها ، وعن أنواع العلوم التي درسوها ، وأخذت عنهم . فيرى فيها المدقق أموراً لافتة للنظر . منها أن الواحد من هؤلاء الرجال وعلى الرغم من تسجيله في طبقات النحاة ، وتراجمهم ، يُلمُّ بصنوف متعدِّدة من العلم من لغة ، وشعر ، وأنساب ، وقراءة قرآن ، وفقه ، وحديث . على تعمُّق ، وإحاطة في أغلب تلك العلوم . فيجِّل صاحبها ، وينبري إلى سؤال نفسه ، محاولاً اكتناه أسرار ما طالعه ، ترى هل كانت ممارسة النحو تفرض الإلمام ببقية العلوم السائدة آنذاك ، أم أن تحصيل تلك العلوم كان من باب تحصيل الثقافة ، لأن هذا التحصيل عنوان مهم ، من عناوين النجاح العلمي ، والثقافي الكاملين[٤] .

(١) الإنباري **الإنصاف في مسألة الخلاف** مسائل رقم ٢٩ و ٣٠ و ٧٦ وراجع لابن يعيش **شرح المفصل** جـ ١ ص ٩١ .

(٢) الإنباري الإنصاف في **مسائل الخلاف** ، مسألة رقم ٧٥ .

(٣) راجع في هذا أشكال الأخبار الواردة في الروايات المذكورة في الصفحتين ٨١ ـ ٨٣ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٤) ومنها لقب الخليل بسيد أهل الأدب راجع في هذا للأنباري **نزهة الالباء** ص ٤٥ ، وقارن عند السيوطي ، **بالاشباه والنظائر** جـ ١ ص ٥ حيث ترى أن الأدب يشمل : النحو ، واللغة ، =

ومع اعتمادنا على ما كشفه البحث حتى الآن . نستطيع أن نجيب عن هذين السؤالين بأن دراسة النحو تُعد دراسة مستجدة[1] في تاريخ الثقافة الإسلامية ، في الوقت الذي كانت فيه العلوم الأخرى : من قراءة قرآن ، وتفسير ، وفقه ، ورواية حديث . قد قطعت أشواطاً مهمة إلى جانب العلوم التي سبقت الإسلام ، من رواية شعر ، وأنساب ، وأيام عرب . ولذلك امتازت الدراسات الأولى مع الدؤلي ، وتلاميذه باختلاط هذه العلوم بالنحو ، لتأثُر أصحابها بخلفياتهم الثقافية الأخرى التي أحرزوها والتي تمكَّنوا من تحصيلها من ناحية ، ولحاجتهم الماسَّة إلى الاستشهاد ، بالآيات ، والأبيات ، لتأكيد صحة قواعدهم التي يستنبطونها ، والتي يحاولون إطلاقها ، وتعميمها بين الناس من ناحية ثانية ، ولعدم تمكنهم من معالجة موضوع النحو بصورة مجرَّدة ولمَّا يتهيأ لهم بعد البناءان : العقلي ، والفكري اللذان يسَّرا ذلك البحث المجرَّد الخاص بالنحو من ناحية ثالثة . وطبيعي مع هذه الأمور المجتمعة أن يتم الأمر على شيء من الخلط بين العلوم التي ما لبثت أن انفصلت سراعاً مع التطوُّر العقلي الحاصل ، ومع تحديد موضوع كل علم وحدوده .

ومع انتقالنا إلى طبقة ابن أبي إسحٰق[2] . نلاحظ بداية التحول تجاه التخصُّص العلمي . مع تلك الأخبار التي نقلت حوادثه مع الفرزدق[3] الشاعر ، وما كان بينهما ، ورد كل منهما على الآخر[4] . حيث نلاحظ مع الحضرمي ، إيلاء النحو

= والتصريف ، والعروض ، والقوافي ، وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم وقبله ما نقله البغدادي في **خزانة الأدب** جـ ١ ص ٢٠ حيث توجد رواية مشابهة لما نقله الأنباري والسيوطي .

(١) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب .

(٢) هو همام بن غالب بن صعصعة ، شاعر مشهور من النبلاء ، بصري عظيم الأثر في اللغة ويقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس . هو أحد الثلاثة الذين عرفوا شعر النقائض في العصر الأموي إضافة إلى الأخطل ، وجرير توفي ١١٠ هـ . راجع فيه للزركلي ، **الاعلام** جـ ٨ ص ٩٣ .

(٣) تعرض ابن أبي إسحٰق للفرزدق وخطأه في أكثر من موقعه . فهجاه الفرزدق ببيت لحن فيه أيضاً . بعدأن عاب عليه اللحن السابق . راجع في هذا لأبي الطيب اللغوي **مراتب النحويين** ص ١٢ وللزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٢٥ ، وللسيرافي **أخبار النحويين البصريين** ، ص ٢٥ ولابن سلام **طبقات فحول الشعراء** ص ١٤ .

(٤) في هذا الموضوع الصفحات ٣٢ - ٣٣ و ١١٣ - ١٣٧ من كتابنا نشأة النحو على وجه التخصيص من بين أقسام البحث ككل فهي تقوم صورة وافية عن موضوع وضع النحو .

العناية ، دون غيره من العلوم ، ولذا تتوضح لنا عبارة «بعج النحو ومدَّ القياس»[1] .

ثم تكون طبقة عيسى بن عمر[2] ، وأبي عمرو بن العلاء[3] ، فيزداد التوجُّه ، والتوجيه تجاه التخصص في النحو . إذ يكون مع عيسى الانتقال المهم تجاه إيجاد كتب النحو المتخصصة . وهذا تطوُّر في هذه المرحلة المبكرة مع ملاحظتنا سنة وفاة عيسى وهي ١٤٩ هـ . وقل الأمر نفسه بالنسبة لأبي عمرو الذي تتلمذ مثله لابن أبي إسحٰق . ولكن الأوَّل وجَّه اهتمامه ناحية النحو ، بينما وجَّه الثاني اهتمامه ناحية اللغة ، والشعر ، وأيام العرب ، وإقراء القرآن . وهنا يتَّضح لنا سبب تقديم الناس لأبي عمرو في اللغة ، ولعيسى في النحو[4] .

ثم تكون طبقة الخليل بن أحمد الفراهيدي[5] ، ويونس بن حبيب[6] ، حيث نجد أن أعمال الخليل أكَّدت انفصال النحو نهائياً عن غيره من العلوم . حيث لم يعد العالِم كما كان قبلهما يجمع بين تدريس علوم اللغة ، والدين . فقد اتجه الخليل وجهة عربية خالصة تهتم باللغة وحدها . وإن كانت تشتمل على جميع فروع اللغة المتفرِّعة عنها ، والمتعلِّقة بها . وعليه تتضح عبارة «قد كان الغاية ، في استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس» [7] . وهنا لا تفوتنا الإشارة إلى أن الخطوة التي قام بها الخليل بن أحمد ، لم تفصل الصرف عن النحو ، لأن ذلك من متعلِّقات عمله ، ومن أعمال العربية ـ كما كانوا يسمونها ، وكما كانوا يرون لعهدهم ـ وقل الأمر نفسه بالنسبة إلى يونس الذي لم يخرج في عمله عن مشاكلة عمل الخليل في الخلط بين الصرف ، والنحو ، والذي عُرف «بالتفرُّد بالمذاهب ، والأقيسة في النحو واللغة» [8] .

---

(١) ابن سلَّام ، طبقات فحول الشعراء ص ١٤ ، وللزبيدي ، **الطبقات** ص ٢٥ ـ ٢٦ وللأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٣) راجع في التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٤) انظر الأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٨ وللغوي **مراتب النحويين** ص ١٣ ، والسيرافي **أخبار النحويين** ص ٢٨ والسيوطي ، **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٢٣٧ .

(٥) في التعريف به حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب .

(٦) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٧) اللغوي ، **مراتب النحويين** ص ٢٧ وللسيرافي **أخبار النحويين** ص ٣٨ وللأنباري **نزهة الالباء** ص ٤٥ وللزبيدي **الطبقات** ص ٤٣ .

(٨) اللغوي ، **مراتب النحويين** ص ٢١ وللسيرافي **أخبار النحويين** ص ٣٣ وللأنباري **نزهة الالباء** ص ٤٧ .

وبعد طبقة الخليل ، يستمرُّ التقدُّم في استقلال النحو عن غيره من العلوم ، ويسير جنباً إلى جنب أيضاً ، مع الصرف عند تلميذه سيبويه[١] . الذي أخذ بنسق أستاذه . حتى يقيض للصرف من يكتب له الاستقلال التام عن غيره من العلوم في المباحث ، والكتب . وهو أبو عثمان المازني[٢] ، الذي خطا بالدراسات النحوية ، واللغوية خطوة مهمة ، بفصل المجال النحوي ، عن المجال الصرفي ، أو بجعل الصرف علماً خاصاً بنفسه ، قائماً بذاته . مما هيأ تسليمه لمتخصصين من بعده ، وعلى رأسهم الفارسي أبو علي[٣] ، وتلميذه ابن جني[٤] .

على أن هذا الانفصال لا يعني أكثر من استقلال المباحث في المادة مما لا يعود بالضرر على طبيعة الموضوع . والمقصود من معالجة هذا الجانب هو رصده ، لأنه سجَّل انتقال النحو من مادة من المواد ، التي يتقنها العالم كونه أداة طيعة تصون اللسان عن الخطأ في التعبير ، إضافة إلى مواد علومه الأخرى ، إلى مادة رئيسة تسعى بقية المواد إلى خدمتها ، بعد أن أصبحت من أهم الوسائل للتصدُّر في المجالس . وبعد أن أصبحت الغلبة تعقد لإنسان لمجرد انتصاره في مسألة . وليس أمر المسألة الزنبورية عنا ببعيد . وهذا كما هو ملاحظ عين التطوُّر حيث تصبح التسمية باسم «النحوي» كافية للتعريف بالعالم ، لأن هذا العالم ينبغي أن يكون قد حصَّل مقداراً من الأدب ، والشعر ، واللغة ، ومعرفة القرآن ، وأمور الدين ، ومسائل الخلاف . ليتمكَّن من الإدلاء بدلوه أمام العموم[٥] .

---

(١) في التعريف به حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .
(٢) في التعريف به حاشية الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب .
(٣) الحسن بن أحمد فارسي الأب ، عربي الأم ، تلمذ لابن السراج والأخفش الصغير والزجاج وغيرهم . درس في بغداد والموصل وحلب ثم شيراز فبغداد توفي ٣٧٧ هـ ويخلط المذهبين راجع فيه **الفهرست** ص ٦٤ ، وللزبيدي **الطبقات** ص ١٣٠ ، **ونزهة الالباء** ص ٢٣٢ **وانباه الرواة** جـ ١ ص ٢٧٣ .
(٤) حاشية الصفحة ٢٤ من كتابنا نشأة النحو . حيث التعريف به .
(٥) أصداء هذا تتردَّد في أغلب الكتب وراجع فيه مسألة حصلت للمازني في حضرة الواثق مع نحاة الكوفة ذكرها ياقوت في **معجم الأدباء** جـ ٧ ص ١١٤ ـ ١١٥ ، ومثله ما حدث بين الأصمعي ، والفرَّاء في **مجالس العلماء** ص ٦٧ . وما حدث في المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي في **معجم الادباء** جـ ١٣ ص ١٨٥ ـ ١٨٨ وبين المبرِّد وثعلب في **معجم الادباء** جـ ١٩ ص ١١٨ وما بعدها .

١٤ ـ تغيُّر برامج الدراسة :

وهو موضوع يطرح نفسه للمعالجة ، بعد معالجة موضوع انفصال النحو عن غيره من العلوم . فمن الطبيعي أن لا يكون الانفصال قد تمَّ بنفسه من دون ملاحقة العلماء الذين اهتموا بالنحو ، وأولوه عنايتهم حتى قيضوا له هذه المكـانة ، وتلك الاستقلالية ، بالنظر إلى حدَّي البداية مع الدؤلي ، والنضج مع الخليل ، وسيبويه ، من ناحية ، والكسائي ، والفرَّاء من ناحية ثانية . حسب اختلاف المذهبين . حيث كانت الممارسة مع الأوَّل اجتهاداً وارتياداً لطريق مجهول ، وحيث أصبحت مع الآخرين اعتماداً على أصول ينبغي اتباعها ، والسير عليها وهي : السماع ، والقياس ، والتعليل .

الشكل الأوَّل للدراسة مع الدؤلي حيث مثَّل الدؤلي دور الراوية والنحوي في آن معاً . بأن اعتمد على سليقته ، وفصاحته ، وما سمعه من لغة ، وما رواه من شعر الشعراء ، وما ثقفه من قراءة القرآن ، على علي بن أبي طالب ، وما حصَّله منه في حدود النحو ، ليضع «علم النحو» الذي تمحور لهذه المرحلة حول القرآن الكريم . ولا يشذ تلامذة الدؤلي عن هذه الخطة حيث يسيرون على درب أستاذهم ، مهتمين بالقرآن ، وإقرائه للنـاس ، وتوجيـه الناس إلى النحـو الذي أصَّله الـدؤلي بتفريـع الأصول التي اختطها ، والتوسُّع ، والتعليق عليها . وهذا هو أول البرامج ، وأسبقها إلى الوجود حيث يتم تحويل المستعمل إلى قواعد ، تم وضعها بحسب الاستعمال ، وبحسب الواقع المنطوق به ، بحكم الانتماء إليه ، ومعرفته بالممارسة الفطرية القائمة على السماع ، والسليقة فقط .

الشكل الثاني للدراسة مع ابن أبي إسحٰق الذي يرفع لواء القياس ويحمل ما لم يسمع عن العرب على ما سمع[1] ، بل ويطعن[2] ، في بعض ما ورد عن الفصحاء منهم مما يخالف قياسه ، ويعلل ذلك . وهذا يعني بداية اعتناء النحويين بالمرويات السابقة للإسلام ، ولمرحلة اللحن[3] . كما يعني بداية اهتمامهم بالنص على بعض الوسائل العلمية الواجبة الاتِّبـاع لصحتها ، من هـذه المرحلة المبكـرة في التاريـخ

---

(١) ابن سلاّم ، **طبقات الشعراء** ، ص ١٤ .

(٢) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب حيث الإحالة على المصادر .

(٣) ابن سلام ، **طبقات الشعراء** ص ١٤ ، وللزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ، ص ٢٥ ، وللسيرافي **أخبار النحويين** ص ٢٥ ، وللأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٦ .

النحوي ، وهذا مما يبرز دور الرواية التي ستصبح فيما بعد منهلاً وفيراً للعلم ، نهل منه العلماء الكبار كأبي عمرو بن العلاء[1] ويونس بن حبيب[2] ، والخليل بن أحمد[3] ، وسيبويه[4] ، والكسائي[5] ، وغيرهم . ولعل أدل ما يؤكِّد هذا جواب ابن أبي إسحٰق ليونس بن حبيب عندما سأله حول «السويق»[6] هل يقولها أحد ، حيث قال : نعم «عمرو بن تميم» . وما تريد إلى هذا عليك بباب من النحو يطَّرد ، وينقاس [7] وهذا بيان واضح بالميل مع هذه المرحلة إلى اعتماد الرواية ، والسماع . حتى الحدود الممكنة ؛ لاستحالة سماع كل ما يتلفظ المرء به عن العرب ، ثم الاعتماد في الباقي الذي لم يرد فيه سماع ، على القياس . بحمل ما لم يسمع عن العرب ، على ما سمع عنهم . وعليه يكون منهج عمل ابن أبي إسحٰق كما يلي : الرواية ، والسماع ، والقياس ، مع تغليب الأخير كمعتمد علمي خاص عنده ، فضلاً عن التعليل لأقيسته بما يراه لازماً من علل تزيدها رسوخاً .

الشكل الثالث من برامج الدراسة مع عيسى بن عمر ، الذي سار على نسق أستاذه ابن أبي إسحٰق ، وتجاوزه حتى وصل بطعنه إلى الفصحاء من العرب الفحول[8] في العصر الجاهلي . وقد أضفى عيسى على منهجه شكلاً جديداً عبر إيجاده لطلَّابه كتابين جامعين تسهيلاً للدراسة المتخصصة . ومع هذا المنهج أيضاً يقدم العلم (القياس) على الرواية ، على الرغم من أنها الأساس في نقل الأخبار لأن القياس يصحح أخطاءها إنٍ وقعت ، مع الاحتجاج بالعلَّة اللازمة ، التي ترتبط بالقياس والعلم ارتباط المؤثر بالشيء الناتج عنه .

الشكل الرابع من برامج الدراسة مع أبي عمرو بن العلاء[9] الذي أضفى على

---

(١) حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .
(٢) حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .
(٣) حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب .
(٤) حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .
(٥) حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .
(٦) الناعم من دقيق الحنطة .
(٧) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٢٥ ـ ٢٦ .
(٨) كما فعل النابغة الذبياني ، وقد تقدم الحديث عن الموضوع عند الحديث عن اللحن راجع الصفحة ٥٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .
(٩) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

الدراسة بعداً جديداً ، فهو العالم الذي أقام للرواية دوراً مهماً فهو «أعلم الناس بالقراءات ، والعربية ، وأيام العرب ، والشعر ، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ، فلما تنسَّك أحرقها»(١) . وهو أيضاً أول من ابتدأ بتسمية ما خالف القاعدة التي وضعها من «أحاديث العرب الحجَّة لغات»(٢) وهذا هو العنصر الجديد ، وعليه يكون المنهج معه رواية ، وسماع ، وقياس ، على مساواة بين السماع ، والقياس مع الاحتجاج على ما خالف قياسه بأنه مبني على سماع آخر ، ولغات أخرى . وهذا مهم جداً لأنه يشير إلى تعدُّد مصادر السماع وصحتها كلها لأنها عن العرب حيث يعلِّل كل وفق سماعه ، ويبني مسائله على أساسه . وهذا من البراعة ، والعلم . في مكان ، حيث لا يتَّهم العالم أعمال الآخرين لمخالفتها لعمله ، بل يبين سبب الاختلاف في الحكم والعلَّة .

ومع الشكل الخامس من برامج الدراسة في النحو ، يطالعنا موقف يونس(٣) المتفرِّد ، والمعتمد على السماع ، والرواية للغريب . مما يدعِّم المواقف الخاصة المبنية على السماع ، والرواية عن الأعراب ، ومما يبرِّر كثيراً من الآراء النحوية المخالفة لاعتماد أصحابها على مصدر رواية خاص بهم . ومما يعطينا فكرة واضحة ، ولو كانت غير تامة عن تطوُّر علم النحو بعامل التعمُّق في دراسته ، والتقدُّم فيها أشواطاً عبر جوابه عندما سئل عن مكانة علم ابن أبي إسحٰق(٤) حيث أجاب «أين علم ابن أبي إسحٰق من علم الناس اليوم؟ فقال : لو كان في الناس أحد لا يعلم إلَّا علمه لضحك منه ولو كان فيهم من له ذهنه ، ونفاذه ، ونظره ، كان أعلم الناس»(٥) . وفي هذا إشارة مهمَّة إلى مدى تقدُّم علم النحو ، ودراسته بين ابن أبي إسحٰق المتوفى ١١٧ هـ وبين يونس المتوفى ١٨٢ هـ علماً أنه لم يجب بالضرورة عند وفاته أو قبلها بقليل . وهذه فترة زمنية قصيرة جداً في عرف العلم إذ لم يمر من العلماء في هذه الفترة ، ولم يلمع غير أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد ، من بين جماعة أشهرهم : أبو سفيان بن العلاء ، والأخفش الكبير ، ومسلمة بن عبد الله ، وبكر بن حبيب السهمي ، وحمَّاد بن سلمة(٦) .

---

(١) الشريشي ، **شرح مقامات الحريري** ص ١٨٨ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٣٤ ، المقطع الأول .

(٣) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٤) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب .

(٥) القفطي ، **إنباه الرواة على انباه النحاة** ، جـ ٢ ص ١٠٤ .

(٦) ورد التعريف بأغلبهم أكثر من مرة أما الباقون فسنؤجل الحديث عنهم راجع .

ومع الشكل السادس من برامج دراسة النحو تطالعنا أخبار الخليل بن أحمد التي وصلتنا عن طريق الكسائي هذه المرة . والذي أدهشته سعة علم الفراهيدي ، بروايته لأشعار العرب ، وأقوالها . ولذا سأله عن ذلك فقال له : «إنها من ملابسة أهل البوادي في نجد ، وتهامة ، والحجاز» حيث يبادر الكسائي إلى السفر إليها ليفني في التسجيل عن أهلها خمس عشرة قنينة حبر[1] وهذه إشارة واضحة إلى الاهتمام بالرواية ، وبناء العلم عليها واعتبارها الأساس المهم جداً . حيث يتمكن الخليل بوساطتها من بناء «مسائل النحو ، وتصحيح القياس فيه»[2] وهذا يعني ملازمة العلم للرواية ، ومساواته لها . أو بتعبير آخر إن البناء النحوي مع الخليل يعتمد الرواية ، والسماع ، والقياس ، مع التعليل للصيغ بما تستأهله من علل لتمكين الفهم في ذهن الدارس وللوصول به إلى مستوى القناعة لا مكان للبس فيه ولا للشك .

ومع الشكل السادس هذا تتوطّد الأصول ، وتتأكد ، ويأتي سيبويه ليسجلها في كتابه ، لتصبح بعمله هذا الأصول التي يعتمدها النحاة العلماء والدارسون والمدققون ، الذين يهتمون بشجون النحو ، وبمسائله . حيث يصبح «الكتاب» كتاب سماع ، وقياس ، وعلّة[3] . يتعلمه الجميع على اختلاف منازعهم ، بما فيهم الكوفيون لأنه، وكما لا يخفى على اللبيب أن الكوفيين، وإن خالفوا البصريين لم يخالفوهم في الأصول ، بل في الفروع . فهم لم يهملوا سماعاً ، وإنما توسّعوا فيه إلى درجة وصلوا معها إلى التفرّد عن غيرهم فيما يقومون به . وفي ذلك يحدّث الرياشي[4] عنهم ، وهو بصري : «إنما أخذنا اللغة من حرشة الضباب ، وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء (أي الكوفيون) أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ ، والشواريز»[5] ، أي بما معناه أخذوا اللغة عن الأعراب الذين تحضّروا كما فعل الكسائي[6] عند احتجاجه على سيبويه[7] بعرب «الحطمية» المتحضّرين وهم أيضاً لم يهملوا قياساً ، وإنما توسّعوا فيه أيضاً حتى قاسوا على القليل الشاذ «بل على المثال

---

(١) ياقوت ، **معجم الادباء** ، جـ ١٣ ص ١٦٩ .
(٢) السيرافي ، **أخبار النحويين البصريين** ص ٣٨ .
(٣) الصفحة ٦٣ من هذا الكتاب . المقطع الثاني فقد عالج الفكرة بتوسُّع .
(٤) هو العباس بن الفرج بصري ، لغوي راوية توفي ٢٥٧ هـ في البصرة أيام فتنة الزنج . راجع فيه **الاعلام** جـ ٣ ص ٢٦٤ .
(٥) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٨٦ (أخبار الرياشي) .
(٦) التعريف به حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .
(٧) التعريف به حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .

الواحد»[1] . وهم أيضاً لم يهملوا تعليلاً ، وإنما توسعوا فيه وعللوا ، وفق آرائهم الخاصة ، ووجهات أنظارهم ، بما يناسبهم[2] .

ومع الخليل وسيبويه من ناحية ، والكسائي ، والفرَّاء[3] من ناحية ثانية تتأكد الأصول ، والأسس التي بنى عليها النحويون من المذهبين البصري ، والكوفي عملهم فيما بعد حيث تصبح الرواية ، والقياس ، والتعليل أهم المرتكزات في العلم ، مع إيلاء الأولوية ، والصدارة ، والأسبقية ، للرواية ولعلَّ أفضل الأدلَّة على ذلك مع الكوفيين بعد ثباته مع البصريين ، ما ساقه ابن النديم[4] ، عما حصل بين الكسائي ، والفرَّاء بعد نصيحة الرؤاسي[5] للأخير بالخروج إلى بغداد حيث التقى بالكسائي . يقول الفرَّاء محدثاً عما جرى بينهما : «فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي فقال : ما لك قد أنكرت لعلك من أهل الكوفة فقلت نعم فقال : الرؤاسي يقول : وليس صواباً ، وسمعت العرب تقول كذا، وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمته»[6] ومكان الشاهد هو عبارة «سمعت العرب» . حيث يعتمد الكسائي على الرواية لنقض آراء الرؤاسي أستاذه . ومثله ما حدث له مع سيبويه ، حيث يعتمد أيضاً على آراء الأعراب ، لنقض آراء هذا العالم الكبير من البصريين[7] .

بعد هذه المعالجة المستوفية للتطوُّر الذي لحق بأشكال الدراسة النحوية ، عبر الخطوات المتعاقبة . بدهي أن يقال إن العالم مهما تجاوز بعلمه ، وبدراساته وبفكره ، أعمال غيره ، إنه سيبقى ابن بيئته ، وحلقته العلمية التي ينتمي إليها . ولذا

---

(١) عبد الله سليمان الجوهري **المواهب** ، تحقيق علي مالكي القاهرة ط ١٩٣٦ جـ ١ ص ٤٣ وللشاطبي ، إبراهيم بن موسى توفي ٧٩٠ هـ **شرح الألفية** ، باب الحال .

(٢) الأفغاني ، **في أصول النحو** ، باب الفرق بين المذهبين ، وللسامرائي ، **التطوُّر اللغوي التاريخي** ، من الكتب الحديثة ، وللأنباري **الانصاف في مسائل الخلاف** ، ولابن يعيش ، **شرح المفصَّل** . من الكتب القديمة .

(٣) في التعريف به حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

(٤) في التعريف به التعريف به حاشية الصفحة ٨٢ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٥) في التعريف حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .

(٦) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٩٦ .

(٧) في موضوعي : القياس ، والتعليل عند الكوفيين راجع ما تقدم ذكره في هذا الكتاب في الصفحات ٦٠-٦٨ . حيث تمَّت معالجتهما بتوسع بينهما ، ترك الحديث عن الرواية ، أو السماع إلى هنا حيث وجبت المعالجة وتحتَّمت منهجياً .

ومن باب النظرة العلمية ، والعادلة ، ينبغي أن ننظر إلى كتاب سيبويه من خلال الحلقات السابقة له . لأنه حلقة متطوِّرة ، ولا شك في سلسلة البناء النحوي العام . بل قل هو في القمة من الممارسات التي شكّلت مقدمات ضرورة لا بد منها وقواعد أساسية لازمة السبق ، عليه . وأن نكفَّ بالتالي عن النظرة إلى سيبويه وإلى كتابه من تلك الزاوية التي تنظر منها الغالبية العظمى ، والتي تستدعي احتراماً مسبقاً له ، ولكتابه ، لما نال هو وكتابه من تعريفات ، وعناوين عريضة قدمت له الفضل كله ، وأساءت إلى غيره من سابقيه بقصرها الحديث عنه في الموضوع أو بتسليطها للأضواء عليه . وهذا لا يعني في مجال الإساءة إلى عبقرية سيبويه ، وقدرته على استيعاب ما انتهت إليه الدراسات حتى عهده . بل يعني النظر إلى الموضوع من باب الموضوعية ، والمنهجية العلمية لا من باب الانفعالية والتعميم ، لأن النضج الذي مثّله الكتاب ترتَّب على كل خطوة مدرسية سابقة عليه في التصوُّر النحوي العام . إذ لا تعد والأسس الثلاثة الكبرى ، التي بنى عليها سيبويه «الكتاب» وهي : السماع ، والقياس ، والعلَّة ، بعض ما قام به ابن أبي إسحٰق ، الذي لا تقل خطوته عن خطوة أبي الأسود في الأهمية لما مكّنه عبر تلك الخطوة ، للبناء النحوي العام من أوعية ، ساعدته على التطوُّر ، والنضج .

١٥ ـ تعدُّد أمكنة الدراسة :

مع تقدُّم الدراسات النحوية ، وازدياد الحاجة إليها يوماً إثر يوم ومع بلوغ العلماء في النحو المراتب العليا ، بعلمهم . ازدادت ملاحقة الناس للنحو ، وازداد طلبهم له ، ولذلك تعدَّدت أشكال تحصيله ، ودراسته وكثرت أمكنة تعليمه . جيلاً إثر جيل تبعاً للحاجة ، والمتطلبات فكانت كما يلي[١] :

أ ـ الارتحال إلى البوادي .
ب ـ حلقات المساجد .
جـ ـ مجالس الخلفاء .
د ـ مجالس العلماء الخاصَّة بهم .
هـ ـ المصادفات في الأسواق .
و ـ الكتَّاب والتعليم .
ز ـ التعليم بمقابل .

---

(١) قد يكون واحد أو أكثر من هذه الأماكن مراكز لتحصيل أنواع أخرى من العلوم غير النحو . لأن هذه الأماكن كانت للتعليم عموماً وليست خاصة بالنحو ، كما هي الحال مع البادية . فالرواة =

أ ـ الارتحال إلى البوادي :

وهو أمر طارىء على الصعيد العلمي . استدعته الظروف المستجدَّة بعد القرن الهجري الأول ، وبداية الثاني ، بعد الحاجة إلى الرواية في الشعر ، واللغة ، والأيام ، والأنساب . والرواية كما هو معلوم أمر ضارب في القدم كان في الجاهلية ، واستمرَّ في العصر الإسلامي ، حيث اختص بكل شاعر راوية معين يروي له شعره[١] . أو رواة رووا لكثير من الشعراء ضمن حدود القبيلة الواحدة . أو ضمن القبائل المتحالفة على حدود الجزيرة كون الشعر «ديوان علم قوم ، لم يكن لهم علم غيره ، أو أصح منه»[٢] . من ذلك ما حدَّثوا به عن رواية الأعشى[٣] لخاله المسيب بنِ علس[٤] ، ورواية طرفة[٥] ، لعمِّه المرقِّش الأصغر[٦] ، الذي روى بدوره للمرقِّش الأكبر فضلاً عن رواية طرفة لخاله المتلمِّس[٧] .

هذا في الجاهلية ، أما في العصر الإسلامي ، فإن الأخبار المتعددة تفيد استمرار الرواية للشعر بما لا يتعارض مع الإسلام ، مع أبي بكر الذي كان نسابة ، وراوية للشعر الجاهلي ، والأنساب ، والخليفة عمر الذي لا يترك وفداً من دون أن يسأله عن شعرائه[٨] .

ومع انتقالنا إلى العصر الأموي تستمر الرواية للشعر ، وتخصص الجوائز لمن

= وفدوا إليها لرواية الشعر . وحلقات المساجد التي علمت مختلف العلوم .

(١) نقل صاحب **الأغاني** جـ ٨ ص ٩١ ، طبعة دار جمال مصوَّرة عن دار الكتب ما يلي : أن كثيِّر عزة روى لجميل بن معمر ، وجميل روى لهُدبة بن خشرم ، وهدبة روى للحُطيئة الذي روى لزهير ، وزهير لأوس بن حجر .

(٢) ابن سلَّام ، **طبقات فحول الشعراء** ، ص ٢٢ .

(٣) هو ميمون بن قيس ، أبو بصير ، الأعشى الكبير ، أحد أصحاب المعلَّقات لقب بصناجة العرب . أدرك الإسلام ولم يسلِم توفي ٧ هـ . راجع **الأعلام** جـ ٧ ص ٣٤١ .

(٤) هو شاعر جاهلي ، وأحد المقلِّين المفضلين ، كنيته أبو فضة ، وله ديوان راجع **الاعلام** فيه جـ ٧ ص ٢٢٥ ، ولابن قتيبة ، **الشعر والشعراء** جـ ١ ص ١٢٧ .

(٥) في التعريف به حاشية الصفحة ١٧١ من هذا الكتاب .

(٦) المرقِّش الأصغر ، هو ربيعة بن سفيان ، أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً ، وقيل فيه «أتيم من المرقِّش» لعشقه فاطمة بن المنذر ، راجع **الأعلام** جـ ٣ ص ١٦ .

(٧) المتلمِّس هو جرير بن عبد العزَّى ، له قصة طريفة في الأمثال توفي نحو ٥٠ هـ راجع فيه للزركلي ، الأعلام جـ ٢ ص ١١٩ ، وانظر لابن قتيبة **الشعر والشعراء** جـ ١ ص ٤٩ وللبغدادي ، **خزانة الأدب** جـ ١ ص ٤١٤ ـ ٤١٧ .

(٨) الجاحظ ، **البيان والتبيين** ، جـ ١ ص ٢٤١ .

يحسن في الإجابة . كالذي حدثوا عن عبد الملك بن مروان[1] ، في الكـوفة مـع معبد بن خالد الجدلي[2] . وما أمر معاوية[3] مع عبيد بن شريَّة الجرهمي[4] . ورواية قصص الأمم الغابرة ، والملوك السالفة عنا ببعيد . وما نكاد نصل إلى نهاية القرن الهجري الأول ، وبداية الثاني حتى تشتهر طائفة من الرواة المحترفين الذين يتخذون الرواية عملاً أساسياً لهم . لما اعتمده المفسِّرون من نظام يقضي باستخدام الشعر الجاهلي في تفسير آي الذكر الحكيم . فتراهم يستفيدون من معاني الألفاظ ، كما استعملها الجاهليون في أشعارهم . ولذلك شرع هؤلاء الرواة بالرحيل إلى البوادي ، في نجد ، والحجاز ، وتهامة . حيث خالط عملهم شيءٍ من جمع اللغة . لأن هذا الشعر كان مادة اللغة ، وأصل قوانينها التي يجب أن تتبع . فـأصبح هؤلاء الـرواة مصدراً ، مهماً للشـواهد ، وعلى رأسهم أبـو عمرو بن العـلاء المتوفى ١٥٤ هـ[5] وحمَّاد الراوية المتوفى ١٥٥ هـ[6] فنبه اهتمام الرواة إلى قيمة المستوى اللغوي عند البدو ، قياساً على ما يملكه أهل الحواضر . وعندها كان الأمر المهم جداً ، والبعيد الفائدة ، وهو الأخذ عن الأعراب في البوادي التي لم يخالطها عجم ، ولا دخلاء . وبعد نجاح هؤلاء الرواة في الأوساط العلمية ، وتفوُّقهم على خصومهم ، واشتهار أمرهم بين الناس ، بسعة علومهم ورجاحة آرائهم . توجه العلماء الذين خالطوهم وكانوا ممن أخذ العلم عنهم ، وتخصص في الجانب اللغوي ، والجانب النحوي إلى البادية يغترفون مما فيها ولذا توجَّه الخليل[7] إلى بوادي نجد ، والحجاز ، وتهامة . بعد اقتدائه بعمل أستاذه أبي عمرو بن العلاء ، وكذلك فعل زميله يونس بن حبيب[8]

---

(١) هو الخليفة بعد أبيه مروان ، جبَّار ، فاتح ، معرِّب الدواوين ، وهو من صكَّ الدراهم بالعربية توفي ٨٦ هـ . راجع فيه للزركلي **الأعلام** جـ ٧ ص .

(٢) حيث يحسن الإجابة مع تلكؤ غيره ، فيجزى بالعـطاء الأوفى الذي كـان ينالـه ، المتلكىء ويحوِّل عطاؤه القليل للأخير . قارن **بالأغاني** ، جـ ٣ ص ٩١ القصة المطوَّلة .

(٣) هو مؤسس الحكم الأموي ، وأحد الدهاة الكبار توفي ٦٠ هـ . راجع فيه مطولاً للزركلي ، **الاعلام** جـ ٧ ص ٢٦١ .

(٤) استحضره معاوية من اليمن ليقصَّ عليه ويسجل ذلك عنه ، عاش إلى أيام عبد الملك . راجع فيه لابن النديم ، **الفهرست** ص ١٣٢ .

(٥) في ترجمته حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٦) أبو القاسم ، أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها ، وأخبارها وأنسابها ولغـاتها جـامع السبـع الطوال توفي ببغداد راجع فيه **الاعلام** جـ ٢ ص ١٧١ ـ ٢٧٢ .

في ترجمته حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب . وفي الصفحة ٣٧ بعض ما يتعلق بأخباره في الحاشية .

(٨) في ترجمته حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

ومثله فعل من بعد تلميذهما الكسائي[١] وتلميذهما النابه سيبويه[٢] .

ب ـ حلقات المساجد :

وهي من أهم أماكن الدراسة في العصور الإسلامية الأولى ، والمتعاقبة . حيث تمّت الدراسات على اختلاف أنواعها فيها . ومنها جاءت التسمية بحلقات العلم لاحقاً لتحلّق الطلبة حلقة حول أستاذهم في المسجد . من تلك الحلقات ما أُثر عن ابن عباس في مساجد مكة ، والمدينة ، والبصرة ، وجلوسه في هذه الأماكن ، وفي البيت الحرام بشكل خاص لتعليم التفسير ، والحديث ، واللغة ، والأدب[٣] . وكذلك كان مع الحسن البصري[٤] ، ومع تلميذه واصل بن عطاء[٥] بعد اعتزال الأخير لحلقة أستاذه إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد ، يقرِّر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن سماهم الأخير المعتزلة[٦] . ومنها ما روي عن الكسائي[٧] وجلوسه في مسجد بغداد الجامع على كرسي مرتفع والناس حوله يكتبون المصاحف بقراءته ، وينقطونها ، ويسألونه في اللغة والنحو[٦] . ومنها ما نقله ابن النديم[٩] حول حلقة يونس بن حبيب[١٠] بالبصرة، والتي «كان يرتادها طلاب العلم، والمعرفة وأهل الأدب، وفصحاء الاعراب، ووفود البادية»[١١] . ومنها أيضاً حلقة الخليل[١٢] التي تصدَّر فيها سيبويه[١٣] ، بعد موته لتعليم الطلاب فكان منهم

---

(١) في ترجمته حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .
(٢) في ترجمته حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .
(٣) أحمد أمين ، **فجر الإسلام** ، ص ٧٤ ـ ١٧٥ .
(٤) إمام البصرة ، ورد التعريف به في حاشية الصفحة ٧٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .
(٥) أبو حذيفة مولى ، من أئمة الإسلام ، والبلاغة ، وهو مؤسس الاعتزال وناشره توفي ١٣١ هـ . راجع فيه **الاعلام** جـ ٨ ص ١٠٨ .
(٦) الشهرستاني ، **الملل والنحل** ، جـ ١ ص ٤٣ ـ ٤٨ .
(٧) في ترجمته حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .
(٨) في هذا الموضوع ، ترجمة الكسائي عند اللغوي في مراتب النحويين ص ٧٤ ، والزبيدي ، **الطبقات** ص ١٣٨ ، وابن النديم **الفهرست** ، ص ١٠٣ والانباري **النزهة** ص ٥٨ ـ ٦٤ .
(٩) في التعريف به حاشية الصفحة ٨٢ من كتابنا نشأة النحو حيث ترجمته .
(١٠) في ترجمته حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .
(١١) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٦٣ .
(١٢) ترجمته في حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب وكذلك حاشية الصفحة ٣٧ حيث شيء يتعلق به .
(١٣) ترجمته في حاشية الصفحة ٥١ حيث التعريف به .

الأخفش الأوسط [١] ، وقطرب [٢] ، والتي تصدَّرها الأخفش بعد سيبويه يعلم الطلاب «الكتاب» ويشرحه ، ويبينه لهم[٣] ، ومنها خبر حلقة الفراء [٤] ، في المسجد قرب منزله ببغداد . حيث أُثر عنه قصة مفادها اعتزامه إملاء «الحدود في النحو» بعد أن قطعه أصحاب الكسائي الذين سألوه أن يملي عليهم بعض أبيات في النحو ، ففعل حتى قال بعضهم لبعض إن دام على هذا علَّم النحو للصبيان ، والوجه أن يُقعد عنه [٥] .

ج ـ مجالس الخلفاء :

وهي أيضاً من الأماكن المهمَّة للدراسة إذ كانت المواضع الأهم لشهرة العلماء ، لعلو منابرها ، ولقد وردتنا في ذلك الأخبار الكثيرة ، والمشهورة ، والموزَّعة على مختلف الكتب المتخصصة بالنحو ورجاله ، أو الموسوعات التي تحفل بالطرائف ، ومنها ما اشتهر أمره ، ومنها ماأُغفل ذكره . ومن ذلك المشهور ما كان من أمر الأصمعي[٦] مع الرشيد ، والبرامكة . حيث مرَّت الليلة ليعود بعدها الأصمعي محملاً بالمال ، بعد أن حدَّث بعلمه ، شعراً ، ولغة ، ونحواً[٧] . ومنه ما كان من أمر المازني[٨] مع الواثق[٩] . عندما غنَّته الجارية «أظلوم إن مصابكم رجلاً» بنصب رجلاً حيث يبيِّن المازني علة نصب رجل ، وينتصر على الكوفيين من النحاة بعد مجادلتهم له[١٠] . ومنه ما حدث بين الكسائي[١١]، والأصمعي بحضرة الرشيد[١٢]، في تحريك

(١) ترجمته في حاشية الصفحة ٥١ حيث التعريف به .

(٢) ترجمته في حاشية الصفحة ٥٣ حيث التعريف به .

(٣) ترجمة سيبويه في **مراتب النحويين** ص ٦٥ و**أخبار النحويين البصريين** ص ١٤٨ ، و**طبقات النحويين واللغويين** ص ٦٦ وترجمة الأخفش في **مراتب النحويين** ص ٦٨ ، و**أخبار النحويين** ، ص ٥ ، و**طبقات النحويين واللغويين** ص ٧٤ .

(٤) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

(٥) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٦) هو عبد الملك بن قريب ، راوية العرب مولده ووفاته بالبصرة توفي ٢١٦ هـ وله ترجمة مطولة في **الاعلام** وللزركلي ، جـ ٤ ص ١٦٢ .

(٧) في هذا مطولاً للشريشي **شرح مقامات الحريري** جـ ٢ ص ١٨٩ ـ ١٩٢ .

(٨) التعريف به في حاشية الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب .

(٩) الخليفة وهو هارون بن محمد المعتصم ، ولي بعد وفاة أبيه ٢٢٧ هـ حتى وفاته ٢٣٢ هـ . راجع فيه للزركلي ، **الاعلام** جـ ٨ ص ٦٢ .

(١٠) الشريشي ، **شرح مقامات الحريري** ، جـ ٢ ص ١٤ .

(١١) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

(١٢) هارون بن المهدي وهو خامس خلفاء العباسيين وأشهرهم . توفي ١٩٣ هـ . وترجمته في =

«رئمان أنف إذا ما ضنَّ باللبن»[1] . ومنه ما كان بين الكسائي ، واليزيدي[2] بحضرة الرشيد ، أيضاً في «لا يكون المهر مهر» وهي مسألة له مبينة على المغالطة بتقديم ، وتأخير[3] . ومنه ما حدث بين الكسائي ، وسيبويه[4] ، في المسألة الزنبورية بحضرة يحيى البرمكي[5] .

د ـ مجالس العلماء الخاصة بهم :

وهي أيضاً من العوامل المهمَّة في تطوير الدراسة النحوية وقد أفردت الكتب على أنواعها المختص منها ، والمرسوم بالموسوعية صفحات متعددة لأخبار العلماء الخاصة في مجالسهم كالذي نقله الحريري[6] قال : «جاء رجل من حلقة يونس فسأل الخليل عن شيء ، فأطرق يفكر فقالوا له : ما هذا مما يحتاج إلى فكر يُفكر فيه . فقال لهم فما الجواب عندكم قالوا : كذا قال : فإنه يزيدكم في الجواب كذا قالوا : نقول : كذا ، قال يقول : كذا ، فانقطعوا فقال : ما أجبت بجواب قط إلاَّ وأنا أعرف آخر ما علي فيه»[7] .

ومنه ما سبق ذكره آنفاً عن موضوع دار بين أبي عمرو بن العلاء[8] وعيسى بن عمر[8] . حول رفع المستثنى ، أو نصبه بعد إلاَّ في عبارة «ليس الطيب إلاّ

= **الاعلام** مطولة راجع فيه جـ ٨ ص ٦٢ من الكتاب .

(١) هو شطر من بيتين لأفنون التغلبي وردا في المفضليات جـ ٢ ص ٦٣ وانظر لياقوت، **معجم الادباء** جـ ١٣ ص ٨٣ .

(٢) هو يحيى بن المبارك أبو محمد بصري وأستاذ المأمون وعاش حتى أيامه توفي بمرو ٢٠٢ هـ . راجع فيه للزركلي **الاعلام** جـ ٨ ص ١٦٣ .

(٣) ياقوت ، معجم الادباء ، جـ ١٣ ص ١٧٨ . وهذه العبارة شطر من بيتين وبيت المسألة هو على الشكل التالي لا يكون العير مهراً ، لا يكون المهر مهراً ، حيث التركيب «المهر مهر لا يكون العير مهراً لا يكون» . والثانية توكيد للأولى .

(٤) التعريف به في حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .

(٥) يحيى بن خالد ، أبو الفضل مؤدب الرشيد ، وكان الرشيد يدعوه يا أبي توفي في سجن الرشيد ١٩٠ هـ . راجع فيه **الاعلام** جـ ٨ ص ١٤٤ .

(٦) هو القاسم بن علي الأديب الكبير مولده ووفاته بالبصرة ٥١٦ هـ ونسب إلى صنع الحرير وبيعه . راجع فيه الاعلام جـ ٥ ص ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٧) الشريشي ، **شرح مقامات الحريري** جـ ٢ ص ١٨٢ .

(٨) ترجمته في حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٩) ترجمته في حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

المسك» حيث يفد عيسى على أبي عمرو متعجباً من رفعه للمسك[1] .

هـ ـ المصادفات في الأسواق :

وهي أيضاً من الأمور التي ساعدت على تطوير النحو . وهي أيضاً قديمة العهد بأرض العرب عرفوها في الجاهلية بائعين ، متزودين بخيراتها ، وخصُّوا «عكاظاً» من بينها بأدبيَّاتهم . حيث كانت مسرحاً لممارساتهم الشعرية ، والأدبية . وتابعوا على النسق نفسه مع الإسلام فجعلوا من «المِربد» بعد أن اختطت البصرة ، ومن «كُناسة» بعد أن اختطت الكوفة للسكنى : مكانين يرتادونهما ، ويتزودون منهما مما يحتاجونه من متعلقات الكتابة ، وأدواتها كتباً ، ومستلزمات أخرى . وفي «المربد» «وكُناسة» التقى العلماء ، وتناظروا ، وتشافهوا ، حتى نشوء بغداد حيث تحوَّلت الأنظار إليها . من تلك المناظرات ، والأحاديث في الأسواق ما نقله ابن النديم[2] قال : حدَّثنا أبو سعيد[3] قال : حدَّثنا أبو بكر[4] «رأيت رجلاً في الورّاقين بالبصرة يقرأ كتاب المنطق لابن السكِّيت[5] ويقدِّم الكوفيين فقلت للرياشي[6] وكان قاعداً في الورَّاقين ما قال : فقال : إنما أخذنا. . .»[7] ومنه ما كان بين الأصمعي[8] . وأبي عمرو بن العلاء بعد أن شاهد أبو عمرو ، ابن قريب في السوق . يقول الأصمعي «كنت واقفاً بالمربد ، وإذا أنا بأبي عمرو فلمَّا بصر بي مال إلي فقال : ما وقوفك هنا يا أصمعي ، قلت إني أحبُّ المِربد ، وأكثر الجلوس فيه فقال : الزمه فإنه يشد النظر ، ويجلو البصر ، ويجمع بين ربيعة ، ومضر» ويتابع حديثاً طويلاً[9] .

---

(١) حاشية الصفحة ٥٢ من كتابنا نشأة النحو حيث تمَّ عرض المسألة بالتفصيل .

(٢) التعريف به في حاشية الصفحة ٨٢ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٣) هو أبو سعيد ، الحسن بن عبد الله السيرافي ، صاحب **أخبار النحويين البصريين** ، المتوفى ٣٦٨ هـ . راجع في التعريف به ، لابن النديم **الفهرست** ص ٩٣ .

(٤) هو محمد بن الحسن ، عُماني ، انتقل إلى بغداد ، وتلمذ للرياشي والتوزي ، والزيادي ، توفي ٣٢١ هـ . راجع في التعريف به ، لابن النديم **الفهرست** ص ٩١ .

(٥) يعقوب بن إسحٰق ، إمام في اللغة والأدب قتله المتوكل ٢٤٤ هـ له كتب مطبوعة منها **الاضدَّاد** ، **وإصلاح المنطق** . راجع فيه **الاعلام** جـ ٨ ص ١٩٥ .

(٦) ترجمته في حاشية الصفحة ١٦٤ من هذا الكتاب .

(٧) ابن النديم ، **الفهرست** ص ٨٦ . وراجع بقية الحديث في متن الصفحة ٨٥ من هذا الكتاب تجنباً للتكرار .

(٨) ترجمته في حاشية الصفحة ٩١ من هذا الكتاب .

(٩) الشريشي ، **شرح مقامات الحريري** ، جـ ٢ ص ١٨٨ .

و ـ الكتّاب والتعليم :

وهو أيضاً من الأمور التي ساعدت على رقي النحو على بساطته وضعف تأثيره ، لمحدوديته ، وانحصار عمل أهله ؛ بتلقين الصبيان ، والمبتدئين ، بعض الأمور البسيطة ، والبدائية في النحو ، واللغة . والتي تساعدهم عادة على قراءة أوليّات القرآن . وبعد تحصيله للعلوم كان الحدث ينتقل إلى غير هؤلاء الكتاب من الأئمة ، والعلماء في النحو ، والعلوم[1] ، وخير دليل على ذلك وحسبنا ، هو أن المتنبي كان قد تلمّذ في حداثته على كتاب للعلويين[2] .

ز ـ التعليم بمقابل :

وهو أيضاً من الأمور الطارئة ، والتي كان لها أبعد الأثر في تطوير النحو وتعليمه لأولاد الخلفاء ، والرؤساء ، والقادة ، والولاة ، والوزراء ، والعامّة أيضاً . ولقد حدثتنا الكتب بحالات متعدِّدة مع أولاد الخاصة بعد أن أُختبر الكبار من العلماء ، لتعليم أولاد الخلفاء ، وغيرهم من أفراد الطبقة الحاكمة من ذلك تعليم الكسائي للأمين ، وللمأمون . وقصة نعليه عند ابتدارهما لها مع قدوم الرشيد على مجلس الكسائي[3] . ومنها ما حدث للكسائي أيضاً مع المهدي والد الرشيد عندما أجازه بعشرة آلاف درهم لأنه أجاب على الأمر من السؤال بشكل صحيح ، وعيّنه مؤدباً للرشيد[4] . ومنها ما نعرفه عن اتخاذ الرشيد لقطرب[5] . مؤدباً للأمين ، وكذلك فعل من بعده أبو دلف العُجلي أحد قواد الرشيد ، واتّخذه مؤدباً لأولاده[6] . ومنها ما نعرفه عن المبرِّد ، وتقاضيه الأجر على إفتائه في بعض المسائل اللغوية ، والنحوية ، عند المتوكِّل[7] والفتح بن خاقان[8] ، ومنها ما نعرفه أيضاً عن التدريس لأولاد العامة ، ما

---

(١) انظر بعضها في **شرح مقامات الحريري** ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ، وهي طريقة على الرغم من خروجها عن حدود اللياقة . لأنها تقدم فكرة واضحة عن الكتاب .

(٢) البرقوقي ، **شرح ديوان المتنبي** ، جـ ١ ص ٢٣ المقطع الأوّل .

(٣) أخبار الكسائي عند ابن النديم ، **الفهرست** ص ٩٧ .

(٤) ياقوت ، **معجم الادباء** ، جـ ٣ ص .

(٥) التعريف به في حاشية الصفحة ٥٣ من هذا الكتاب .

(٦) راجع في هذا أخبار قطرب حسب **الفهرست** ص ٧٨ .

(٧) المتوكل خليفة عباسي بويع بعد الواثق سنة ٢٣٢ هـ . حتى ٢٤٧ هـ وراجع فيه **الاعلام** جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٨) أبو محمد أديب شاعر وزير في نهاية الفطنة والذكاء . له خزانة كتب من أعظم الخزائن توفي ٢٤٧ هـ . راجع فيه للزركلي **الاعلام** جـ ٥ ص ١٣٣ .

حصل للزجّاج[1] مع المبرّد[2] نفسه حيث سأله المبرد عن حاله ، فأعلمه الـزجاج برغبته في النظر ، وكأنه قد حبس نفسه على ذلك إلاّ ما يشغله من صناعة الزجاج في كل شهر خمسة أيام على أن يجعل له على نفسه كل يوم درهماً ، ظل يؤدِّيه له طيلة حياته (أي المبرّد)[3] .

---

(١) ترجمته في حاشية الصفحة ١٧٢ من هذا الكتاب. وراجع في سيرته للزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٢١ .

(٢) ترجمته في حاشية الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب . وراجع في سيرته **طبقات** الزبيدي ص ١٠٨ **ومراتب النحويين للغوي** ص ٨٣ .

(٣) الزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ١١٩ ـ ١٢٢ .

الفصل الثاني

الإعراب والآراء فيه

مر آنفاً الحديث عن الإعراب ، حيث تم تعريفه في اللغة والاصطلاح[1] لتحديد دوره في أعمال مرحلة النحو الأولى الأمر الذي تبيَّن أنه الأساس في عملية وضع النحو ، وإعراب القرآن . ثم تلاه تحديد مكانة التطوُّر في الإعراب مع المعنيين اللغوي ، والاصطلاحي[2] فتبين أنه أصيل بوجوده ، متطوِّر بشكله المعبَّر عنه كتابياً بالحركات . مع هاتين النتيجتين اللتين تتعارضان مع بعض الآراء عند المستشرقين ، وغيرهم من أبناء العربية. ولذا فلا مناص من مناقشة الموضوع في ضوء تلك الآراء المشككة في أصالة الاعراب ، والنحو لنرى مدى صحتها ، ولإيفاء الموضوع حقه من الدراسة الصحيحة المحيطة بعرض الآراء الطاعنة ، ثم الآراء الموافقة على الأصالة ، والخروج منها بنتيجة .

ومع العودة إلى هذه الآراء يقودنا الاطِّلاع عليها إلى توزيعها بحسب أصحابها كما يلي[3] :

١ ـ الطاعنون في الإعراب ، والنحو من المستشرقين .
٢ ـ الطاعنون في الإعراب ، والنحو من العرب .
٣ ـ القائلون بأصالة الإعراب ، والنحو من العرب .

---

(١) الصفحات ١٤٢ ـ ١٤٧ من كتابنا نشأة النحو العربي .
(٢) الصفحة ١٩ من هذا الكتاب .
(٣) جرى تقديم المستشرقين من الطاعنين لأنهم الأساس في الرفض، وتقديم العرب من القائلين بالأصالة لأنهم تابعوا أسلافهم الذين لم يشكوا بأصالة النحو ، ولأن المستشرقين تابعوا القدماء في مذهبهم بعد أن تأكَّد لهم سلامته .

٤ ـ القائلون بأصالة الإعراب، والنحو من المستشرقين .

أ ـ الطاعنون في الإعراب ، والنحو من المستشرقين :

مما لا يخفى أن منشأ الطعن على أصالة النحو ، أو الإعراب مصدره آراء المستشرقين . لأن هذا الموضوع من الأمور الطارئة مع مرحلة النهضة الأدبية الحديثة . تلك الآراء التي عمَّت ، وطبقت في دراسات المستشرقين المنشورة كتباً[١] ، ومقالات ومحاضرات[٢] ، والتي وصلت إلى الدارسين العرب ، ونقلوها في كتبهم دونما تمحيص، ولا مناقشة. علماً أن قسماً مهمًّا من كبار المستشرقين وقفوا إلى جانب النحو العربي مدافعين عن أصالته . يشهد على ذلك ما أُثر عن ليتمان[٤] من قول جاء فيه : «اختلف العلماء الأوربيون في أصل هذا العلم . فمنهم من قال : إنه نقل عن اليونان إلى العرب ، وقال آخرون ليس كذلك ، وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب[٤] .

انطلق المستشرقون في الطعن على الإعراب ، والنحو ، من حجج متعدِّدة قادتهم إليها دراساتهم ، وحدَتهم إليها استنتاجاتهم العقلية المحضة والمبنية على مقدِّمات عامة ، رأوا فيها أسساً صالحة فبنوا عليها . وخلاصة آرائهم تنحصر في : تأثير الفرس على الدراسات العربية منذ المراحل الأولى مع عنبسة ، وميمون ، وابن أبي إسحٰق ، وعيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، وسيبويه ، وكلهم كما هو معروف من الموالي[٥] وقد اعتمد هؤلاء المستشرقون في تفسير شكوكهم على كتاب سيبويه ؛ لأنه أول أثر نثري وصلنا في النحو بصورة مفاجئة على حد مزاعمهم ـ ولذا رأوا أن النحو ظهر في العراق بعد اعتمادهم على هذه المقدمة الخاطئة . ولـذا لم يتورَّع فولرز[٦] عن القول : «إن القرآن نزل بلهجة مكة المجرَّدة من الإعراب ثم نقَّحه العلماء ، على ما ارتضوه فيما بعد من قواعد ، ومقاييس»[٧] . . . وفي هذا ما فيه من

---

(١) مثل الذي نشره فون كريمر بعنوان **الحضارة الإسلامية ، ومدى تأثرها بالمؤتمرات الأجنبية** ، تعريب بدر ، نشر دار الفكر العربي .

(٢) مثل الذي نشره جويدي في **محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب** .

(٣) التعريف به في حاشية الصفحة ١٠٢ من هذا الكتاب .

(٤) أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، جـ ٢ ص ٢٩٢ ، فقد نقل هذا عن ليتمان .

(٥) ورد التعريف بهم تباعاً في حواشي الصفحات آنفاً في كتابنا هذا .

(٦) هو كارل فولرز خليفة شبيتا على المكتبة الخديوية وأستاذ اللغات الشرقية بجامعة فيينا ١٨٩٦ م راجع فيه العقيقي ، **والمستشرقون** جـ ٢ ص ٦٣٣ .

(٧) صبحي الصالح ، **دراسات في فقه اللغة** ، ص ١٢٢ في الحاشية فقد نقل هذا عنه .

نفي لأصالة الإعراب في اللغة ، وإعادته إلى النهضة العلمية المتأخرة عن ظهور الإسلام ، بل وفيه رفض لمقولة أصالة النحو كله .

ومثله كوهين[1] الذي ذهب إلى إمكان «إعراب القرآن في الأساس ، وإلى إمكان وجود الإعراب في الشعر والخطابة ، ولكنه أنكره في الحياة العامة ، والعادية بين الأشخاص»[2] وفي هذا إشارة على الرغم من الإيجابية التي تتراءى فيه إلى إمكان اكتساب العلماء هذه الميزة من غيرهم ، أو قل هو من التطوّر المحدود بحدود القرآن ، والشعر ، والفصحى .

ومثله فون كريمر[3] الذي ذهب إلى أنَ الرواية التي تقول : «إن تسرُّب الفساد إلى اللغة العربية ، كان هو السبب في ضرورة وضع قواعد النحو لإنقاذ اللغة العربية ، رواية لا أساس لها ، ولا يعوّل عليها إطلاقاً فالنحو العربي من وضع الأجانب لتعلُّم اللغة العربية ، وقراءتها على وجه صحيح»[4] .

ب ـ الطاعنون في الإعراب والنحو من العرب :

تابع الطاعنون من العرب ، المستشرقين في أعمالهم ومناهجهم التي أنكروا بها أصالة النحو ، والإعراب . واستخدموا طرائقهم نفسها في الحدس والظن ، ونسجوا على منوالهم . وكان السبَّاق في هذا المضمار جرجي زيدان[5] الذي اعتمد على حدسه ، وظنه عند حديثه عن الحركات قائلاً بعد الحديث عن قيام أبي الأسود برسمها : «الأرجح أنه اقتبس ذلك من الكِلدان أو السريان جيرانه في العراق»[6] .

ومثله ذهب مصطفى صادق الرافعي[7] من بعده إلى القول : «إن دلالات الحركات لم تكن عند العرب بل اخترع أصولها السريان حين دخلوا في النصرانية ،

---

(١) هو مارسيل كوهين ، عالم لغوي من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا في باريس ، راجع فيه **المستشرقون** جـ ١ ص ٢٧١ .

(٢) صبحي الصالح ، **دراسات فقه اللغة** ، حاشية الصفحة ١٢٤ فقد نقل ذلك عنه .

(٣) هو مستشرق ألماني معروف له مشاركة فعالة في مجال الإسلاميات والتاريخ راجع المستشرقون ص ٤٢٠ .

(٤) فون كريمر ، **الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية** ترجمة بدر ، نشر دار الفكر العربي ص ٩٠ .

(٥) التعريف به في حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٦) جورجي زيدان ، **تاريخ آداب اللغة العربية** جـ ١ ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٧) التعريف به حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .

وأرادوا ضبط قراءتهم في الأناجيل ، فوضعوا علامات صغيرة تدلُّ على الحركات»[١] .

وتبعهما في ذلك إبراهيم أنيس[٢] الذي ذهب إلى نفي الإعراب كلِّه قائلاً : «فالإعراب قصة ، ولكن استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية . ثم حيكت ، وتمَّ نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الهجري الأوَّل ، أو أوائل القرن الثاني ، على يد قوم من صنَّاع الكلام نشأوا أو عاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية»[٣] .

على أن ضعف هذه الآراء عند المستشرقين ، وعند أتباعهم من العرب يكفينا مؤونة الردِّ عليها ، فضلاً عن رد فصول الكتاب عليها سابقاً بصورة غير مباشرة ، عبر ما آل إليه البحث من نتائج . إذ كما هو ملاحظ ينطلق الطعن عند المستشرقين والعرب ، من التشكيك ، والظن ، والتخمين دون أصلٍ يعتمد عليه أصحابه من حجة تاريخية ، أو بيان سندي ، أو وثيقة مكتوبة . أو إنما يرجِّحون وجهات أنظارهم فقط ، لعثورهم على ما يماثل النحو العربي من أعمال النحو الأخرى عند الشعوب كالذي نجده من تقسيم للكلمة عند اليونان إلى اسم ، وفعل ، وحرف ، مع أرسطو ، أو أصول الحركات ومتعلقاتها عند السريان[٤] .

فلقد جاء الطاعنون في أصالة النحو بأقوالهم هذه ناسين ، أو جاهلين أن مشاركة الأعاجم في العمل النحوي كان من خلال انتمائهم اللغوي إلى العربية ، بحكم الولاء بعد تعرُّبهم ، ومن خلال اتخاذهم اللغة العربية لغة تعبير ، وعبادة ، وعلم . بعد ولادتهم ، أو تربيتهم بين العرب . وهم إن تأثروا بجنسهم ، فقد تأثَّروا منه في مجال الرغبة العلمية البحتة التي دفعتهم إلى التحصيل لأنهم أدرى بحاجاتهم على نحو ما تقدم[٥] هذا من ناحية الفرس ، أما من ناحية «كتاب سيبويه» ـ فلقد مر أيضاً الحديث عنه بأنه ليس تطوُّراً مفاجئاً[٦] ويبقى الرأي الثالث الذي يحتج به

---

(١) الرافعي ، **تاريخ آداب العرب** جـ ١ ص ١٠٥ .
(٢) هو أستاذ معروف من أساتذة الجامعة المصرية المحدثين ، له كتب منها من **أسرار اللغة** ، **واللهجات العربية** .
(٣) إبراهيم أنيس من **أسرار اللغة** ، الفصل الخامس ص ١٢٥ ، قصة الاعراب .
(٤) سنؤجل بحث هذا إلى الفصل اللاحق راجع الصفحة ١٠٤ من هذا الكتاب .
(٥) تحت عنوان العلاقات الثقافية في الصفحة ٢٥ من هذا الكتاب .
(٦) لذلك نفينا أن يكون سيبويه تطوراً مفاجئاً في أكثر من موضع من هذا الكتاب . راجع في ذلك =

الطاعنون ، وهو نشوء النحو في العراق دون غيره من الأقاليم ، والذي يردُّه القول بأن الحاجة إلى ذلك في هذا الإقليم ، كانت أسبق وأكثر منه في الأقاليم الأخرى لكثرة المخالطة فيه بين العرب وغيرهم من الشعوب ، وبين العرب أنفسهم بملاحظة انتماءاتهم القبلية المتعددة التي سببت الفساد للساكنين قبل غيرهم .

هذا مع المستشرقين ، أما مع العرب فواضح أنهم وضعوا هذه الآراء من دون احتجاج بما تتطلّب هذه الآراء من إسناد مع زيدان ، والرافعي أما رأي أنيس فلقد مرّت معالجته كما مرَّ الرد عليه بالتفصيل[1] . لدخوله تحت عنوان رئيس سابق .

ج ـ القائلون بأصالة النحو والإعراب من العرب :

وهم الغالبية الساحقة من العلماء[2] الذين اهتموا بالنحو والنحاة . فكتبوا في العلم نشأة ، وإيجاداً ، وتحدَّثوا عن مسائله ، وتطوُّرها على مختلف المذاهب والأزمنة ، مقتفين في ذلك أثر المتقدمين من كبار العلماء الأوائل[3] الذين أجمعوا على إعراب اللغة ، وأصالة ذلك الإعراب فيها ، وقدمه حتى عهود سحيقة ، ضاربة في القدم . ولقد جرى تسجيلهم في هذا المكان ، كما جرت معاملتهم على هذه الصورة ، لأنهم هم أصحاب الرأي الأفضل ، والأشهر ، والأعم بين الآراء التي يتنازعها خطان كبيران هما : الأصالة في الوجود والتقعيد ؛ والتغريب بربط البدايات بالأثر الدخيل . ولذا فأمرهم لا يحتاج المناقشة .

د ـ القائلون بأصالة الإعراب ، والنحو من المستشرقين :

وهم جماعة من كبار المستشرقين الذين درسوا الأدب العربي ، واللغة

= ما مرَّ في استعراض التطوُّر ، وما جاء تحت الباب الثالث بالعنوان نفسه «كتاب سيبويه ليس تطوراً مفاجئاً» ص ٥٦ وما جاء كنتيجة ص ٨٦ من هذا الكتاب .

(١) راجع ص ٩٨ ـ ٩٩ من هذا الكتاب فقد تم عرض الآراء ومناقشتها مع زيدان ، والرافعي ، وأنيس بالتفصيل .

(٢) الفصل الأول من الباب الثالث في كتابنا نشأة النحو بعنوان أثر القرآن في وضع النحو ص ٩١ ـ ٩٩ .

(٣) من ذلك **إحياء النحو** لإبراهيم مصطفى ، **والنحو العربي** لمازن المبارك ، **والنحو العربي** للسامرائي ، ومن **أسرار اللغة** لإبراهيم أنيس ، **والمدارس النحوية** لشوقي ضيف ، وفي أصول النحو لسعيد الأفغاني ، **وتطوُّر الدرس النحوي** لحسن عون ، **ومناهج البحث في اللغة** لتمام حسان ، **والقواعد النحوية** لعبد الحميد حسن ، **وتاريخ النحو** ، **مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي** ، **ونشأة النحو** لمحمد الطنطاوي وغيرها كثير .

العربية ، واهتموا بالموضوع عن اختصاص بعد أن عالجوه في مؤلفاتهم ودراساتهم ، وقد ردُّوا بأنفسهم - بصورة غير مباشرة - على أبناء جلدتهم المستشرقين ، وكفونا مؤونة الردِّ عليهم ، ومنهم :

١ - كارل بركلمان[1] العالم المعروف ، وصاحب الكتاب المشهور «بتاريخ الأدب العربي» . حيث يعوِّل عند حديثه عن الموضوع في كتابه هذا على الدفاع عن أصالة النحو بقوله : «إن النحو العربي ، صدر عن روح عربية خالصة» ويورد قولاً «لابن فارس»[2] يقول فيه : «الإعراب من العلوم الجليلة التي خُصت بها العرب ، وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ»[3] . ثم يتابع بروكلمان قائلاً : «إنه ليس من الممكن إبداء رأي موثوق به عن مسألة اتصال علماء اللغة الأوائل بنماذج أجنبية نسجوا على منوالها»[4] .

٢ - ومثله أيضاً فعل جوتهلد ڤيل[5] ، الذي يؤكد بدوره أصالة علم النحو نافياً إمكان الشك في ذلك على ما نقله عنه مقدم[6] كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» الذي يقول فيه : «حفظت لنا الرواية العربية في مجموعات مختلفة من كتب التراجم ، والطبقات وصفاً لمسلك نمو هذا العلم الذي هو أجدر العلوم أن يعدَّ عربياً محضاً»[7] .

٣ - ومثله ڤلوجل[8] الذي أكَّد بدايات النحو الأولى مع الدؤلي قاضي البصرة - حسب قوله - دون أن يعلِّق بأي نقد فهو عنده أول عالم بالنحو ، بعد أن أخذ عن

---

(١) هو مستشرق ألماني أخذ العربية عن نولدكه . درس في ألمانية ، وله كتب منها : **تاريخ الشعوب الإسلامية وتاريخ الأدب العربي** ، وكتاب في **نحو اللغة العربية بالألمانية** ، توفي ١٩٥٦ م . راجع فيه للزركلي ، **الاعلام** جـ ٥ ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) هو أحمد بن فارس ، أحد أئمة اللغة والأدب ، أستاذ الصاحب ، وبديع الزمان ت ٣٩٥ هـ . راجع في التعريف به للزركلي ، **الاعلام** جـ ١ ص ١٩٣ .

(٣) ابن فارس ، **الصاحبي في فقه اللغة** ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٤) بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربي** ، ترجمة خليل عسكر ملحق جـ ٦ ص ٨٠ .

(٥) هو مستشرق ، ألماني أخذ العربية عن علماء المستشرقين زار الجزائر ومصر ثم عاد إلى ألمانية حيث نشر كتاب **الانصاف** توفي ١٨٨٩ م . راجع **الاعلام** جـ ٣ ص ١٤٣ .

(٦) هو فلوجل ولقد مر التعريف به آنفاً .

(٧) مقدمة ، **كتاب الانصاف في مسائل الخلاف** ص ٣ .

(٨) التعريف به في حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو . **والاعلام** جـ ٢ ص ١١٩ .

الإمام علي ، ثم بنى ، وأكمل تلاميذه ، وتلاميذهم خلال بضعة أجيال طريقته ، وتعليمه . . . »[1] .

٤ ـ ومثله دي بوير[2] الذي يرى أن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي ، بما له من دقة في الملاحظة ، ومن نشاط في جمع ما تفرّق ، وهو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير له ، ويحق للعرب أن يفخروا به[3] .

٥ ـ ومثله ليتمان[4] الذي كان يرى «أن العرب قد أوجدوا علم النحو وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلاّ ما اخترعه هو والذين تقدموه . ولكن كما تعلّم العرب الفلسفة اليونانية من السريان[5] ، في بلاد العراق . تعلّموا أيضاً شيئاً من النحو ، وهو النحو الذي كتبه أرسطو . وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة مختلف ، أما كلمات اسم ، وفعل ، وحرف ، فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت»[6] .

٦ ـ ومثله بروينليش[7] الذي كان يجزم بأن تأثير الأجانب في النحو العربي ، لم يحدث إلا ابتداءً من سيبويه الفارسي ، في حين إن أستاذه الخليل كان عربياً خالص العروبة[8] .

وعليه يتضح بما لا يقبل أدنى مجال للشك ، أصالة النحو والإعراب في المنشأ ، والهدف ، والدور ، والتقعيد . ونحن بإيرادنا هذه الأقوال للمستشرقين

---

(١) ڤلوجل ، مقدّمة **كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف** للأنباري ، ص ٣ .

(٢) هو أستاذ الفلسفة في جامعة أمستردام توفي ١٩٤٢ م . وله آثار متعددة منها كتابه **في تاريخ الفلسفة** ، فضلاً عن مشاركته في **دائرة المعارف الإسلامية** . راجع فيه ، لنجيب العقيقي ، **المستشرقون** ، جـ ٢ ص ٦٦٨ .

(٣) دي بوير ، **تاريخ الفلسفة الإسلامية** ، ترجمة أبو ريدة ، ص ٤٠ ـ ٤٦ .

(٤) هو أستاذ مشهور للغات الشرقية في توبنجين ، وفي الجامعة المصرية عند إنشائها ثم في جامعات الولايات المتحدة شارك في **دائرة المعارف الإسلامية** وله أكثر من ٥٥٠ مصنفاً . راجع في ترجمته لنجيب العقيقي ، **المستشرقون** جـ ٢ ص ٨٤ ـ ٨٧ .

(٥) الصفحتان ١٠٤ ـ ١٠٥ من هذا الكتاب .

(٦) أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، جـ ٢ ص ٢٩٤ . فقد نقل هذا عنه .

(٧) بروينلج مستشرق ألماني ، محرر في إسلاميكا ، وآثاره فيها توفي ١٩٤٢ م . له : **العربية القديمة** ١٩٢٥ م ، **والخليل وكتاب العين** ، ١٩٤٦ م **وفي اللغة العربية** ١٩٢٧ م ، **والشعر الجاهلي** ، **وسيبويه الفارسي واللغة العربية** . راجع في ترجمته لعقيقي **المستشرقين** جـ ٢ ص ٧٦٢ .

(٨) بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربي** ترجمة خليل عسكر ، ملحق جـ ١ ص ٨٠ فقد نقل هذا عنه .

القائلين بأصالة النحو العربي ، إنما أردنا ردَّ بعض الأقوال التي جاء بها بعض المستشرقين ، ببعضها الآخر المناقض لها عند غيرهم من أبناء جلدتهم . وإلاَّ فنحن لسنا بحاجة أصلاً إلى التأكيد على أصالة النحو ، بوساطة هذه الأقوال لأن الموضوع من المسلَّمات التي لا جدال فيها عند العرب على اختلاف انتمائهم الزمني من أقدمين ، ومحدثين . كما انتهى الأمر إليه[1] . دون أن تفوتنا الإشارة أن هذا لا يعني رفض مقولة تأثُّر النحو بمناهجه على مرِّ الأزمنة بالعلوم الدخيلة كما مر آنفاً[2] .

---

(١) الموضوع في الصفحات ٩١ ـ ٩٩ من كتابنا نشأة النحو العربي فصل ، أثر القرآن في وضع النحو . والصفحات ١٤١ ـ ١٦٠ أيضاً فصل ، أعمال مرحلة النحو الأولى .

(٢) الموضوع في الفصل الأول من الباب الثاني في الصفحات ٢٣ ـ ٣٢ تحت عنوان أسباب التطوُّر من هذا الكتاب .

الفصل الثالث

أصالة النحو العربي

علاقة النحو العربي بغيره عند الشعوب :

وهو بدوره موضوع مهم كثر اللغط فيه . بعد أن لاحظ الدارسون في دراساتهم المقارنة مع نحو الشعوب المجاورة بعض المتشابهات بالنحو العربي . وقد ساعد على حدوث هذا اللغط ما أُثر من نضج مبكر في الممارسات النحوية العربية من دون مقدمات ضاربة في القدم قبل وضع علم النحو مع الإمام علي وتلميذه الدؤلي . فضلاً عن أن أصحابه الذين مارسوه بالسليقة ، والذين قلّدهم العلماء من بعد ، هم من البدو الذين يجهلون مبادىء هذا العلم ، وأُسسه . ولذا تحدّث هؤلاء الدارسون عن صلات نحوية مع النحو السرياني ، واليوناني ، والعبري ، والفارسي ، والهندي .

أ ـ مع النحو السرياني :

أعاد بعض الدارسين الفضل في نضج النحو العربي المبكِّر إلى وشائج القربى التي تصله بالنحو السرياني . من ذلك ما جاء به جرجي زيدان[1] بقوله : «ويغلب على ظننا أنهم نسجوا في تبويبه (أي في علم النحو) على منوال السريان . لأن السريان دوّنوا نحوهم ، وألّفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأول من باشر ذلك منهم هو الأسقف يعقوب الرهاوي[2] الملقَّب (بمفسِّر الكتب) والمتوفى

(١) التعريف به في حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .
(٢) في التعريف به راجع لأحمد أمين ، **فجر الإسلام** ص ١٣٢ ، السطر العاشر وما بعده .

٦٤٠ م . فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان في العراق ، اطَّلعوا على آدابهم»[١] .

ومنه ما نقلناه آنفاً عن زيدان نفسه والرافعي[٢] حول دلالات الحركات في العربية ، وأصول اقتباسها عن السريانية[٣] .

ومنه ما علَّق به أحمد أمين[٤] على الموضوع . فقد سار على طريق سابقيه ، وإن خفَّف من بعض غلوائهما بقوله : «إن تأثير اليونان والسريان في العصر الأول في النحو ضئيل»[٥] .

يمكننا التعليق على هذه الروايات بالحجج العقلية ، والسندية المتوفرة . مع الإشارة إلى أننا لا نملك أيَّة وثائق عن نحو العصر الموافق للدؤلي والرهاوي . سوى ما هو شائع عن بعض التشابه في أسماء الفاعل ، والمفعول ، والصفة المشبّهة ، وهذا لا يكفي للحكم بالتأثر أو التأثير أو القبول بالقول غير المدعوم بالحجج . إن السريان أخذوا عن اليونان ، وطبقوا على لغتهم ثم ترجموا هذا إلى العربية ، لاستحالة هذا بالسهولة المتحدث بها .

مع الحجة العقلية نرى أن زيدان يُعمل ظنه في الموضوع والظن غير اليقين . ولذا لا يسعنا إلاّ ردَّ مقولته . وكذلك عند قوله بالظاهر ، بتغليبه حالة على أخرى ، لوجهة نظره الخاصة ، وغير المدعومة بأدلَّة علمية تلتزم بأصول المنهج العلمي . فضلاً عن مناقضة الرواية لنفسها فهي تعيد بداية التأليف إلى القرن الخامس للميلاد ، ثم تقول الرهاوي المتوفى ٦٤٠ م هو أول من باشر ذلك خطأ لأنه ولد ٦٤٠ م وتوفي ٧٠٨ م[٦] .

أما الحجة السندية فنحن ننقلها عن كتاب «الكتاب في نحو السريانية» الذي ذكر أن يعقوب الرهاوي توفي ٧٠٨ م . الذي كان أول من كتب في النحو كتاباً يُرجع إليه بعد يوسف الأهوازي المتوفى ٥٨٠ م وهو أستاذ مدرسة «نصيبين» وأول من كتب

---

(١) جورجي زيدان ، **تاريخ آداب اللغة العربية** ، جـ ١ ص ٢١٩ .
(٢) التعريف به في حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو .
(٣) الصفحة ٩٨ من هذا الكتاب حيث ورد القولان .
(٤) التعريف به في حاشية الصفحة ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو .
(٥) أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، جـ ٢ ص ٢٩٤ .
(٦) أحمد أمين ، **فجر الإسلام** ، ص ١٣٢ السطر العاشر وما بعده .

في نحو السريانية بعد أن كانت اللغة قبله تُحكم بالنقل، والتقليد، والمطالعة[1]. وقد أكَّد هذه الرواية المستشرق «دي بوير» في حديثه عن الموضوع[2] كما أكَّدها أحمد أمين عند حديثه عن الموضوع وعن دور الرهاوي في الترجمة عن اليونانية[3].

كما نستطيع أن نضيف هذه الطريقة في التفكير وهي مبنية على ما تقدَّم. إذا كان الرهاوي قد توفي ٧٠٨ م وأبو الأسود توفي ٦٨٨ م. وإذا كان الرهاوي قد ولد ٦٤٠ م وأنه نبغ في النحو السرياني في العشرينٍ من سنيه أي مع عام ٦٦١ م. فإن ذلك يعني تاريخ وفاة علي بن أبي طالب الذي أكَّد البحث عبر نتائجه أصالة دوره في تشكيل النحو العربي، وأولية مشاركته في وضع علم النحو وهنا يكون السؤال من أين للدؤلي أن يأتي بأوليات يخترعها مع علي وقد مات عليٍ، أو قل إن مجرد نبوغ الرهاوي في هذه السن - إن كانت - وفي هذا التاريخ يحتم أسبقية دور الدؤليٍ، مع علي ليقيننا بصحة هذه البدايات، وهذه الأسبقيَّة مع عدم وجود الوثائق التي تؤكد أخذ العرب عن السريان. ونحن هنا لا ننفي التأثر، والتأثير نهائياً في بعض الأمور والقضايا التي يمكن أن تنتقل بين شعب وآخر. وإنما ننفي أن يكون هذا التأثير قد وصل إلى أسس وضع النحو العربي في محاكاته لأخيه السرياني من حيث التجاور، لتأكدنا من صحة التأريخ لعلمية البدايات النحوية على أكثر من صعيد، وبأكثر من طريقة. فضلاً عن أن النبوغ الذي يوصف به الرهاوي لا يمكن أن يكون في مرحلة طلب العلم في العشرين. وإنما هو متأخر إلى غير هذه السن. وإذا كان الأمر عليٍ هذه الصورة فإن ما اعتقده زيدان دليلاً على عدم أصالة النحو العربي، يغدو عاملا يقف إلى جانب النحو العربي، ليقيننا أن النحو العربي شهد بدايات سبقت ٦٦١ م سنة وفاة علي. بل وتأكدنا أيضاً أن تلك البدايات رافقت خلافة علي في الكوفة. عندما دخل عليه الدؤلي، وخاطبه «بأمير المؤمنين» ليردَّ عليه علي سمعت ببلدكم لحناً[4] وهذا يعني أن بين سنتي ٦٥٦ - و ٦٦١ م كان هنالك أوليات نحوية عربية مع

---

(١) إقليمبس داود **اللمعة الشهية في نحو السريانية** ط الموصل ١٨٩٦ م. جـ ١ ص ٢٠٣. **والكتاب في نحو السريانية**، بيروت المطبعة الكاثوليكية ط ١٨٩٧ م ص ١ المقدمة وهذا ما أفادتنا به مراجعتنا لمن يجيد السريانية.

(٢) دي بوير، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة أبو ريدة ص ٢١.

(٣) أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ص ١٣٢.

(٤) القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، جـ ١ ص ٤. وقد أضاف عبد الحميد حسن صاحب كتاب **القواعد النحوية**، حديثاً مفصلاً عن تاريخ نضوج النحو السرياني فليراجع بالتفصيل في كتابه، ط. مصر، ١٩٥٢ م ص ٢٥٣ - ٢٥٥.

الإمام علي والدؤلي . بينما لم يكن الرهاوي في هذه الفترة أكثر من تلميذ متدرِّب لحداثة سنه وهو المولود ٦٤٠ م . وهذه البراهين مجتمعة تنفي وجود أثر للنحو السرياني على النحو العربي ، كما تنفي أخذ الدؤلي عن السريان ، وهو ما ألمحت إليه الدراسة مع زيدان ، والرافعي ، وأمين . بعد نفي إمكان أخذ الدؤلي عن الرهاوي . بل إن هذه البراهين تدفعنا إلى تبنّي العكس فيما يُعزى من أثر للنحو السرياني على العربي . فالرهاوي هو الذي أخذ عن الدؤلي ، لتأخره عنه ، وموته بعده بفترة غير وجيزة ، ولاهتمامه بموضوع العرب والعربية بعد أن أصبحت السيطرة لهم على بلاد ما بين النهرين إثر الفتح الإسلامي . وحيث أفتى الرهاوي للأساتذة من الرهبان والسريان جواز تعليم أولاد المسلمين التعليم الراقي بعد إقبال بعض المسلمين على دراسة الفلسفة عليهم . . .[1] وبدهي أن لا يصدر الفتوى إلَّا من كان أهلاً لها ؛ علماً ومنصباً ، وهذا المنصب لا يكون إلَّا للمتقدِّم في السن والمكانة الدينية ، فضلاً عن أن هذا يوافق ما هو مشهور عموماً من أخذ العرب عن السريان لأمور الفلسفة ، والطب ، وغير ذلك من العلوم الدخيلة دون العلوم اللغوية . إضافة إلى عدم وجود أية وثيقة ـ حسب ما تمكّن منه البحث من وسائل ومراجعات ـ تؤكِّد حصول هذا التأثير أكثر مما هو معروف عن بعض المتشابهات . وكأن أصحاب هذه النظرية نسوا أن اللغتين أختان لأم واحدة هي اللغة الساميّة . ولذا عزَّ عليهم إلَّا القول بتأثُّر الواحدة بالأخرى عند عثورهم على بعض الخصائص المشتركة بينهما عِلماً أن هذا من باب تحصيل الحاصل كون اللغتين من أصل واحد . والعجب هنا أن الجميع يتفقون على أخوَّة العربية والسريانية ولا يشكُّون في مبادىء التأثر والتأثير ، وإنما يعلِّقون عند الحديث عن علم النحو في كل من اللغتين . أن العربية قلَّدت السريانية دون وثائق سندية . تؤكد ذلك غير الظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً؟

ب ـ مع النحو اليوناني :

وقد تحدَّث عن العلاقة بينه وبين النحو العربي بعض المحدثين[2] بعد أن علَّقوا على تقسيم الكلمة عند العرب إلى : إسم ، وفعل ، وحرف . وتقسيمها إلى : إسم وفعل ورباط عند اليونان ، وذهبوا إلى أن هذا التقسيم مستفاد منهم منقول

---

(١) أحمد أمين ، **فجر الإسلام** ، ص ١٣٢ سطر ١١ ـ ١٤ .

(٢) من مثل شوقي ضيف الذي ذهب إلى أن الشيعة هم الذين نحلوا علياً وضع أقسام الكلمة ليرفعوا من مغالاتهم به ، **المدارس النحوية** المقدمة .

عنهم . من دون أن يراعوا مغايرة ما جاءوا به للحقيقة، والواقع . ومن دون أن يلاحظوا الاختلاف في أساس التسمية أولاً[1] ، وعدم استقامة ما يأتون به أمام الحقيقة العلمية ثانياً . فلقد تعرَّف العرب إلى الفلسفة بعد ترجمتهم لها في القرن الهجري الثاني ، وبعد أن تقدَّم النحو بشكل مهم عندهم . نقول هذا مع عدم نفينا لتأثُّر النحو بمعطيات الفلسفة والمنطق كما مر سابقاً[2] ، بطرق الاستدلال ، والدفاع . أما أن يكون هذا التأثُّر قد وصل إلى البدايات فهذا ما ينافي الحقيقة تماماً بحسب ما وصلنا من شواهد تاريخية .

ج - مع النحو العبري :

ذهب إلى القول بتأثُّر علم النحو العربي بالنحو العبري بعض من رأى سمات مشابهة في بعض الأمور كما في الضمير البارز والمستتر ، والفعل وأقسامه ، والمجرَّد والمزيد ، والنعت ، وأقسام الاسم[3] من دون أن يراعي هؤلاء قضية انتماء اللغتين الأختين إلى شجرة لغوية واحدة ، وهي حالهما معاً مع السريانية . فنحن نرى أن علامة الجمع المذكَّر في العربية هي الواو والنون . وفي العبريـة الياء والميم وفي السريانية الياء والنون . والمهم هنا هو الطريقة لا الأحرف كون هذه الأحـرف من حروف الإبدال . حيث نلاحظ أن اللغات الثلاث تستعمل طريقة الجمع نفسها .

والجواب هنا أن مشابهة بعض الأمور في لغة لبعضها في لغة أخرى لا يحتِّم بالضرورة أخذ الواحدة عن الأخرى . فضلاً عن القول إن العرب واليهود كل بدوره أكَّد نطق آدم بلغتهم في الجنة . ولم يفرض هذا أخذ العرب عن اليهود قولهم لأن اليونان قالوا به أيضاً[4] ، كما قال مثله الهنود[5] ؛ ليعيد كل شعب فضل السبق ، إلى لغته دون غيرها .

هذا من الناحية العقلية أما من الناحية السندية ، فإن الدراسات المتخصصة في

---

(١) أرسطو ، **فن الشعر** ، ترجمة عبد الرحمٰن بدوي ص ٥٥ وما بعدها في أقسام الكلام .

(٢) الصفحات ٣٣ - ٤٠ من هذا الكتاب ، تحت عنوان التأثُّر بالعلوم الدخيلة .

(٣) عبد الحميد حسن ، **القواعد النحوية** ص ٢٥٠ - ٢٥١ ، في السريانية ، و٢٥١ - ٢٥٢ في العبرية والعربية .

(٤) حسن عون ، **اللغة والنحو** ، ص ٣٧ - ٤١ تحت عنوان ، أسبق اللغات .

(٥) أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، بيروت دار الكتاب العربي ، ط ١٠ جـ ١ ص ٢٤٥ .

نحو العبرية[1] تؤكِّد أن اليهود بدأوا بوضع قواعد العبرية في القرن العاشر الميلادي . كما كان من شأن العرب في وضع قواعد العربية وأن أول من وضع كتاباً في هذا الباب الراب سعديا جاؤن المتوفى ٩٤٢ م . ثم تتابع التأليف في الباب . وهذا دليل كاف .

د ـ مع النحو الفارسي :

ذهب بعض الدارسين إلى الحديث عن تأثُّر بين النحوين العربي والفارسي . بحكم التجاور التاريخي ، والتعرُّب ، والإسلام ، ونبوغ الفرس في النحو[2] وقد اعتمدوا في أحاديثهم على بعض المتشابهات في أمور الحال ، والفاعل ، والمبتدأ ، والمصدر وكونه أصل المشتقات لما قرَّره سيبويه وأصحابه في العربية .

إن العودة إلى تاريخ اللغة الفارسية الأدبي[3] ، يرينا أن لغاتها قسمت إلى ثلاث مجموعات : قديمة ، ووسطى ، وحديثة . أما القديمة فقد وصل العلماء بعددها إلى ثلاث عشرة . وعند تحقيقها يظهر أنها تتصل بألفاظها ، ونحوها ، وصرفها بالهندية ، لا بالعربية مع بعض الفروق . وتاريخها بين ٦١٠ ق. م. ٣٣٨ ق. م. ولذا يقطع المتخصصون بعدم علاقتها بالبحث لعدم وجود مباحث لغوية علمية نحوية عربية مع هذا التاريخ . أما الحديثة فالدراسات تظهر أنها وُجدت بعد أوائل القرن الهجري الثالث . وهذا يعني خروجها من دائرة البحث ، لأنها ظهرت بعد نضج النحو العربي ، ويبقى الوسطى . وقد حُددت نشأتها حوالي القرن الرابع ق. م. وعدد لغاتها ست . ويغلب على نصوصها السهولة ، وهي نصوص دينية زرادشتية ، بُنيت على أصول أرآمية ، وسريانية . خاصة من حيث استعمال الأفعال المركَّبة والإكثار من استعمال حروف الإضافة .

---

(١) محمد بدر ، **الكنز** ، مصر ، المطبعة التجارية ، لا . ت. ص ٣٥ . وجودة الطحلاوي **تاريخ اللغات السامية** ، مصر ، ط ١٩٣٢ م . ص ٧٢ ، وفرح مراد ، **ملتقى اللغتين العربية والعبرية** ، مصر ، ١٩٣٠ م ص ١ ـ ٢٥ .

(٢) مرَّ الحديث عن هذه الأسباب وهؤلاء العلماء في متن الصفحة ٦٠ من هذا الكتاب .

(٣) محمد محمدِّي ، **الأدب الفارسي** ، بيروت كلية الآداب ط ١٩٦٧ م ص ٩ ـ ٤٤ ، وإبراهيم الشواربي ، **القواعد الأساسية لدراسة الفارسية** ص ٩ ـ ٤٤ ، وأحمد لوساني ، مدخل إلى الفارسية ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٧ م ص ٨ . وقد وجَّهني الأستاذ الأخير إلى أسس الموضوع كونه فارسي الأصل واللغة وأكَّد عدم أثر الفارسية على العربية في الموضوع بل العكس هو الصحيح لأن الفارسية استفادت من العربية في صناعة قواعدها بعد الإسلام . فضلاً عن فقدان الوثائق أو عدم وجودها في أخذ العربية عن الفارسية تماماً .

وعليه يمكن القول إن التشابه بين أبحاث فرعية في النحوين العربي ، والفارسي ، لا يعني نقل الأول ، عن الثاني ، لوجود مثيله في بقية اللغات ومنها : الهندية ، واليونانية ، والصينية ، وهي من فصائل مختلفة تمام الاختلاف وبعبارة أخرى . إن العربية تختلف من حيث الهيكلية والتكوين عن الفارسية فالأولى ساميَّة ، والثانية هندو أوروبية وهذا يستتبع رد مقولة أخذ النحو العربي مباشرة عن الفارسي لاستحالة ذلك . دون أن ننفي إمكان التأثر والتأثير في التوجُّهات والتفكير ، أما أن نقول إن النحو العربي استفاد في وضع أسسه من الفارسي فهذا ما لا يقرُّ به عاقل لخلوِّ أيدينا تماماً كما تقدَّم بشهادة أهل الاختصاص ، والخبرة ، والانتماء ؛ من أية وثائق توجَّه إلى ذلك ، أو تقول به .

هـ ـ مع النحو الهندي :

نظراً للصلات التجارية القديمة قبل الإسلام وبعده بين الهنود والعرب عبر طرق ثلاث : واحد بري ، وإثنان بحريان . رأى بعض الدارسين وجود علاقات ثقافية بين النحوين العربي ، والهندي . خاصة مع ملاحظتهم لبعض المتشابهات في مجالي : النحو واللغة ، الأمر الذي دعا إلى التعليق على الموضوع مع علمنا بسبق الهنود للعرب في درسهم اللغوي الذي يعود إلى القرن الخامس ق. م. ومع عودتنا إلى الدراسات المتخصصة تبين لنا(١) : وجود متشابهات على الصعد : الصرفي ، الصوتي ، والمعجمي ، واللغوي .

١ ـ الصرفي : أقسام الكلمة ، وخلاف حول الاشتقاق ، وتمييز بين الحرف الأصلي والزائد في التصريف .

٢ ـ الصوتي : وضع أبجدية صوتية ، والحديث عن أعضاء النطق ، وتقسيم للأصوات : مهموس ، ومجهور ، معتَّل وصحيح ، صامت ومصوِّت .

٣ ـ المعجمي : التأليف في المترادفات والمعجمات المرتبة حسب الموضوعات أو حسب الأوزان ، أو حسب الحرف الأخير .

---

(١) غوستاف لوبون ، **حضارة العرب** ، ترجمة عادل زعيتر مطبعة الحلبي ١٩٦٤ م وله أيضاً **حضارة الهند** المترجم نفسه ط ١ ، ١٩٤٨ م . وللندوي محمد إسماعيل ، **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية** ط. بيروت لا. ت. ولعمر أحمد مختار ، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على **اللغويين العرب** ، بيروت دار الثقافة ط ١٩٧٢ م ، وهو أهمها ومنه زبدة المادة اللغوية التي مرَّت في المتن آنفاً .

٤ ـ اللغوي : القول بقداسة اللغة ، وبوجد أماكن عازلة صحيحة اللغة ، وخلاف حول الوقف ، والاصطلاح .

وعليه وبناءً على دراسة متخصِّصة قيمة تعتمد الأسلوب المقارن لأحمد مختار عمر[(١)] يرى فيها أن الحكم بالتأثر أمر ليس سهلاً ، فضلاً عن أن نفي التأثر تعصباً أمر غير جائز ، نقف من الأمر حذرين . لأن عمر يقطع بعدم وجود أدلة سندية وحجج تاريخية تمكِّننا من أحد الموقفين عند العرب ، والهنود . وهو الدارس المختص بنحو اللغتين . كما يتابع أن التأثر إن قُبِلَ من ناحية فهو مرفوض من ناحية أخرى . كما هي الحال مع المعجمات التي ترفض القول بالتأثر بالنحو الهندي لسبق العرب فيها العالم أجمع، إن قلنا بالتأثر من نواحي الصرف، واللغة، والصوت، ويتابع رافضاً التأثر بين النحويين: الهندي والعربي، لوجود هذه المشابهة أيضاً في: الفارسي، والعبري ، واليوناني ، والسرياني ، فضلاً عن الصيني . ولذا ليست المشابهة عنده حجة للقول بالتأثر . ولم يؤكد كما يقول بوثيقة واحدة أخذ النحو العربي عن غيره ليقبل التأثر هنا ـ كما يورد أدلة على الاختلاف تنفي التأثر كما في مباحث الأصوات والعلل القصيرة ، وخلوا العربية منها ، وقسمة الأسماء إلى مذكَّر ، ومؤنث ، ومحايد ، والأفعال إلى ماضٍ ، وماض حدث لتوِّه .

وهكذا نرى أن الأمر مع النحو الهندي ليس أحسن حالاً مما هو عليه مع السرياني ، واليوناني ، والعبري ، والفارسي ، إذ لا يمكن القطع بالتأثر ، والتأثير لخلو أيدينا من أيَّة وثيقة أو أيِّ دليل يؤيد أو ينفي ذلك التأثر . بغير ما حللناه وشرحناه .

---

(١) أحمد مختار عمر ، **البحث اللغوي عند الهنود** ، ص ١٢٧ ـ ١٦١ . حيث تفصيل ما نقلناه وهو بحث قيم جداً بموضوعه ، وأسلوبه .

الباب الرابع

دراسة التطوُّر

الفصـل الأول

المنهج في دراسة التطـوُّر

مع انتهائنا إلى هذا الفصل الذي حاول البحث أن يعالجه بشكل جديد غير مطروق في دراسة التطوُّر[1] . يمكننا أن نتوسَّع في التعليق على الأسباب التي حدت إلى هذا التصوُّر ، مع التركيز على المنطلقات المميزة لدراسة التطوُّر في هذا البحث عن غيره .

تنطلق الدراسة من نقطة حسبان الموضوع أصلاً بدهيـاً واجب الحضور بحكم أصالة التقدُّم في الأعمال الإنسانية عامة ، وحكم موافقة وقائع الأمور في تاريخ النحو لهذا الاعتبار خاصة . ولذا يمكننا الحكم بحصول التقدُّم على الصعيد الخاص في المجال النحوي ، عبر ما وفّره البحث في بابه الأوّل ، من عرض مستفيض لنشأة علم النحو ، وعليه يمكن تجاوز الهوَّة التي وسمت بها مختلف الدراسات حتى الآن ، وهي إهمالها لدراسة التطوُّر ـ عبر ما توفَّر من مسائل وأخبار علمية ـ بصورة منهجية تعتمد على المسائل العلمية التي شكَّلت أقسامه .

وبناءً عليه يمكننا الحديث عن التـطوُّر وفق المنظور المتشعِّب إلى المسـائل الفرعية التالية :

١ ـ دراسة التطوُّر طبق المراحل العلمية المتقادمة زمنياً وفق طبقات الزبيدي .
٢ ـ الحكم على المراحل بأشكال الأخبار العلمية الواردة عن العلماء فيها .
٣ ـ اعتماد الخطوات الفاصلة[2] لتحديد أطر التطوُّر الكبرى .

---

(١) في متن الصفحة ١٣ من هذا الكتاب عند الحديث عن مدلـول كلمة تـطوُّر ومفهوم تـطوُّر النحو .

(٢) راجع في هذا الموضوع ما ورد ذكره في متون الصفحات ٥٢ ـ ٥٦ من هذا الكتاب في كل من =

٤ ـ دراسة المسائل النحوية التي انتهت إلينا عن العلماء حسب المراحل المتابعة ، والحكم عليها .
٥ ـ دراسة المسائل النحوية المشهورة ، والذائعة الصيت ، والحكم عليها .
٦ ـ مقارنة الأعمال النحوية ومقايستها .
٧ ـ الحكم على الأعمال النحوية حسب المسائل ، بالأصالة ، والتأثر .
٨ ـ الحكم بدرجة التطوُّر .

١ ـ دراسة التطوُّر طبق المراحل العلمية المتقادمة زمنياً وفق ترتيبها في طبقات الزبيدي :

يستفيد الموضوع من الأشكال الدراسية السابِقة التي ظهرت مع العلماء عبر التاريخ النحوي . ومن أقدم الأشكال وأفضلها ، وأدقّها ، شكل الدراسة الذي يعتمد الطبقات النحوية المرتبة ترتيباً : زمنياً ، ومكانياً ، ومذهبياً ، ودراسياً ، ومنهجياً . والذي كان مع أبِي بكر محمد بن الحسن الزبيدي[١] . أجدر أصحاب كتب الطبقات النحوية ، بالتسمِّي بهذا الإسم ، لدقَّة عمله ، ورجاحة رأيه ، وتجرُّد أحكامه ، ولمنهجيته العلمية الرفيعة[٢] . فقد عرض الزبيدي في كتابه[٣] ، الأعمال النحوية ، بحسب المراحل الزمنية التي كانت مع العلماء الموزَّعين زمنياً على تواريخ حياتهم ، ومكانياً على أماكن إقاماتهم ، ومذهبياً بحسب مذاهبهم في التعبير ، والتفكير . ولقد ركَّز البحث على اعتماد هذا الشكل الدراسي كونه الأوحد في الابتعاد عن التأثُّر بالأحكام الذوقية ، والآراء المتفرِّدة المبنية على بواعث خاصة تحكم التفكير ، وتوجهه تجاه العصبية المرفوضة منهجياً ، والتزمُّت المرفوض علمياً . وهذا مما يعود بأبلغ الأثر على الدراسة النحوية التي تحاول رصد التطوُّر عبر نتائج العلماء . دون الإساءة إلى أي دور ، أو دون تقديم أي عمل على حساب الآخر الأمر الذي يرافق عمليات التعميم غالباً . مع حصر العمل زمنياً بالسابق ، ومذهبياً ، ومكانياً بالمدرسة : (بصرة ، كوفة) ، وعلمياً ودراسياً بالمسألة نفسها ، أو بالمسائل

= مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، وما ورد أيضاً في متن الصفحة ٥٨ تحت عنوان الأعمال الركائز ، وما يليها في ٥٩ ـ ٦٣ .

(١) التعريف به حاشية الصفحة ٥٦ من هذا الكتاب . حيث الإحالة على المراجع أيضاً رقم ٢ .

(٢) الصفحات ١٥٦ ـ ١٥٧ من كتابنا الطبقة والنحو ، بيروت دار الفكر اللبناني ١٩٩٢ م .

(٣) عنينا به كتابه المشهور «**طبقات النحويين واللغويين**» وقد نشر مرتين الأولى بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١ ، ١٩٥٤ م والثانية بدار المعارف بمصر .

المستجدّة ، يمكننا الحكم بصورة دقيقة ، وصحيحة على المنهج في العلم ، أو على التطوُّر في العمل من دون الإجحاف ، أو من دون الميل إلى جانب ضد آخر .

٢ ـ الحكم على المراحل بأشكال الأخبار العلمية الواردة عن العلماء فيها :

من خلال ما تقدَّم في الفقرة الأولى ، عن النمط المتّبع في ترتيب المراحل العلميـة المتلاحقـة منذ نشـأة علم النحو مـع الدؤلي ، وعلي ، وحتى نضجـه مع مدرستي البصرة ، والكوفة ، لتسهيل الدراسة ، وترتيبها . نصل إلى الحـديث عن طبيعة العمل داخل كل مرحلة ، من هذه المراحل المتتابعة ، لنتمكن من الحكم على كل مرحلة بصورة منفصلة . هرباً من التعميم الذي لا يصيب غالباً . ولذا وباعتبار أن عرض المسائل داخل كل مرحلة بصورة منفصلة ، يستدعي الحديث عن كل عالم على حدة . جرى اعتماد مبدأ الأسماء في الترتيب بحسب حياة الأعلام ، ووفياتهم ، وبحسب أخذهم عن سابقيهم ، الأمر الذي كان الأساس في تطبيق الواحد منهم على هذه الطبقة أو تلك ومع هذا الترتيب يتم عرض المسائل الخاصة ، بالعمل النحوي لدى بعض العلماء ، والعامة التي شغلت اهتمامهم جميعاً ، كما يتم إصدار الحكم بالصورة العلمية المفروضة ، وعلى الشكل العلمي الأدَّق ، والمطلوب ، والمنطلق من اعتماد المسائل ، دون أي تصنيف آخر .

٣ ـ اعتماد الخطوات الفاصلة لتحديد أطر التطوُّر الكبرى :

يعتمد البحث أيضاً في إصداره لأحكامـه على ما جـرى تحديـده سابقـاً من خطوات كبرى فاصلة[1] بين المراحل المتلاحقة، لأهميتها، ولأثرها البالغ في تحديد أطر الموضوع العامة ، ولأنها بالتالي تُسهِم في توجيه الدراسة إلى اكتشاف النواحي المستجدَّة فضلاً عن تسليطها الأضواء على مختلف نواحي التطوُّر العام ، الحاصل منذ النشأة حتى النضج في مدرستي : البصـرة ، والكوفـة إضافـة إلى تلك النظرة الشاملة ، التي تنطلق مع موضوع التطوُّر ، من نقطة نظر واحدة عند الحـاجة إلى الحديث عنه بصورة معمَّمة تتوخى التلخيص الشامل المتقيِّد بالمسائل المهمَّة ، التي أسهمت في وضع الحدود العامة ، والأشكال النهائية ، للبناء النحوي العام من دون اللجوء إلى التدقيق الناتج عن استعراض عمل كل عالم بصورة منفصلة .

(١) راجع في هذا الموضوع متون الصفحات ٥٢ـ٥٧ من هذا الكتاب حيث تمَّ عرض الموضوع بالتفصيل .

٤ ـ دراسة المسائل النحوية التي انتهت إلينا عن العلماء حسب المراحل المتابعة والحكم عليها :

يرتكز البحث في ملاحظته لسياق التطوُّر النحوي العام في مدرستي : البصرة والكوفة على ملاحظة المسائل ، والاهتمام بها وفق حدوثها مع مراحل وجودها الأولى ومتابعة تطوُّرها حتى الشكل النهائي مع العالم صاحب الفضل في ذلك الشكل الأخير لمعرفة المسائل التي نضجت مع مرحلة وضعها الأولى ، ومع أصحابها الذين أوجدوها والمسائل التي تعاهدها العلماء المتابعون عبر المراحل المتلاحقة بالدراسة حتى نضجت ، واستقرت على شكلها الأخير ، والمسائل التي كانت قد طرأت أصلاً على الصرح النحوي من باب إثبات القدرة على إيجاد الأحاجي حباً بإثبات الجدارة ، وإحراز الريادة ، والسيادة ، والأعلمية ، الأمور التي يمكن أن ننعت بها الأعمَّ الأغلب من المسائل النحوية الطارئة على موضوع النحو ، والنحاة .

٥ ـ دراسة المسائل النحوية المشهورة والذائعة الصيت والحكم عليها :

يتصدَّى البحث لهذا الجانب ، لأهميته البالغة في ملاحظة الخط العام للتطوُّر النحوي ، لكثرة تعاهد هذه المسائل بالدراسة مما يسهّل عملية الاستنتاج ، بعد عرضها إلى جانب عرض المسائل الأخرى التي أغفلها الدارسون لقلة أهميتها بالنسبة إلى المسائل المشهورة[١] ـ كما يرون ـ أو لعدم وقوعها بين أياديهم . هذا إلى جانب إمكان معرفة الأسس العامَّة لطرائق التفكير المختلفة حيناً ، والمتناقضة حيناً في فهم المسائل بين مدرستي : البصرة ، والكوفة فضلاً عن الفائدة التي يجنيها الباحث ، والدارس في إعادة النظر في موضوع تلك المسائل انطلاقاً من المراحل الزمنية التي تحدِّدها حيث يتم معرفة درجة التطوُّر ونسبته حتى تاريخها بصورة علمية دقيقة لا توفرها المسائل الصغيرة ، أو غير المشهورة .

٦ ـ مقارنة الأعمال النحوية ومقايستها :

يركّز البحث على مقارنة أعمال النحويين بعضها ببعض في الأبواب المتشابهة لمعرفة مدى التطوُّر اللاحق بها تاريخياً ، ومنهجياً بين السابق ، واللاحق خاصة في مجال التأثر بالعلوم الدخيلة ، مما عاد بالأثر على تطوُّر العمل الفردي بالنسبة للعمل الآخر . وهذا مما يؤدي إلى معرفة منشأ التفكير في التطوُّر ، ومعرفة مدى التطوُّر في الأسلوب ، والمنهج ، والتفكير ، ومما يؤدي إلى إصدار الحكم على طرق المعالجة ، وأصولها .

---

(١) كالمسألة الزنبورية مثلاً والتي كانت بين سيبويه شيخ البصريين ، والكسائي شيخ الكوفيين .

٧ ـ **الحكم على الأعمال بالأصالة والتأثُّر** :

على أن هذه المقارنـة تدفـع إلى إصدار الأحكـام على الأعمال النحـوية ، والمسائل العلمية ، بالأصالة ، والتأثر ، وهـذا مما يسـاعد على تمييـز الأصل من المسائل في التفكير ، والتعبير ، من الـدخيل المتـأثِّر بـالأحكام العقليـة ، والطرق المستجدة على صعيد البحث النحـوي وهذا ممـا يمكِّن من إعادة تحـديد العمـل النحوي بأطره الخاصة بعد أن غدا عملاً شـاقاً لكثـرة ما داخله من أثـر من العلوم الأخرى .

٨ ـ **الحكم بدرجة التطوُّر** :

وفي النهاية يعمد البحث إلى إصدار الحكم على المسائل العلمية ، بتحديد درجتها في خط التطوُّر العام ، وهذا مما يساعد على وضع الأمور في نصابها الذي تستحقه ويتمُّ تحديد هذه الدرجة وفق ما يلي :

١ ـ أصل المسألة .

٢ ـ أسلوب طرحها .

٣ ـ أسلوب معالجتها ، ومدى أثرها على الصرح النحوي ، وخط التطوُّر العام .

الفصل الثاني

التطور مع مدرسة البصرة

التطور مع مدرسة البصرة :

إن العودة التاريخية إلى وقائع موضوع البدايات الأولى لعلم النحو ، عبر مصادره الرئيسة ، والأساسية[1] ، تمكننا من استقراء فصول تلك البدايات على الأشكال التي كانت عليها ، بصورة تتوخى الدقّة في تحصيل المعلومات ، تجنباً للإقحام على الواقع ، والحقيقة . كما تمكّننا من اكتشاف ثغرات مهمة انتشرت وعمّت في تاريخ النحو ، وكتبه الحديثة ، تحت تأثير الدراسات التي قام بها المتأخرون ، والمحدثون ، والمعاصرون[2] ، إلى درجة تمكنت معها هذه الدراسات التي طبقت الشرق ، والغرب ، بعد انتشارها على ألسنة الجميع من طلّاب معرفة ، ومتخصصين ، وعلماء من ضرب غشاوة بين الحقيقة العلمية ، وبين ما انتهى إليه ، من نتائج ظنت أنها الواقع الذي لا مراء فيه ، ولا مناص منه . . .

ولذا فإن هذه الدراسة تحاول أن تقدِّم وجهة نظر خاصة . تنطلق في إثباتها ، من الواقع الذي راح يتكون لِبنة إثر لِبنة ، دون أن تهتمَّ أو أن تتأثَّر بالبناء الذي غدا

---

(١) كتب الطبقات النحوية ، والتراجم المتخصصة برجال النحو مثل **مراتب النحويين** ، لأبي الطيب اللغوي ، **وأخبار النحويين البصريين** ، للسيرافي ، **وطبقات النحويين واللغويين**، للزبيدي، **ونزهة الالباء** ، للأنباري ، **وإنباه الرواة على أنباه النحاة** ، للقفطي ، **وبغية الوعاة** للسيوطي .

(٢) وهم كثر أشهرهم من المتأخرين جورجي زيدان ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومن المحدثين ، أحمد أمين ، وسعيد الأفغاني . ومن المعاصرين : إبراهيم مصطفى ، وحسن عون ، وشوقي ضيف ، راجع فيهم وفي كتبهم حاشية ص ١٦٥ من كتابنا نشأة النحو العربي .

قائماً خالصاً بأركانه فيما بعد ، الأمر الذي حدا بالدارسين إلى الوقوع في تلك الوهدة العميقة بعد أن نظروا إلى الواقع الأوَّل ، والبدايات الأولى من نقطة ما آل الأمر إليه ، بعد النضج في التفكير ، وفي التمذهب فحمّلوا الحقيقة ما ليس فيها ، وأقحموا على واقع الأمور ما لم يكن أصلاً فيه . وهذه عيوب ، وأخطاء لا تغتفر .

من ذلك ما تحدَّثوا به عن نشوء النحو ، وبداية التمذهب في مدرسة البصرة من أيام الدؤلي . حيث نرى أن الدراسات قد أجمعت أن مدرسة البصرة هي التي وضعت النحو على يدي الدؤلي[1] ، وهذا الاتجاه خاطىء ، لا يصح عند عرضه على الواقع لأن المفهوم المدرسي لم يوجد في هذه المرحلة ، وإن وُجد فليس لتحديد الخلاف ، بل لتعيين الانتماء المكاني مع ترحال العلماء ، ولأن مفهوم مدرسة البصرة أو مدرسة الكوفة ، مفهوم متأخر لم يكن ولم يفكر فيه إلَّا بعد وصول التمذهب المتعمد في النحو إلى عالم الوجود الأمر الذي لم يُعرف حتى مرحلة الرؤاسي[2] ، والهرَّاء[3] ، اللذين تتلمذا لعيسى بن عمر[4] ، وأبي عمرو بن العلاء[5] ، وغيرهما من أبناء الطبقة الرابعة من النحاة عند البصريين بعد رحيلهما إلى البصرة للأخذ عن علمائهما[6] ، ليستكملا ما يريدان من علم ، بعد أن حصّلا ما حصّلاه في الفقه ، وأصوله ، وفي علم القراءات ، ورواياتها ، وفي رواية الأشعار ، القديمة في مدينتهما الكوفة ، وعن علمائها . بعد أن تناهت إلى سمعيهما أخبار العربية في البصرة .

نعم لا يسعنا إلَّا أن نخالف هذا الاتجاه لأنه خطأ فادح يخالف الحقيقة ، ويناقضها كلياً . لأن أبا الأسود كان خارج فكرة التمذهب بمذهب ، بل هو خارج فكرة الانتماء أصلاً . لأنها لم تكن لعهده كما تقدم أعلاه ولأنه لم يصدر في عمله النحوي عن غاية جاهدة في الدفاع عن المبدأ المدرسي الذي يمثِّله ، والذي يحاول الآخرون النيل منه بمختلف الوسائل ، كما حدث لاحقاً بين النحاة المتنافسين من

---

(١) ومنها عند الأفغاني في أصول النحو ، ومازن المبارك في النحو العربي ، وشوقي ضيف في المدارس النحوية ، وزيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ، والرافعي في تاريخ آداب العرب .

(٢) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .

(٣) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .

(٤) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٥) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٦) راجع المقطع الثالث من متن الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب فلقد مرَّ الحديث تجنُّباً للإعادة .

أتباع المدرستين وإنما قام بما قام به ، وهو يسعى وراء غاية هي حفظ اللغة ، وتبيان حدود الإعراب ، وحفظ القرآن المكتوب بالعربية . من دون أن ينازعه أحد على ذلك ، أو من دون أن يوازيه أحد في طلب ذلك لتقدُّمه[1] . وهو فضلاً عن ذلك ـ وعملاً بمنطق هؤلاء الذين ينسبونه إلى البصرة ـ لا ينتسب إليها فهو كوفي المولد[2] ، قرشي النسب[3] ، وساكن البصرة[4] ، منذ خلافة عمر . فلمَ لا ينسب إلى قريش ، أو إلى الكوفة وينسب إلى البصرة . وَلِمَ تلك العصبية للبصرة التي لا يجد البعض سبيلاً إلى إذكائها إلاَّ بالغض من شأن الكوفة ؟ طبعاً هنالك جواب أفضل ، وهو أن المذهبية المتعمدة في النحو متأخرة حتى زمن الخليل بن أحمد[5] ، وتلميذه سيبويه[6] ، لأننا إن اعتبرنا مجرَّد مخالفة اللاحق للسابق ، أو التلميذ للأستاذ منطلقاً لنشوء التمذهب في النحو ، لوجب علينا أن نسلك النحاة الذين خالفوا سابقيهم كابن أبي إسحٰق[7] وعيسى بن عمر[8] ، وأبي عمرو بن العلاء[9] ، ويونس بن حبيب[10] في عداد مؤسسي المذاهب ، لا في عداد أتباع المدرسة البصرية التي انتموا إليها باعتبار أخذهم عن أساتذتها ، بصرف النظر عن أجناسهم ، وهم من الموالي ، ما عدا ابن العلاء . ولكننا ، كما نعلم ، وكما أشار البحث إلى ذلك[11] إن مخالفة هؤلاء لم تكن إلاَّ من باب الاجتهاد ، وإعمال النظر الشخصي في استنباط القواعد ولذلك فهم بصريون ، ولكنهم ليسوا من المتمذهبين المتعمدين كالذي حدث من بعد، مع الخليل، وسيبويه بعد أن طلب الأوَّل ـ كما حدثنا ابن

---

(١) هذا الجانب تقدم ذكره في المقطع الثاني من متن الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب تجنباً للإعادة .

(٢) صدر الدين الكنغراوي المتوفى ١٣٤٩ هـ ، الموفي في النحو الكوفي ص ٤ الأسفل السطر قبل الأخير .

(٣) الأصيهاني ، الأغاني جـ١٢ ص ٢٩٧ ، أخبار أبي الأسود .

(٤) الزركلي ، الاعلام ، ١٩٧٩ ، جـ٣ ص: ٢٣٦ ، أخبار أبي الأسود .

(٥) التعريف به في حاشية الصفحة ١٩ من هذا الكتاب وحاشية الصفحة ٣٧ منه .

(٦) التعريف به في حاشية الصفحة ٥١ من هذا الكتاب .

(٧) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب .

(٨) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(٩) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(١٠) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٦ من هذا الكتاب .

(١١) التعريف به في حاشية الصفحات ٤٤ ـ ٤٧ من هذا الكتابتحت عنوان وضع القواعد اعتمد النظر الشخصي . . .

النديم[1] ـ من الرؤاسي[2] كتابه، بقول الرؤاسي: «بعث إلي الخليل بطلب كتابي، فبعثت به إليه فقرأه، ووضع كتابه»[3] وهذا ما كان بعد الزمالة التي كانت بينهما أثر تلمذتهما لعيسى بن عمر، ولأبي عمرو بن العلاء، وفي هذا إشارة إلى بداية الخلاف المنهجي في بعض الأمور باعتبار ما يعرفه الرؤاسي عن أهل مدينته، وفيه موافقة بعض الأمور مما عند الرؤاسي، لما وضعه الخليل، إذ وضع كتابه ـ الذي لم يصلنا إلاّ أخبار عنه حسب خبر الرؤاسي الآنف الذكر ـ بعد اطّلاعه على كتاب الكوفي وقد وصلتنا عن ذلك نتف أثبتها سيبويه في كتابه بعد أن رواها له الخليل. أو أنه كتاب العين الذي وصلنا عن الخليل.

ولذا يمكننا أن نجزم بثقة تامة أن أبا الأسود لم يتمذهب بالمذهب البصري، ولم يقصد تلاميذه من بعده إلى ذلك، وهكذا بالنسبة لتلاميذ تلاميذه الممثلين بابن أبي إسحٰق، وقل الأمر نفسه بالنسبة إلى أبناء الطبقة الرابعة الممثلين بأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، أما مع أبناء الطبقة الخامسة الممثلين بالخليل، وعيسى فإن الوضع يختلف خاصة بعد اطّلاع الخليل على كتاب الرؤاسي حيث يبدأ التخطيط لخلاف مقصود، وتمذهب متعمَّد يصبح بعده الانتماء لمدرسة البصرة لا يقوم على الأخذ عن أساتذتها فقط، بل بالتعصُّب لآرائها، والدفاع عنها، في مواجهة الآراء الأخرى التي يجب أن يُلمّ ابن المدرسة بها. وهذا ما حدث مع سيبويه، والكسائي، والمسألة الزنبورية. ولذا فإن الحديث عن خلاف منهجي متعمَّد، أو عن تمذهب في النحو مقصود قبل سيبويه من ناحية بصفته تلميذ الخليل، وقبل الكسائي من ناحية أخرى بصفته تلميذ الرؤاسي. مع اعتماد كل منهما على مصادره، وطرائقه التي أخذها عن أساتذته[4]، أمر مفروغ من عدم صحته. وبناءً لا يمكننا الحديث عن مدرسة بصرية تعمل بمفهوم الخلاف المدرسي المتعمَّد، والمشهور من دون الحديث عن مدرسة أخرى تقابلها، وتنازعها الرأي لأن طبائع الأمور ترفض صورة أخرى لا تقوم على المقابلة، إذ كيف نفسِّر حصول ما نسميه بالمذهب البصري الذي يمتاز عن غيره، ويخالفه، مع عدم وجود هذا الأخير بل

---

(١) التعريف به في حاشية الصفحة ٨٢ من هذا الكتاب.
(٢) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب.
(٣) **ابن النديم، الفهرست**، ص ٩٦ أخبار الرؤاسي سطر.
(٤) هذا الموضوع في المقطع الثالث من الصفحة ٤٨ ما بعده من الصفحة ٥٠ من هذا الكتاب.

وتأخره مدة لا تقل عن القرن إلى زمن الرؤاسي ، والهرّاء ، والكسائي ، والفراء ، فأما أن يكون الخلاف أصيلاً قديماً ، بمعنى أن يكون التمذهب قديماً منذ أيام الدؤلي ، عند الفريقين من بصريين ، وكوفيين وهذا ما لا نملك دليلاً روائياً ، أو سندياً عليه ، ولذا فهو ضعيف وإما أن يكون التمذهب المدرسي متأخر إلى زمن الخليل ، وسيبويه ، وما يقابلهما من الكوفيين ، وهذا نملك عليه دليلاً سندياً[1] ، وهو جواب الرؤاسي عن طلب الخليل لكتابه ، فضلاً عن موافقته للنتائج التي انتهى إليها البحث[2] ، وهنا يمكننا أن نحدِّد منشأ خطأ الذين يحكمون ببداية تمذهب النحو مع بداية البصرة التي انطلقوا في تحديدها من الدؤلي ، وعمله بعد أن جعلوه ، رأساً لها . كما يمكننا الحديث عن أخطائهم عند حكمهم بطرؤ الكوفيين على موضوع علم النحو ، وتعمدهم مخالفة البصريين الذين سبقوهم إلى النحو بملاحظة ابتداء أبي الأسود ، وتابعيه حتى الخليل به ، وتأخر ذلك حتى عهد الرؤاسي ، والهرّاء عند الكوفيين بعد أن أغفل تاريخ النحو عند كتابته تسجيل ما للكوفيين في تاريخهم العلمي من فضل ، وعمل قبل الرؤاسي ، والهراء ـ وقد مر فساد هذا ـ لأنه مبني على نظرة جزئية ، ولأنه لا يلاحظ خطأ فرضية عزلة الكوفيين عما صنعه أبو الأسود ، وكأن صنيع الدؤلي خاص بالبصريين ، ممنوع على غيرهم الأمر الذي لا يقبل به مع معرفتنا بتقديم الكوفيين في مجال رواية الشعر ، والفقه ، وإقراء القرآن وقد أقر البصريون لهم ذلك وهذه العلوم كما هو معروف تستدعي إلماماً بما قام به الدؤلي خاصة على صعيد إقراء القرآن وإعرابه .

ونختتم بالقول أنه لا مدرسة بصرية تتعمَّد العمل بالمفهوم المدرسي القائم على مناقضة الخصم بنقض آرائه على أساس الدفاع عن الآراء الخاصة التي يتمثلها الناقض ، والتي تمثل آراء فئة أطلقوا عليها اسم المدرسة للتمييز العلمي القائم على المخالفة المتعمَّدة ، لا الانتماء المكاني الدراسي قبل الخليل ، وتلميذه سيبويه . نعم هنالك متابعة لآراء مدرسية بحكم الانتماء المكاني ، والمدرسي وبحكم مشافهة من ينطق بهذا الأسلوب لا بغيره ، جرياً على مراعاتهم لأصول نشأوا عليها ، وسمعوها عن الأعراب ، ولا شيء غير ذلك .

---

(١) تقدَّم الحديث عن هذا الجانب ، راجع فيه الصفحة ١٢٣ من هذا الكتاب وفيها ذكر الخبر في المقطع الأول .

(٢) هذا الموضوع مما آلت إليه نتائج البحث في الصفحة ٤٧ وما بعدها حتى نهاية المقطع الأول من ص ٤٨ من هذا الكتاب تحت عنوان انتصار كل نحوي لمدرسته .

- ١ -

الطبقة الأولى

وتضم أخبار عالمين هما : أبو الأسود الدؤلي ، وعبد الرحمٰن بن هرمز .

أبو الأسود الدؤلي :

جعله الزبيدي أساس الطبقة الأولى ، وأيَّد ذلك الأنباري في نزهة الالبَّاء ، واللغوي في مراتب النحويين ، والسيرافي في أخبار النحويين البصريين ، والقفطي في إنباه الرواة ، وياقوت في معجم الأدباء ، والسيوطي في بغية الوعاة .

التعريف بـه :

هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن جِلس بن كنـانة . . . بن مُضر بن نزار ، وهم أخوة قريش[١] كان من وجوه التابعين ، وفقهائهم ومحدثيهم ، ومن وجوه شيعة علي . إستعمله عليٌّ على البصرة بعد ابن عباس . توفي بالطاعون الجارف سنة ٦٩ هـ .

علمـه :

فقيه محدِّث ، روى عن علي ، وعمر ، وابن عباس ، وهو الأصل في بنـاء النحو وعقد أصوله ، وهو تلميذ علي في النحو لقوله عندما سئل : أخذت حدوده عن علي ، وهو معدود في طبقات شتى ، وهو في كلها مقدَّم . . . كان معدوداً في الفقهاء والتابعين ، والشعراء ، والمحدِّثين والنحويين ، والحاضري الجواب . . .

---

(١) الأصبهاني ، الأغاني جـ ٢ ص ٢٩٧ ـ ٣٣٨ .

أشهر أخباره العلمية :

مرت آنفاً بالتفصيل فلتراجع[1] .

التطوُّر الحاصل مع الدؤلي :

١ ـ نقط القرآن ، وإعرابه .
٢ ـ وضع العربية .
٣ ـ وضع أبواب في النحو هي : باب الفاعل ، والمفعول ، والمضاف ، والرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم .
٤ ـ وضع باب التعجُّب .
٥ ـ وضع حروف الرفع ، والنصب ، والجر .
٦ ـ وضع أقسام الكلمة ، وأنواع الاسم ، وأبواب العطف ، والنعت ، والتعجُّب ، والاستفهام ، وحروف النصب .
٧ ـ المختصر في النحو المنسوب إلى الدؤلي ، والمعروف بالتعليقة[2] .

كما هو واضح يمكننا أن نحكم على هذه الأعمال بالأصالة ، كونها وليدة الاعتماد على السليقة في الانطلاق ، وطرق المعالجة . وهي بعيدة عن التأثُّر بغير المعطيات العربية ، القائمة على الحاجة الملحَّة ، الناتجة عن المستجدات الطارئة . ولذا نستطيع أن نعطيها المكانة التي تبوأها صاحبها . ولذا هي في الدرجة الأولى من التطوُّر في علم النحو .

عبد الرحمٰن بن هرمز :

سجله الزبيدي في الطبقة الأولى من نحويي البصرة . وهو مدني وقد خرق بتسجيله ها هنا المنهج الذي اختطه لنفسه حيث قال : نبدأ بذكر النحويين على طبقاتهم ، واللغويين بعدهم ، ونقدِّم البصريين من كلتا الطبقتين لتقدمهم في علم العربية ، وسبقهم إلى التأليف فيها[3] . وعلّل الزبيدي خرقه هذا بقوله : إنه سجله ها هنا لتقدُّمه وهو مدني . علماً أنه توفي من بعد ميمون ، وعنبسة ، ونصر ، وهم تلاميذ الدؤلي . وهذا من أخطاء الزبيدي . لأن مجرَّد تقدُّمه لا يعني تطبيقه في هذه

(١) راجع الصفحات ١١٣ ـ ١٥٤ من كتابنا نشأة النحو العربي ، حيث ذكرت المصادر مع الأخبار مفصّلة .
(٢) الصفحات ١٤٧ ـ ١٥٤ من كتابنا نشأة النحو في هذه النتائج مجتمعة .
(٣) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ، المقدِّمة ص ٩ ـ ١٠ .

الطبقة علماً أن تلاميذ أبي الأسود من المتقدمين عليه(١) . وقد أكَّد الأنباري أنه أخذ عن الدؤلي كما أخذ نصر بن عاصم(٢) ، وكذلك أكَّد هذا القفطي(٣) .

التعريف بـه :

هو أبو داود من موالي بني هاشم ، عُـرف بالأعـرج من أهل المـدينة مـات بالإسكندرية ١١٧ هـ . وفي اسم أبيه خلاف .

علمـه :

عـالم بالأنسـاب ، قارىء حـافظ ، وافر العلم ثقـة ، وأعلم الناس بـأنساب قريش . أوَّل من وضع العربية(٤) ، أخذ عن أبي هريرة ، ويُروى أن مالكاً اختلف إليه في علم لم يبثّه في الناس .

أشهر أخباره :

لم يصلنا منها شيء .

التطوُّر الحاصل مع ابن هرمز :

التعميم لا يمكّننا من تحديد التطوُّر ، ودرجته فضلاً عن بعض المغالطات في المعلومات .

---

(١) راجع كتابنا الطبقة والنحو ص ٧٦ ـ ٨٧ .
(٢) الأنباري ، نزهة الألباء ، تحقيق السامرائي ، ص ٢١ مقطع ٣ .
(٣) القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جـ ٢ ص ٣٧٢ سطر ١١ .
(٤) الصفحات ١٦١ ـ ١٦٣ من كتابنا نشأة النحو العربي حيث التعليق على خطأ هذه الرواية بشكل مفصل .

- ٢ -

الطبقة الثانية

وتضم أخبار أربعة علماء هم : نصر بن عاصم ، يحيى بن يعمر ، عنبسة الفيل ، ميمون الأقرن .

نصر بن عاصم(١) :

سجَّله الزبيدي في رأس الطبقة الثانية ؛ لأخذه عن الدؤلي ، وأشار في نهاية حديثه عنه إلى قول ابن سلام بأخذه عن ابن يعمر - على سبيل الأمانة العلمية - وأيَّد أخذه عن الدؤلي ، السيرافي ، في أخبار النحويين البصريين ، وابن النديم في الفهرست ، والإنباري في نزهة الالباء ، والقفطي في إنباه الرواة على أنباه النحاة ، والسيوطي في بغية الوعاة أشار بدوره إلى قول ابن سلام .

التعريف به :

هو نصر بن عاصم الليثي من التابعين ، ويقال له الدؤلي توفي في البصرة ٨٩ هـ . وكان يرى رأي الخوارج ، ثم ترك ذلك ، وله فيه أبيات .

علمه :

فقيه ، عالم بالعربية فصيح إلى درجة أنه «ليفلِّق بالعربية تفليقاً» . قرأ القرآن على أبي الأسود فكان أستاذاً في القراءة ، والنحو وهو أوَّل من أخذ عن أبي الأسود ، وهو أنبل الجماعة الذين أخذوا عنه والدليل على هذا احترام الحضرمي(٢) لرأيه كما سيرد .

---

(١) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٣ من هذا الكتاب .

(٢) هو ابن أبي إسحق ، التعريف به في حاشية الصفحة ٤٥ من هذا الكتاب .

أشهر أخباره العلمية :

نقل الزبيدي عند ترجمته لنصر خبراً عن علمه مفاده أنه سُئِل عن قراءة سورة الإخلاص فقرأ : ﴿قل هو الله أحد ، الله الصمد﴾ ، دون أن ينوِّن فأُخبر أن عُروة[1] ينوِّن فقال : بئسما قال ، وهو للبئس أهل . وتنتهي هذه القراءة إلى ابن أبي إسحٰق ، فيتابع القراءة بها حتى موته[2] .

التطوُّر الحاصل مع نصر :

متابعة العمل بما استحدثه أبو الأسود من مبادىء في إقراء القرآن وتلمذته تلمذته له . ومتابعة نشر مبادئه في تعليم النحو . والدليل على ذلك هو في سؤال نصر لتصدِّيه لأمور الإقراء ، والتعليم بعد موت الدؤلي لشهرته بذلك أيامه . هذا إلى جانب مشاركته في نقط القرآن بنقط الاعجام مع يحيى بن يعمر[3] . والمهم هنا تأطر العمل بالقرآن . والانطلاق في معالجة المسائل النحوية بما يوافقه ، ويحافظ عليه .

يحيى بن يعمر :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثانية ؛ لأخذه عن أبي الأسود ، وأيَّد ذلك اللغوي في مراتب النحويين ، والأنباري في نزهة الالباء ، والزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ، والقفطي في إنباه الرواة على أنباه النحاة ، والسيوطي في بغية الوعاة .

التعريف بـه :

هو يحيى بن يعمر ، اختلف في أصله ، فنسب إلى عدوان ، وفهم ، وجدل ، وليث ، وغطفان[4] يكنى أبا سليمان وهو من علماء التابعين سكن البصرة وتوفي فيها . ويقال بخراسان وهو قاض في أكثر من ناحية فيها عام ١٢٩ هـ وله حادثة طريفة مع الحجّاج[5] .

---

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة سافر إلى مصر وتزوَّج ثم عاد إلى المدينة وتوفي فيها عام ٩٣ هـ . راجع **الاعلام** جـ ٤ ص ٢٢٦ .

(٢) الزبيدي ص ٢١ ، الطبقات ، وأخبار النحويين البصريين ص ٢٠ ، والفهرست ص ٦٢ ، ونزهة الالباء ص ١٤ ، وإنباه الرواة جـ ٣ ص ٣٤٣ ، وطبقات اللغويين جـ ٢ ص ٣١١ .

(٣) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٣ من هذا الكتاب .

(٤) القفطي ، **إنباه الرواة على أنباه النحاة** جـ ٤ ص ١٨ .

(٥) القفطي ، **إنباه الرواة** جـ ٤ ص ١٩ ، والزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ٢٢ ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٤ ، وقد رويت بعدة أشكال .

علمه :

عارف بالحديث ، والفقه ، ولغات العرب ، وصاحب غريب ، وتقعّر . وأحد كتّاب الرسائل الديوانية فصيح ينطق باللغة من غير تكلُّف وهو أول من نقّط القرآن مع نصر بن عاصم بنقط الاعجام كونه من القرَّاء الذين أخذوا عن الدؤلي بالبصرة .

أشهر أخباره العلمية :

حادثة مع الحجّاج بن يوسف مفادها اللحن في قراءة إحدى الآيات . وذلك عندما سأل الحجّاج يحيى مقسماً عليه أتسمعني ألحن فأجابه : إنك ترفع ما يُوضع ، وتضع ما يُرفع ، فأجابه ذلك والله اللحن السيء . وقيل إنه قال له تلحن في حروف قال : فأين قال في القرآن . . . ما هو قال : تقول : «إن كان آباؤكم وأبناؤكم . . . أحبَ إليكم»[1] . تقرأها بالرفع . قال : لا جرم ، ولا تسمع لي لحناً ، فألحقه بخراسان . . .

التطوُّر الحاصل مع يحيى :

متابعة عمل الدؤلي بتعميم قراءة القرآن ، وتصحيح اللحون فيه ، ومتابعة نشر مباديء النحو ، والتجديد بنقط القرآن الاعجام مع نصر بن عاصم .

عنبسة الفيل :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثانية ، لتلمذته على الدؤلي ، وأيَّد ذلك اللغوي في **مراتب النحويين** ، والأنباري في **نزهة الألبَّاء** ، والقفطي في **إنباه الرواة** ، والسيوطي في **بغية الوعاة** .

التعريف به :

هو عنبسة بن معدان الفيل الميساني ، مولى مهرة ، ومنهم من نسبه إلى بني بكر بن كلاب ، وإلى مهرة بن حيدان[2] ولأبيه قصة طريفة مشهورة مع فيلة كانت لزياد بن أبيه ، وقال الأنباري[3] ، لعبد الله بن عامر ، كانت هذه الفيلة سبب إثراء والد عنبسة وبعد أن شبَّ هذا الأخير فصح ، ولحق بأبي الأسود حتى برع توفي قرابة ١٠٠ هـ .

---

(١) سورة التوبة ٩/ ٢٤ .

(٢) القفطي ، **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٣٨١ .

(٣) الأنباري ، **نزهة الألباء** ، ١٩٧٠ م ص ٢٢ .

علمـه :

أخذ النحو عن الدؤلي ، وقيل فيه إنه أبرع أصحاب الدؤلي ، روى الأشعار ، وفصح وظرف .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصل إلينا من أخباره ما يُغني لكننا نستطيع الحكم بمتابعته أستاذه الدؤلي إلى جانب استنتاجنا من هجاء الفرزدق له بعد استشهاده ، أو روايته لشعر جرير أنه توسَّع في الاستشهاد بالشعر ، وذلك في البيت المشهور :

لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي عليَّ القصائدا

التطوُّر الحاصل مع عنبسة :

من خلال أخباره الفقيرة جداً . يمكننا القطع بأنه عمل على متابعة طريقة الدؤلي في النحو ، والإقراء وتوسَّع بالاستشهاد بالشعر ؛ لتطبيق قواعده النحوية .

ميمون الأقـرن :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثانية ؛ لأخذه عن الدؤلي ، وأشار إلى أخذه عن عنبسة أيضاً . وأيد ذلك الأنباري ، وأورد روايتين : واحدة تبين أخذه عن عنبسة بعد الدؤلي ، وأخرى تبين أنه قبل عنبسة في نزهة الالباء ، وكذلك فعل السيوطي في بغية الوعاة ، ومثله فعل القفطي ، وأشار إلى تقديم أبي عبيدة ، معمر بن المثنى له على عنبسة ، أما ابن النديم في الفهرست فقد قدم عنبسة .

التعريف بـه :

هو ميمون بن الأقرن ، ولم يُترجم له أحد بأكثر من هذا .

علمـه :

لا نعرف سوى أخذه عن الدؤلي ، ومن بعده عنبسة وأن المفاضلة عند الناس دارت بينه ، وبين عنبسة ولكننا نستفيد من الخلاف حول أخذ نصر بن عاصم عنه ، أو تقديمه على عنبسة ، يدلنا على علمه الجيد . والمهم أنه رأس الناس بعد الدؤلي ، أو بعد عنبسة وهو الأصح تقريباً .

أشهر أخباره العلمية :

لا نملك منها شيئاً .

التطوُّر الحاصل مع الأقرن :

عمله يُلحق بعمل تلاميذ الدؤلي إجمالاً .

ونختتم الحديث عن الطبقة الثانية من نحاة البصرة بالإشارة إلى إمكان تسميتها بمرحلة تلاميذ الدؤلي ، لتقيُّد هؤلاء بمنهج أُستاذهم في التفكير والتعبير وهي مرحلة نشر النحو التطبيقي الذي وضعه الدؤلي . وهي الخطوة الثانية بعد الدؤلي تجاه إقامة صرح النحو وهي تبيِّن مدى صدق ، وأصالة ، وقيمة عمل الدؤلي بالنسبة لطبيعة المرحلة ، والمناهج ، والتفكير ، وهي في شق منها تمثل الخطوة الثالثة المرتبطة بالخطوة الأولى الأصل في إهمال حروف القرآن وإعجامها مما عاد بالفضل الواسع على عملية القراءة والتعبير ، والتعليم ، وتيسير الكتابة ، والفهم. . . .

- ٣ -

الطبقة الثالثة

وتضم أخبار عالمين هما : ابن أبي عقرب ، وابن أبي إسحٰق الحضرمي .

إبن أبي عقرب[١] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة البصرة ، وهو أستاذ أبي عمرو بن العلاء ، ولم يعرف عمن أخذ علمه .

التعريف بـه :

قيل في اسمه معاوية بن عمرو الديلي ، أبو عقرب بن أبي عقـرب والجميع نقلوا أخباره عن الزبيدي في تراجمهم ، وطبقاتهم .

علمـه :

نقل الزبيدي عن شعبة[٢] . كنت أختلف إلى ابن أبيٍ عقرب ، فاسـأله عن الفقه ، ويسأله أبو عمرو عن العربية ، فأقوم وأنا لا أحفظ شيئاً مما سأله . وهذا يدلنا على إحاطته بأمور الفقه ، والعربية ، والشعر ، والشواهد ، والحديث ، واللغة .

التطور الحاصل مع ابن أبي عقرب :

يفيدنا الخبر علمياً رغم عدم كفايته نسبياً . مـدى التطوُّر الـلاحق بالـدراسة

(١) راجع في التعريف به الزبيدي ، **طبقات النحـويين واللغويين** ، ص ٢٥ وليـاقوت الحمـوي معجم الادباء جـ ١٩ ص ١٥٤ ، وللقفطي **إنبـاه الرواة على أنبـاه النحاة** جـ ٤ ص ١٧٩ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) هو شعبة بن الحجاج البصري ، أبو بسطام ، من رجال الحديث ، لولاه ما عرف الحديث في العراق . عالم بالأدب والشعر أخذ عن أبي عقرب . توفي ١٦٠ هـ ، راجع فيـه الزركلي ، **الاعلام** جـ ٣ ص ١٦٤ .

العلمية بشكل عام . فهو من ناحية يقدم صفة لأوصاف العالم الجامع لثقافة عصره ، وعلوم زمانه . ومن ناحية ثانية يسجل بداية التحول تجاه التخصص حيث يسأل التلميذان أستاذهما ما يريدان معرفته دون أن ينتبه كل منهما إلى مطلوب الآخر . وبهذا نستطيع أن نربط مرحلة ابن أبي عقرب ، بمرحلة طلاَّب الدؤلي بالتصدِّي لعلوم القرآن .

ابن أبي إسحٰق :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة ؛ لأخذه عن ميمون الأقرن ، ولقراءته القرآن على نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر .

التعريف بـه :

هـو أبو بحـر ، عبد الله بن أبي إسحٰق الـزيادي مـولى آل الحضـرمي تـوفي ١١٧ هـ .

علمـه :

هو أعلم البصريين بالنحو . فـرَّع النحو وقـاسه ، وهـو أستاذ أبي عمـرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، والأخفش . وهو أوَّل من بعج النحو ومدّ القياس ، وشرح العلل واعترف له أبو عمرو بالفضل ، والأعلمية بعد أن جمع بينهما في مسألة الهمز . روى عن أبيـه عن جده عن الإمـام علي ، وشـاع أن ابن أبي إسحق أقيس ، وأن أبا عمرو أوسع بكلام العرب .

أشهر أخباره العلمية :

أشهرها تلك التي كانت بينه ، وبين الفرزدق الشاعر المشهور ، وما أُثر عنه من مخالفة في قراءة الآية الثامنة والثلاثين من سورة المائدة وتفصيل ذلك . أن الحضرمي اعترض على الفرزدق لقوله :

وعض زمـان يـا بن مـروان لم يـدع من المـال إلا مُـسحـتـاً أو مجـرف

حيث رفع قافية البيت وهي في محل نصب .

واعترض عليه مرة أخرى لخطأ مشابه ، خفض فيه القافية بدل رفعها ، وألحَّ عليه حتى غيّرها في قوله :

عـلى عـمـائـنـا يـلقـى وأرحـلنـا على زواحف تـزجى مخـهـاريـر(١)

---

(١) زواحف : الإبل التي أعياها التعب . مخهارير : الفاسد من الهزال ، الذائب . وتقال لمن دق =

وهجاه ليخطأ أيضاً في قافية يهجوه بها ، وهو مولى موال ، بدل مولى موالياً[1] .

أمَّا مخالفته لقراءة جمهور القرَّاء في الآية : ﴿**والسارق والسارقة ، فاقطعوا أيديهما**﴾[2] . فكانت بنصبه للسارق والسارقة على المفعولية بدل رفعهما على الابتداء ، والخبر هو الفعل الأمر .

التطوُّر الحاصل مع الحضرمي :

يلاحظ مع ابن أبي إسحٰق التطوُّر العلمي التالي :

١ ـ هناك تحوُّل تجاه التخصُّص العلمي ، وفق منهاج خاص هو منهج النحاة .

٢ ـ استحداث أوعية خاصَّة بالنحاة مثل القياس ، والعلل .

٣ ـ اعتماد القياس في الأخذ بأعم ما أثر عن العرب ، في التلفُّظ ، والتعبير .

٤ ـ وضع القواعد المستقاة من الاستقراء ، والتي تحكم طرائق التعبير ، وتعميمها للقياس عليها ، لأنها الأصل الواجب الاتّباع ، للتخلص من الذوقيات .

٥ ـ محاربة اللحون ، والتصدِّي لها ، وهذا بقية من أعمال الدؤلي .

٦ ـ وصول نشاط النحاة بقواعدهم الموضوعة ، إلى التحكُّم بنتاج المطبوعين ، والمفطورين على التلفظ باللغة ، ومحاسبتهم على الهنات فيها .

٧ ـ ابتداء النظر الشخصي ، والتحليل ، والتعليل ، وفق منظور «صاحب القانون ، وواضعه أدرى بحدوده» .

٨ ـ عدم التورُّع عن مخالفة الذائع ، والمشهور حتى في قراءة القرآن لمخالفته القياس ، بعد الاعتماد على وجهة النظر الخاصة .

٩ ـ ازدياد الحاجة إلى النحاة ، وللمبدعين منهم بشكل خاص أمثال ابن أبي إسحٰق ، والدؤلي في ذلك المجتمع المتنامي بشرياً بسرعة هائلة . لمعالجة الأمور الطارئة والمستجدَّة خاصة مع الكبار من أمثال الفرزدق إلى درجة اضطر معها هذا الأخير إلى تغيير عجز بيته ، بعد أن شهَّر به ابن أبي إسحٰق ، بما تمتع به من مكانة ، وما حصَّله من ذيوع صيته .

= عظمه ورق جلده . ومثلها محاسير من التعب والاعياء .

(١) كان عبد الله لآل الحضرمي ، وكانوا هم موالي بني عبد شمس من أهل قريش .

(٢) سورة المائدة ٥/٣٨ .

- ٤ -

الطبقة الرابعة

وتضم أخبار ستة علماء هم : أبو عمرو بن العلاء ، وأبو سفيان بن العلاء ، والأخفش الكبير ، وعيسى بن عمر ، ومسلمة بن عبد الله ، وبكر بن حبيب السهمي .

أبو عمرو بن العلاء[١] :

سجّله الزبيدي في الطبقة الرابعة ؛ لأخذه عن أبي إسحٰق ، وهو أهم تلاميذه في الجانب اللغوي ، بعد أن قصر عنايته عليه .

التعريف به :

هو زبان بن العلاء بن عمار ، واختُلف في اسمه ، في تسعة عشر قولاً . ونقل السيوطي له واحداً وعشرين اسماً ، أصحها المذكور[٢] ، وهو تميمي توفي ١٥٤ هـ .

علمه :

من جلّة القراء ، هو أحد القراء السبعة المشهورين ، وأوسع الناس علماً بكلام العرب ، ولغاتها ، وغريبها أخذ القرآن عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء[٣] .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ، ص ٢٨ ، والإنباري **نزهة الالباء** ص ٣٠ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٢٣١ .

(٢) الشريشي ، **شرح مقامات الحريري** ، جـ ٢ ص ١٨٧ السطر ٣٢ وما بعده .

(٣) المصدر السابق ، نفسه ، جـ ٢ ص ١٨٨ السطران ١٨ و ١٩ .

وهـو أستاذ يـونس والخليل ، وأبي محمـد اليزيـدي ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، معمر بن المثنى .

أشهر أخباره العلمية :

أشهرها حادثة «ليس الطيب إلاَّ المسك» مع عيسى وكانت له الغلبة(١) ومنها سُئل أبو عمر عن اشتقاق الخيل فلم يعرف . فمر أعرابي محرم ، فأراد السائل سؤال الأعرابي فقال أبو عمرو : دعني فأنا أعرف بسؤاله وألطف . فسأله فقال الأعرابي : اشتقاق الاسم من فعل المسمى فلم يعرف من حضر فقال : ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل ، والعجب . ألا تراها تمشي العرضنة .

ومنها سمع رجلاً ينشد :

ومن يلق خيـراً يحمـد النـاس أمـره   ومن يغـوَ لا يعدم على الغيَ لائمـاً(٢)

فقال له : أقوِّمك أم أتركك تتكسَّع في طمتك ، فقال : بل قومني فقال : قل : ومن يغوِ بكسر الواو ، ألا ترى إلى قول الله ﴿فغوى﴾ (٣) .

التطوُّر الحاصل مع ابن العلاء :

يمكننا الحكم على التطوُّر مع أبي عمرو من خلال أخباره التي تفيدنا أن التطوُّر معه كان لغوياً ، أكثر منه نحوياً .

فهو في حادثة «الطيب» يجيب بأنه ليس في الأرض حجازي إلاَّ وهو ينصب ، ولا في الأرض تميمي إلاَّ وهو يرفع وهذا من معرفته بلغات العرب .

وهو في حادثة الخيل والخيلاء لغوي أيضاً .

وهو كذلك مع الاحتجاج على المنشد ؛ بالآية الكريمة في أصول التلفظ بكلمة ﴿غوى﴾ وأخباره المتناثرة في أغلب الكتب . تدل على معرفته باللغة ، وأن التطوُّر معه كان لغوياً لا نحوياً .

أبو سفيان بن العلاء(٤) :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة ، وأشار إلى أنه شقيق أبي عمرو بن العلاء .

---

(١) تقدم ذكرها بالتفصيل حاشية الصفحة ٥٢ من كتابنا نشأة النحو راجع ذلك تجنباً للتكرار .
(٢) البيت المـذكور في لسـان العرب مـادة غوى ، وفي المفضليـات رقم ١٦٧١ وهو للمـرقِّش الأصغر .
(٣) الآية من سورة طه ٢٠ / ١٢١ .
(٤) راجع في التعريف به الزبيـدي طبقات النحـويين واللغويين ص ٣٥ والأنبـاري نزهـة الالباء =

التعريف بـه :

اسمه كنيته توفي ١٦٥ هـ .

علمـه :

من أصحاب القراءات ، عالم بالأنساب ، والنحو ، والغريب ، ومن الرواة .

أشهر أخباره العلمية :

لا نملك منها شيئاً .

التطوُّر الحاصل مع أبي سفيان بن العلاء :

التعميم الحاصل في الأخبار التي وصلتنا عنه ، والشح الذي اتصفت به تلك الأخبار يمنعان الحديث عن التطوُّر معه . كل ما نستطيع قوله أنه أصغر من أبي عمرو سناً . ويمكن أن يكون قد زامله في الدراسة ، وفي الأخذ عن العلماء ، وعنه ، ولذا طُبِّق معه .

الأخفش الكبير[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الـرابعة من البصـريين لتلمذتـه على أبي عمرو ، وطبقته .

التعريف بـه :

هو عبد الحميد بن عبد المجيد ، كنيته أبو الخطاب ، ولقبـه الأخفش الكبير تفريقاً له عن الأوسط ، والصغير ، وهو مولى قيس بن ثعلبة توفي ١٧٧ هـ[2] .

علمـه :

إمام في العربية ، التقى الأعراب ، وأخذ عنهم ، وعن أبي عمرو بن العلاء ، ورع ثقة وهو أستاذ يونس ، وأبي عبيدة ، وسيبويه ، والكسائي ، وهو أوَّل من فسَّر الشعر تحت كل بيت بمفرده ، وإنما كانوا إذا فرغوا من القصيدة ، فسّروها .

أشهر أخباره العلمية :

نقل عنه : لا أقول جثة الرجل إلَّا لشخصه أو على سرج ، أو رحل ، ويكون معمماً ولم تسمع من غيره وحكى ابن دريد عن أبي الخطاب إنه قال : الخفخوف

= ص ٤٤ ، والسيوطي بغية الوعاة جـ ١ ص ٥٩٢ .

(١) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ١٧٦ السطر ١٦ ، أخبار سيبويه .

(٢) علي نجدي ناصف ، **كتاب سيبويه** ، ص ٨٩ وما بعدها .

طائر . قال ولم يذكره أحد من أصحابنا .

التطوُّر الحاصل مع الأخفش :

يتبين من خلال ما تيسر لنا من أخبار عنه أن الدراسة معه قد لحقها بعض التطوُّر من خلال شرح الأبيات للاستشهاد وبعد تأكُّد الحاجة لذلك العمل . كما يتبين لنا اهتمامه باللغة عبر كلمتي «جثة» و«خفخوف» ، وعبر ما نقله ابن النديم عند حديثه عن «سيبويه» قائلاً : «وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير»[1] . وهذا أيضاً ما تزودنا به المطالعة في مدى استفادة سيبويه اللغوية في «الكتاب» من الأخفش الكبير[2] .

عيسى بن عمر[3] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة ؛ لأخذه عن ابن أبي إسحٰق الحضرمي .

التعريف بـه :

هـو عيسى بن عمر أبـو سليمان ، مـولى لآل خالـد بن الوليـد ، بصري من المقـدَّمين وكان ضـريراً تـوفي ١٤٩ وهو أهم تـلاميذ ابن أبي إسحق في الجـانب اللغوي .

علمـه :

من القرَّاء ، تابع ابن أبي إسحق في الطعن على العرب الفصحاء حتى وصل إلى الجاهليين منهم[4] . وهو أوَّل من هذَّب النحو ورتَّبه ، عالم باللغة ، صاحب تقعّر وغريب يعتمد القياس ، ويعممه شأن أستاذه الحضرمي وهو أستاذ الخليـل ، وسيبويه . لـه أكثر من سبعين مصنفـاً احترق أكثـرها ، واشتهـر له كتـابان : همـا الإكمال ، والجامع . وقد ضاعا .

---

(١) الزبيدي **طبقات النحويين** ص ٣٥ ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ٤٤ ، والقفـطي **إنباه الـرواة** جـ ٢ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ، والسيوطي البغية جـ ٢ ص ٧٤ .

(٢) الزركلي ، الاعلام ١٩٧٩ م جـ ٣ ص ٢٨٨ .

(٣) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ٣٥ ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٨ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٤ ٣٧٤ ـ ٣٧٧ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٣٧ .

(٤) الصفحات ٥١ ـ ٥٧ من كتابنا نشأة النحو العربي والصفحات ٦٨ ـ ٧٠ في معالجة الموضوع بتوسع .

أشهر أخباره العلمية :

١ ـ جمع الحسن بن قحطبة[1] عند مجيئه إلى بغداد ، الكسائي ، والأصمعي ، وعيسى بن عمر . فألقى عيسى على الكسائي هذه المسألة : هَمُّك ما أهمَّك . فذهب الكسائي يقول يجوز كذا ، ويجوز كذا فقال له عيسى : عافاك الله إنما أريد كلام العرب ، وليس هذا الذي تأتي به كلام العرب .

٢ ـ حادثة «ليس الطيب» الآنفة الذكر جرت بينه وبين أبي عمرو أخطأ هو بها[2] .

٣ ـ مخالفته لجمهور القرَّاء في قراءة : ﴿**هؤلاء بناتي هن أطهر لكم**﴾[3] بنصب أطهر على الحال . وهن عماد . وأنكر عليه أبو عمرو هذا وسأله كيف تقول هؤلاء بني هم فقال : عشرين رجلاً . فأنكرها أبو عمرو .

٤ ـ مخالفته لأبي عمرو وغيره في تعليل نصب الطير في الآية : ﴿**يا جبال أوِّبي معه والطير**﴾[4] . فهو يقول : على النداء كما يقول : يا زيد والحارث . وأبو عمرو يقول : لو كان على النداء لكان رفعاً ، ولكنها على إضمار وسخَّرنا الطير كما في قوله : ﴿**ولسليمانَ الريح**﴾[5] .

التطوُّر الحاصل مع عيسى :

١ ـ التوسُّع في القياس كما في الآيتين ، وحادثة نصب المسك أو رفعها شأن أستاذه الحضرمي .

٢ ـ التوسُّع في الطعن على العرب حتى على الجاهليين ، والفحول تشدُّداً بتطبيق القياس .

٣ ـ التفكير في وضع كتب جامعة لأمور النحو وهذا تقدُّم مهم على طريق وضع بناء نحوي شامل .

---

(١) هو شبيب الطائي من قادة المنصور العباسي توفي ١٨١ هـ . انظر ، لابن العماد ، شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٩٥ .

(٢) تدم الحديث عنها مع أبي عمرو ص ١٣٧ من هذا الكتاب وتمَّ عرضها بالتفصيل في حاشية الصفحة ٥٢ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٣) الآية من سورة هود ١١/٧٨ .

(٤) الآية من سورة سبأ ٣٤/١٠ .

(٥) الآية من سورة سبأ ٣٤/١٢ .

٤ ـ اعتماد القياس طريقة للتعبير اللغوي الأفصح ، والأفضل والأعم ، كما في هَمُّكَ ما أَهَمَّك .

٥ ـ إعمال النظر الشخصي في التأويل .

مسلمة بن عبد الله[١] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة ؛ لأخذه عن ابن أبي إسحق ، وهو ابن أخت الحضرمي .

التعريف بـه :

هو مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب ، من الموالي .

علمـه :

من الأئمة صائن لنفسه ، أستاذ جعفر ابن المنصور العباسي والعلماء يفضِّلون حماد سلمة ، ويونس بن حبيب عليه .

التطوُّر الحاصل مع مسلمة :

لا يسعنا الحديث عن الموضوع لعدم عثورنا على شيء من أخباره .

بكر بن حبيب السهمي[٢] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة من نحاة البصرة لأنه أخذ عن ابن أبي إسحق .

التعريف بـه :

هو بكر بن حبيب السهمي ، وهو أكبر من الخليل ، ولم تكن له شهرته في العلم دون وفاة .

علمـه :

تقدم في العلم ، وكان فاضلاً يدلنا على ذلك تحاكم عيسى ، وأبي عمرو إليه كما سيرد .

---

(١) الزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ٤٢ ، والقفطي **إنباه الرواة على أنباه النحاة** جـ ٣ ص ٢٦٢ ، والسيوطي **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** جـ ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) الزبيدي **طبقات النحويين** ص ٤٢ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ١ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، وياقوت **معجم الأدباء** جـ ٧ ص ٨٦ ـ ٩٠ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

أشهر أخباره العلمية :

١ ـ حديث دار بينه ، وبين الحضرمي ، يفتخر فيه الأخير بفصاحته أمامه طالباً إليه إخباره إن لحنِ بِكِلْمة : بخفض الكاف وتسكين اللام فقال له : هذه واحدة قل كَلِمَة بنصب الكاف ، وخفص اللام ، وفتح ما بعدها وقربت من الحضرمي سنورة فقال : إخسي فقال له : اخطأت إنما هو إخسئي بالهمز .

وحديث دار بينه وبين شبيب المقرىء[1] في كلمة محنبطيء بعد أن تلفَّظ بها بالظاء وراجعه في أخرى بعد أن قال : ما بين لابتيها أفصح مني ، رداً على تخطيئه له قائلاً أخطأت لأن لأن اللابة الحجارة السود ، والبصرة ذات حجارة بيض .

وحديث احتكم فيه ابن أبي بردة[2] دار بين عيسى ، وأبي عمرو حول فصاحة سطر بتسكين الطاء وتحريكها ، فأجاب سطر مخفَّف أفصحها ، ومن قال بالتخفيف جمعه على سطور ، ومن قال بالتحريك جمعه على أسطار .

التطوُّر الحاصل مع بكر :

يتّضح من خلال هذه الأخبار الواردة في الحاشية أن التطوُّر معه كان لغوياً أكثر منه نحوياً بل هو لغوي صرف . لأنه لم يتحدث عن غير هذه الناحية مع هذه الأخبار وهذا لا يعني أنه كـان لغويـاً ، فقط ، وإنما إنـه اهتم باللغـة أكثر من النحـو قبل انفصالهما عن بعضهما في الأبحاث .

---

(١) هو أبو معمر ، أديب الملوك وجليس الفقراء لقب بالخطيب لفصاحته توفي ١٧٠ هـ ، راجع في ترجمته للزركلي **الاعـلام** جـ ٣ ص ١٥٦ وأورد ياقـوت رواية أخـرى للحادثـة **معجم الأدباء** جـ ٧ ص ٨٧ .

(٢) هو القاضي على البصرة وأميرها ، ولاّه عليها خـالد القسـري من قبل هشـام بن عبد الملك ترجمته في ابن خلكان ، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٤٣ .

ـ ٥ ـ

الطبقة الخامسة

وتضم أخبار خمسة علماء هم الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وحمّاد بن سلمة ، ويونس بن حبيب ، ويعقوب بن إسحق الحضرمي ، وأبو عاصم النبيل .

الخليل بن أحمد[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة الخامسة دون ذكر أخذه عن سابقيه ، ونتمّم ذلك بأنه أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وعن عيسى بن عمر .

التعريف بـه :

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي ، أبو عبد الرحمن متقشّف ، ورع ، قنوع ، أبوه أول من سُمي أحمد بعد النبي ، توفي بعد أن صدمته دابة اثناء شروده في التفكير في شيء عام ١٧٠ هـ .

علمـه :

من أئمة الأدب واللغة ، والنحو وهو واضع علم العروض ، عارف بالموسيقى ، راو للشعر ، عارف بالعلوم العقلية الدخيلة من صديقه ابن المقفع شاعر مقل ، ذكي فطن . أستاذ سيبويه ، والأصمعي والنضر بن شميل ، وأبي فيد مؤرج بن عمر ، وعلي بن نصر الجهضمي .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٣ط ، والأنباري ، **نـزهة الألبّاء** ص ٤٥ . وابن النديم ، **الفهرست** ص ٦٣ ـ ٦٤ وياقوت ، **معجم الادبـاء** جـ ١١ ص ٧٢ ـ ٧٧ ، والقفطي **انباه الرواة** جـ ١ ص ٣٤١ ، والزركلي ، **الأعلام** جـ ٢ ص ٣١٤ .

أشهر أخباره العلمية :

مرت آنفاً خلال مرات متعدِّدة فلتراجع تجنباً للإعادة[1] .

التطوُّر الحاصل مع الخليل :

يمكننا بما انتهى إلينا من أخبار مستفيضة عن أعمال الخليل الحكم بالتطوُّر التالي معه :

١ ـ اكتشافه القواعد العامَّة في النحو ، والتصريف .
٢ ـ إيجاده نظرية العوامل[2] .
٣ ـ رسمه مصطلحات النحو النهائية[3] .
٤ ـ تخطيطه لإتمام البناء النحوي المتكامل لاحقاً مع سيبويه .
٥ ـ رفعه لواء القياس .
٦ ـ استنباطه العلل بما لم يسبق إليه من قبل أحد[4] .
٧ ـ فتحه باب الاحتمالات في الإعراب ، والتمرينات النحوية[5] .

حمَّاد بن سلمة[6] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الخامسة ، ولم يبيِّن عمن أخذ ، ولكنه أورد عند حديثه عن يونس بن حبيب أنه أخذ عنه ، وهذا عند ابتدائه بدرس النحو . ثم انتقل إلى أبي عمرو بن العلاء . وهذا يعني أنه درس على كبير الطبقة الرابعة ، ولذا طُبِّق معه في الطبقة نفسها ، وربما اشتركا في الأخذ عن أبي عمرو .

---

(١) ورد ذكرها في الصفحات : نظرية العامل ص ٣٧ ، رأيه في الحال ص ٥٠ ، الخطوات الفاصلة ص ٥٣ ، رقم ٨ ، التعليل عنده ص ٥٩ سطر ٦ و ٧ ، وص ٦١ مقطع ٢ ، وص ٦٤ مقطع ٤ نظرية العوامل عنده ص ٦٩ إلى نهاية الرسم . موقفه من المصطلحات ص ٧٤ مقطع ٢ ، انفصال النحو عن غيره ص ٨٠ مقطع ٢ ، الدرس النحوي ص ٨٥ مقطع ١ ، والرحيل إلى البوادي ص ٨٩ سطر ١٧ .

(٢) تمّ عرضها بالتفصيل في الصفحة ٧٠ من هذا الكتاب مع الرسم التوضيحي .

(٣) متن الصفحة ٧٢ من هذا الكتاب .

(٤) متن الصفحة ٦٤ من هذا الكتاب .

(٥) متن الصفحة ٥٣ من هذا الكتاب تحت رقم ٨ .

(٦) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٤٧ ، الانباري ، **نزهة الالباء** ص ٤٢ ، والقفطي ، **إنباه الرواة** جـ ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ وياقوت ، **معجم الأدباء** جـ ١ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨ ، والسيوطي ، **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤٨٥ ـ ٥٤٩ ، والزركلي **الاعلام** جـ ٢ ص ٢٧٢ .

التعريف بـه :

هو حمَّاد بن سلمة بن دينار البصـري مولى ، كـان يمرُّ بـالحسن البصري ، ويعرض عنه إلى أصحاب العربية توفي ١٦٧ هـ .

علمـه :

مفتي البصرة ، وأحد رجال الحديث ، إمام في العربية ، فصيح من متقدِّمي النحويين .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها مقدار علمي يغني ، نقل ابن عائشة[١] . قال يونس بن حبيب : أول من تعلَّمت منه العربية حمَّاد بن سلمـة ، وهو أسن مني ، ويروي ابن سلام عن يونس ، سألت يونس أيهما أسن ؟ أنت أم حمَّاد ، قال هو أسن مني ، ومنه تعلمت العربية .

التطوُّر الحاصل مع حمَّاد :

لا يحكم به للتعميم الحاصل في الأخبار .

يونس بن حبيب[٢] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الخامسة ، لأخذه عن أبي عمرو بن العلاء ، رأس الطبقة الرابعة .

التعريف بـه :

هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، أبو عبد الرحمٰن نحوي ، علاّمة بالأدب عُـرف ببـلادة ذهنـه ، لم يتـزوج ، ولم يتسـرَّ . تـوفي ١٨٢ أو ١٨٣ هـ بعــد أن جاوز المائة .

علمـه :

عالم بالأدب ، سمع الأعراب بعد رحيله إلى البوادي ، أعلم الناس بتصاريف

---

(١) هو عبد الله بن حفص المعروف بابن عائشة ، لأنه من ولد عائشة بن طلحة توفي سنة ٢٢٨ هـ ، **تهذيب التهذيب** جـ ٧ ص ٤٦ ـ ٦٧ وابن النديم **الفهرست** ص ٦٣ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ٤٨ ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ٤٧ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٤ ص ٦٨ ـ ٧٢ ، وياقوت **معجم الادباء** جـ ٢٠ ص ٦٤ ـ ٦٧ ، وابن النديم **الفهرست** ص ٦٣ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٦٥ .

النحو ، لم يكن عنده إلا علم ما رآه بعينه ، شديد الحفظ ، لم تكن له همة إلا لطلب العلم ، ولذا انشغل به ، وهو أستاذ سيبويه ، وأبي عبيدة . كانت حلقته تغصُّ بطلاب العلم ، وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ، ووفود البادية .

أشهر أخباره العلمية :

ما وصلنا منها يمكِّننا من فهم دوره بصورة جيدة :

١ ـ كان يرى في المفعول في الآية : ﴿**لننزعن من كل شيعة أيَّهم أشد**﴾[١] هو جملة أيهم أشد ، بينما رأى جمهور البصريين[٢] ، وخاصة الخليل أن المفعول تقديره الفريق الذي يقال فيهم .

٢ ـ وكان يرى أن الشاعر أراد العطف على الجملة الشرطية ، بينما رأى جمهور البصريين أن ذلك من باب العطف على التوهُّم في قول الشاعر[٣] .

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا ... أو تنزلون فإنا معشر نزل

التطوُّر الحاصل مع يونس :

يستمر التطوُّر في النحو مع يونس ، ولكنه ينتهج معه طرقاً خاصة به . يعمل فيها آراءه الخاصة التي توافق تطلعاته ، وتحليله ، وما رواه عن الأعراب الذين انتابوا حلقته والذين خالطهم في رحلاته إلى البوادي . كذلك تطوَّر الدرس النحوي معه لمخالطته الأعراب مما جعله راوياً مهماً من رواة اللغة ، والغريب ، وظهر ذلك عبر كتابه «اللغات» وخير ما نتمثَّل به عن مواضيعه فيه حادثته مع شبيل الضبعي التي رواها الزبيدي حول : الروبة على ألفاظها الخمس . على أن هذا التطوُّر لا يضرُّ أحداً ، ولا يضرُّ بشيء لأن يونس قام بإيصال السابق من الآراء إلى الأجيال التي درست عليه ، ولكنه أدلى بدلوه ، من باب إعمال النظر الشخصي .

يعقوب بن إسحق الحضرمي[٤] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الخامسة من نحاة البصرة .

---

(٢) الآية من سورة مريم ١٩/٦٩ .

(٣) ابن هشام ، مغني اللبيب ، جـ ١ ص ٨٢ .

(٤) سيبويه ، الكتاب ، جـ ١ ص ٤٢٩ .

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ٥١ ، والقفطي إنباه الرواة جـ ٤ ص ٤٥ ، والسيوطي بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٤٨ .

التعريف بـه :

هـو يعقوب بن إسحق بن زيـد بن عبـد الله بن أبي إسحق ، من أحفـاد ابن أبي إسحق الحضرمي ، من أهل بيت العلم بالقرآن توفي ٢٠٥ هـ . .

علمـه :

عالم بالقرآن وبوجوه قراءته ، والاختلاف في القرآن ، وتعليله ، ومذاهبه في النحو ، عالم بالعربية ، وكلام العرب ، والرواية الكثيرة للحروف ، والفقه ، وكان أقرأ القرَّاء .

أشهر أخباره العلميَّة :

أُخـذ عنه عـامة حـروف القرآن ، مسنـداً وغير مسنـد ، من قـراءة الحـرفين وغيرهم ، والعراقيين ، والشام ، وغيرهم . وكان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف ، والإختلاف في القرآن ، وأروى الناس لحروف القرآن ، وحديث الفقهاء كما حدَّث أبو حاتم[1] .

التطوُّر الحاصل مع يعقوب :

لا يمكن الحكم به للتعميم في الأخبار التي انتهت إلينا .

أبو عاصم النبيل[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الخامسة من نحاة البصرة .

التعريف بـه :

اسمه الضحاك بن مخلد بن مسلم . كان في حداثته ضعيف العقل ، وكان يُضحك منه . ثم نبل توفي ٢١٢ هـ بعد أن أناف على التسعين .

علمـه :

كان في بداية أمره في العلم مغموراً خامل الذكر يُضحك منه عندما يسأل عن تصغير الضحاك فيقول ضحيكيك . قال أبو حاتم السجستاني ، ثم نبـل فكان هـو يزري على غيره . وما رأيت أحداً أذكى منه .

---

(١) هو السجستاني ، سهل بن محمد تلميذ على الأصمعي وقرأ الكتاب على الأخفش مرتين توفي ٢٥٥ هـ . **الفهرست** ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ٥١ ، والقفطي **إنباه الرواة على انباه النحاة** لجـ ٢ ص ٩١ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ١٢ ـ ١٣ .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها غير الذي تقدم ذكره .

التطوُّر الحاصل مع أبي عاصم :

التعميم فيما وصلنا من أخباره والتقصير في تسجيل العلمي منها ، يمنعنا من ذلك .

- ٦ -

الطبقة السادسة

وتضم أخبار عشرة علماء هم : النضر بن شميل ، اليزيدي أبو محمد ، سيبويه ، سعيد بن مسعدة ، الجرمي ، الجهضمي ، مؤرج بن عمر ، محمد اليزيدي ، أحمد بن محمد اليزيدي ، الفضل بن محمد اليزيدي .

النضر بن شميل[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة السادسة ؛ لأخذه عن الخليل .

التعريف بـه :

هو النضر بن شميل بن حرشة بن يزيد بن كلثوم المازني ، والتميمي ولد بمرو وتوفي بها عام ٢٠٣ هـ أو ٢٠٤ هـ .

علمـه :

أقام في البادية أربعين سنة ، وأخذ عن فصحاء العرب كأبي خيرة ، وأبي الدقيش . عالم بأيام العرب ، ورواية الحديث ، وفقه اللغة .

أشهر أخباره العلمية :

أ ـ نقل عنه تصحيحه لخطأ المأمون في روايته لحديث عن الرسول يقول : «**من تزوج امرأة ذات جمال ، ومال فقد أصابَ سداداً من عوز**» حيث قال المأمون سَداداً بفتح السين ، ليبادر هو إلى تصحيح لحنه بأجمل ما يكون التصحيح ، بتغيير سند الحديث ، وبتصحيح السين في سِداد ، بكسرها ليرد المأمون مستفسراً عن الحجة

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ٥٣ والأنباري **نزهة الالباء** ص ٧٣ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٣٤٨ والسيوطي **البغية** جـ ٢ ص ٣١٦ .

في ذلك ، حيث يجيب النضر محتجاً ببيت العرجي الذي يقول فيه :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر

ب ـ ما نقل عنه في التعريف في التعبير بين كلمتي ، مسح ومصح ، وذلك قول من عاده مريضاً .

اليزيدي أبو محمد[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة ، لأخذه في آخر الأمر عن الخليل بن أحمد الفراهيدي .

التعريف بـه :

هو أبو محمد يحيى بن المبارك ، من الموالي ، سمي اليزيدي ، لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي ، فنسب إليه توفي ٢٠٢ هـ .

علمـه :

عالم بالنحو واللغة ، وأخبار الناس ، وقراءة القرآن أخذ العربية عن ابن العلاء ، وابن أبي إسحق ، والخليل ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، وإسحق بن إبراهيم الموصلي وهو أحد الفصحاء ، والعلماء بالغريب واللغة ، وهو مؤدب المأمون .

أشهر أخباره العلمية :

ما نقل عنه من مسألة بينه ، وبين الكسائي يسأل الأخير فيها عن كيفية قوله : «إن من خير القوم ، وأفضلهم ، أو خيرهم بتة زيد» فيجيب الكسائي برفع «خيرهم» ونصب «زيد» حيث يعلن اليزيدي خطأ الكسائي ، لرفعه قبل أن يأتي باسم إن ، نصبه بعد الرفع وهذا لا يجيزه أحد . ويعلِّق الكسائي بأنه أراد الإضراب ، فأو هنا بمعنى بل ، وينكر اليزيدي ذلك بأنه لا يجوز القول : إن من خير القوم ، وأفضلهم أو خيرهم بتة زيداً . ويردُّ اليزيدي بالصواب الذي تؤيدُه الأعراب وهو إن من خير القوم ، وأفضلهم أو خيرهم بتة زيد بقصد تكرير إن فيصبح خيرهم اسمها وزيد خبرها[2] .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ٦٠ ، الأنباري بنزهة الالباء ص ٦٩ ، والقفطي إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ ٤ ص ٢٥ ـ ٣٢ .

(٢) الزجّاجي ، **أمالي الزجاجي** ص ٤٠٠ والمسألة مبنية على المغالطة لأن جواب الكسائي غير مرضي ، واليزيدي غير جائز لأنه أضمر أن وأعملها .

ومنها ما مر من حادثة بينهما مع الرشيد في حضرته في لا يكون المهر مهر[1] .

التطوُّر الحاصل مع اليزيدي أبي محمد :

لا يغرب عن بال أحد أن هذه الممارسات هي من باب التطوُّر الذي جدّ على الممارسات النحوية . ولكنها عمليات قائمة على المماحكات ، والمزايدات ، والمغالطة باعتماد البراعة في فهم المسائل ، أو البراعة في التلاعب بأصول المسائل . وهذا ليس بالتطوُّر الأصيل الذي توحيه كلمة التطوُّر ولكنه من المستجدَّات التي طرأت على العمل النحوي تحت تأثير التمذهب في النحو والتنافس في إحراز الصدارة باسمه في المجالس ، وهو إن خلا من التجديد ، والابتكار ، فإنه لا يخلو من الدقّة وإنعام النظر في التطبيق بحسب الأصول ، والقواعد المدرسية الموضوعة وقد لجأ العلماء إلى هذه الأنواع من الألغاز والأحاجي . بعد أن تمّ البناء النحوي ، وبعد أن سُلِّطت الأضواء على موضوع الخلاف المدرسي .

سيبويه[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة من نحاة البصرة ، لأخذه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ويونس بن حبيب ، وحمَّاد ب سلمة .

التعريف بـه :

هو عمرو بن عثمان ، بن قنبر ، أبو بشر ، أو أبو مبشر ، ويقال أبو الحسن ، مولى بنيٍ الحارث بن كعب وسيبويه اسم فارسي معناه رائحة التفاح ، ويقال إن أمه كانت ترقصه به ، وهو طفل صغير مات بفارس وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ١٨٠ هـ .

علمـه :

عالم بالنحو واللغة وتصاريفها ، درس على الخليل ، واختص به بعد دراسته على يونس بن حبيب ، وحمَّاد بن سلمة . وعن الخليل كان له ما حصَّل من علم جم ، عبر ما سأله عنه ، وما سجله في علوم العربية سمع الأعراب ، ورأس حلقة الخليل بعد وفاته وأقبل على وضع الكتاب الذي لم يسبقه إلى مثله أحد ، ولم يلحق به بعده[3] .

---

(١) المسألة متن وحاشية الصفحة ٩١ من هذا الكتاب .

(٢) الزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ٦٦ ، والأنباري **نزهة الألبّاء** ص ٥٤ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٣٤٦ وياقوت **معجم الأدباء** جـ ١٦ ص ١١٤ ـ ١٢٧ السيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٢٢٩ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٧٦ السطر ١٧ .

أشهر أخباره العلمية :

يختلف الأمر مع سيبويه عنه مع النحويين ، لانتهاء مجمل آرائه إلينا عبر أثره الخالد «الكتاب» ولتوافر الدارسين قديماً وحديثاً ، وإقبالهم على دراسة كل ما يتعلق بهذا العالم وأثره الكبير في النحو . ولذلك لن نعرض لأي رأي من آرائه لأن هذا العرض سيكون مجتزءاً أمام نتاجه الضخم والمتمثل في «الكتاب» فضلاً عن توافر الآراء في نتاجه قديماً وحديثاً بصورة ميسرة جداً .

التطوُّر الحاصل مع سيبويه :

لا يسعنا عند الحديث عن سيبويه فصل نتاجه النحوي ، أو سيره بالتطوُّر في النحو عما كان عند أستاذه الخليل ، لأن الفراهيدي شرّع ، وفكَّر ، وأسَّس ، والفارسي نقل ، وسجَّل ، وأوصل ، وتابع ، واستنفد ، وعليه نستطيع القول :

١ ـ عمل سيبويه متمم لعمل الخليل ، وإن ظهر أتم من هذا العمل ، أما قيمة التطوُّر معه فهي كون «الكتاب» أول أثر نثري محيط بالمادة وصلنا .

٢ ـ البناء النحوي قد استوى مع سيبويه كاملاً ، أو قريباً من الكمال(١) .

٣ ـ عمل سيبويه جاز بالنحو من الممارسات الضيقة مع المستجدات إلى تهيىء بناء نحوي ، وهذا يسّر التعامل مع علم محيط بالمادة(٢) .

٤ ـ التطوُّر مع سيبويه ، وعمله أن هذا العمل تمكَّن من استيعاب ما مرَّ قبله من آراء ومفاهيم نحوية عند البصريين .

٥ ـ من التطوُّر مع سيبويه استكمال نظرية التعليل التي بدأت مع الخليل في النحو ، والصرف(٣) .

٦ ـ من التطوُّر مع سيبويه استكمال نظرية العامل التي انطلقت مع الخليل ، وهذا دفعه إلى دعم القياس وتعميمه(٤) .

٧ ـ من التطوُّر معه عند عمله بالقياس تسجيله لما خالف قواعده التي بناها على الشائع المنتشر على ألسنة العرب . بعد أن اعتبر ذلك شذوذاً ، واضطراراً مثل نصب

---

(١) راجع الصفحة ٧٤ من هذا الكتاب .

(٢) راجع الصفحة ٥٣ من هذا الكتاب .

(٣) راجع الصفحة ٦٤ من هذا الكتاب .

(٤) راجع الصفحة ٧٠ من هذا الكتاب .

المضارع بعد الفاء من دون أن يكون جواباً لأمر ، أو نهي ، أو تمنٍ ، أو استفهام ، أو نفي ، أو عرض ، أو تحضيض ، أو دعاء كقول الشاعر :

سأترك منزلي لبني تميم   وألحق بالحجاز فأستريحا[1]

٨ ـ من التطوّر معه استكمال وضع المصطلحات النحوية التي بدأت مع الخليل[2] .

٩ ـ من التطوّر معه استكماله وضع الاحتمالات النحوية ، الأمر الذي حدا به إلى التوسّع في وضع التمارين في النحو[3] .

١٠ ـ من التطوّر معه «ظهور الكتاب» بعد الحاجة إليه ، والحاجة إلى كتاب جامع مانع لا تعني أنه ظهر من دون مقدمات بصورة مفاجئة ، لأنه ليس سوى نضج متأخر ، لآراء متقدمة ، ولمباحث قديمة[4] .

١١ ـ من التطوّر معه استيعاب الكتاب لما مر . مما يسّر للمتأخرين الاطّلاع على مباحث الأقدمين التي نضجت مع الخليل .

سعيد بن مسعدة[5] :

سجّله الزبيدي في الطبقة السادسة ؛ لأخذه عن الخليل قبل سيبويه .

التعريف به :

هو الأخفش الأوسط ، كنيته أبو الحسن ، مولى بني مجاشع بن دارم ، ولذا لقّب بالمجاشعي ، وهو أحد أصحاب سيبويه ، ولكنه أسن منه توفي ٢١٥ هـ وقال ابن النديم ٢٢١ هـ[6] .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ، القاهرة ، ط بولاق ١٣١٦ هـ جـ ١ ص ٤٢٣ .

(٢) راجع الصفحتين ٧٢ من هذا الكتاب .

(٣) راجع الصفحتين ٥٣ من هذا الكتاب .

(٤) راجع الصفحتين ٥٦ من هذا الكتاب .

(٥) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ، ص ٧٤ ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ١٠٧ . والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٣٦ ـ ٤٣ ، ياقوت **معجم الادباء** جـ ١١ ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠ . والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٥٩٠ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

علمه :

من أكابر النحويين البصريين ، أخذ عمن أخذ عنهم سيبويه ، وهو الطريق إلى الكتاب إذ قريء عليه بعد موت أبي بشر ، وقد قرأه عليه المازني ، والجرمي وهو عالم بالغريب يقال أنه أملى غريب كل بيت من الشعر تحته ، كما يقال إنه من زاد بحر المتدارك أو الخبب على أبحر الخليل .

أشهر أخباره العلمية :

انتهى إلينا منها عدد غير قليل وهي متناثرة في بطون الكتب المتحدثة عن الموضوع القائم على دور أبي الحسن ، بعد سيبويه في نقل العلم وفي مخالفته لأستاذه[1] .

أ ـ حدَّث الأخفش الأوسط قال : كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه علي ، وهو يرى أني أعلم منه ، وهو أعلم مني[2] .

ب ـ ونقل عنه لقاؤه بسيبويه بعد انصراف الأخير مغلوباً من بغداد حيث أخبره أبو بشر بتألُّب الكوفيين عليه . وعندها يدخل بغداد ، ويسأل الكسائي ، عن مائة مسألة قائلاً له «أخطأت في كل منها»[3] .

ج ـ ونقل عنه مخالفته لسيبويه ، وجمهور البصريين في إعراب الاسم المرفوع بعد إذاً فهو يعربه مبتدأ بينما يعربه سيبويه ، والجمهور فاعل لفعل محذوف[4] ، كما في ﴿**إذا السماء انشقت**﴾[5] .

د ـ ونقل عنه قوله بجواز العطف بالجر على الضمير المجرور بالباء بعد اعتماده في ذلك على قراءة حمزة للآية ﴿**واتّقوا الله الذي تساءلون به ، والأرحام**﴾[8] . وهي قراءة ضعفها البصريون .

---

(١) ابن جني ، **الخصائص** ، على سبيل المثال حيث يرد في فهرست الرجال في الكتاب بتحقيق محمد علي النجار ما ينيف على سبعين استشهاداً بآرائه ، وللسيوطي همع الهوامع ط الخانجي جـ ١ ص ٩١ ـ ١٨٥ ، ولابن هشام مغني اللبيب .

(٢) الشريشي ، **شرح مقامات الحريري** ، جـ ٢ ص ١٣ سطر ١٩ .

(٣) م . ن . جـ ٢ ص ١٣ سطر ٣٠ .

(٤) ابن جني ، **الخصائص** ، ص ١٠٤ حيث شرح رأي الأخفش بتوسُّع وتروٍّ وتجرّد .

(٥) الآية من سورة الانشقاق ١/٨٤ .

(٦) الآية الأولى من سورة النساء ١/٤ .

هـ ـ ومما نقل عنه تأخيره الخبر إذا بدأ بالكلام بأن المفتوحة[1] وإعمال حاشا كفعل متعدٍّ[2] لا كاستثناء فقط . وإعراب الأفعال الخمسة بحركات مقدَّرة على ما قبل ضمائر الرفع لا بالضمائر كما يعربها البصريون[3] وإعمال لات عند سيبويه ، وعدم إعمالها عنده[4] . ولم يكن الأمر مع الصرف أهون مما كان عليه مع النحو عنده ومن صور خلافه مع سيبويه ، والبصريين السماح بصياغة التعجب من غير الثلاثي ، ومما يدلّ على العاهة[5] . ومنه مخالفته في النسبة إلى حمولة ، وما كان على وزن فعولة . فقد نسب سيبويه بحذف التاء والواو ، فتصبح حملي ، وتصبح مع الأخفش بعد أن سمع عن العرب نسبتهم إلى أزد شنوءة شنوئي حمولي[6] ، وغير هذا كثير .

التطوُّر الحاصل مع الأخفش الأوسط :

من العرض المبسَّط لبعض مسائل النحو والصرف ، التي كانت مع الأخفش الأوسط ، والتي سار في بعضها على هدي أساتذته ، وخالف في بعضها بما يوافق آراءه الخاصة ، وما أخذه عن الأعراب ، يمكننا الحديث عن التطوُّر الذي لحق بدراسة النحو مع الأخفش على الشكل التالي :

١ ـ من التطوُّر معه أنه كان السبيل الوحيد إلى دراسة «الكتاب» وشرح غامضه بعد أن أصبح كتاب سيبويه الإمام في النحو ، وبعد أن أصبح غاية الأئمة المنشودة ، ولذا طلبوا فهمه ، ولم يكن ذلك إلاَّ عمَّن أخذه عنه[7] ؛ ولذلك يستمر التطورُّ مع الأخفش بما يوافق أساتذته ، ويعمل على إيصال السابق كما عرفه إلى من طلبه من اللاحقين ، ولذا قرأه عليه الجرمي ، والمازني .

٢ ـ تمكَّن الأخفش بما ملكه من عقل ، وما اعتمد عليه من مشافهات سمعها عن الأعراب ، وما ألمّ به من معرفة بلغات العرب ، وما عمل به في التوسُّع بالقياس على الشاذ ، والنادر ، وعلى القراءات الأحادية ، وعلى ما أطال التأمل ، والتفكير فيه

---

(١) السيوطي **همع الهوامع على جمع الجوامع** جـ ١ ص ١٠٣ .
(٢) م . ن . جـ ١ ص ٢٢٣ .
(٣) م . ن . جـ ١ ص ٥١ .
(٤) م . ن . جـ ١ ص ١٢٦ .
(٥) م . ن . جـ ٢ ص ١٦٦ .
(٦) م . ن . جـ ٢ ص ١٩٥ .
(٧) الشريشي ، **شرح مقامات الحريري** ، جـ ٢ ص ١٣ السطر ١٤ .

في شق عصا الطاعة على أستاذيه : الخليل ، وسيبويه . وهذا من التطوُّر في النحو لكن بوجهه الفردي المعتمد على وجهة النظر الخاصة . وهو تطوُّر تقضي به طبيعة الاجتهاد ، وهو تطور يمكن أن يبرَّر عند دراسته بشكل موضوعي مجرَّد يبتعد فيه الدارس عن فكرة تعمّد المخالفة ، لأنه لا يسعى إلى إقامة أساليب تعبيرية جديدة . وإنما يسعى في مجمله إلى الشرح والتعليل ، والاحتجاج بما يوافق وجهة النظر الخاصة ، لأن أغلب ما عالجه موضوعي ، إلى حدٍّ بعيد .

الجرمي أبو عمر[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة ؛ لأخذه عن يونس بن حبيب ، ولم يلق سيبويه وأخذ اللغة عن أبي زيد ، والأصمعي ، وطبقتهم .

التعريف بـه :

هو صالح بن إسحق البجلي ، مولى . كان رفيق المازني ، والسبب في إظهار «الكتاب» معه بعد أن قرأ «الكتاب» على الأخفش الأوسط توفي ٢٢٥ هـ .

علمـه :

قال المبردّ : الجرمي أغوص على الاستخراج من المازني ، وقال : إن جماعة النحاة قرأت عليه ، ويعني بعد الأخفش ، حيث تحولت الأنظار إليه بعد تصدُّره ، لقوَّة حجَّته ، وضع مختصر «للكتاب» بعد درسه له وعنيٍ به فألف في غريبه ، وفي شواهده ، حيث نسب الأبيات إلى قائليها إلاَّ خمسين بيتاً استعصت عليه .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منها عدة أخبار : مثل تصغيره لكلمة مختار على مخيِّر لأن التاء فيه زائدة باعتماد أصل الفعل «خار» لا مخيتيير كما ذهب الأصمعي باعتماد «إختار» ومنه ما كان بينه ، وبين الفرَّاء حول مسألة العامل في عبارة «زيد منطلق» لِمَ رفعوا زيداً . حيث أجاب الجرمي . آن العامل لا يظهر ، ولا يتمثل ، وحيث تعجَّب الفراء من الجواب ، ثم أوقع الجرمي الفراء فيما أوقعه الأخير فيه من المغالطة . في عبارة زيد ضربته . حيث يجيب الفراء بأن عامل الرفع في زيد لا يظهر ، ولا يتمثل . ليجيب الجرمي «إنك وقعت فيما فررت منه» .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٧٦ ، والإنباري ، **نزهة الالباء في طبقات الأدباء** ص ١١٤ ،وابن النديم ، **الفهرست** ص ٨٤ ، والقفطي **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ص ٨٠ ـ ٨٣ ، والسيوطي **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** جـ ٢ ص ٨ ـ ٩ حيث أخباره الواردة أعلاه .

ومنه ما نقل عنه من آراء تخالف سيبويه ، فهو يرى أن المثنى والجمع المذكر السالم لا يعربان لفظاً ، وإنما يعربان إعراباً معنوياً بالألف في المثنى ، والواو في الجمع رفعاً ، والياء في الإثنين نصباً ، وجراً[1] . وبهذا أنكر الإعراب الظاهر عند سيبويه ، والمقدَّر كما مرّ عند الأخفش الأوسط[2] .

ومنه نصب المضارع ، بأو نفسها لا بأن مضمرة كما قال سيبويه[3] .

ومنه أن كلمة طأمن في الصرف مقلوبة عن طمأن ، لا العكس كما ذهب سيبويه[4] .

التطوُّر الحاصل مع الجرمي :

التطوُّر مع الجرمي شبيه بالتطور مع الأخفش الأوسط . ولكنه حدث بشكل أخف نوعاً ما . لأن الجرمي قد أوصل ما انتهى إليه من علوم ورأيناه يحاول المستحيل لإشاعة «الكتاب» ـ كما قيل وأشيع ، ونراه إنه فعل ذلك ليستفيد به أولاً وأخيراً ـ ولكن هذا العمل لا يعني عدم مخالفته لسيبويه فقد عاد بدوره إلى مخالفة سيبويه ، وغيره من أساتذة البصريين عملاً بقانون الاجتهاد في العلم بعد تحصيله .

علي بن نصر الجهضمي[5] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة ؛ لأخذه عن الخليل .

التعريف بـه :

هو علي بن نصر الجهضمي ، توفي ١٨٧ هـ .

علمـه :

من الدارسين على الخليل ، مع سيبويه .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء .

---

(١) السيوطي **همع الهوامع** ، جـ ١ ص ٤٨ .
(٢) الصفحة ١٥٥ من هذا الكتاب .
(٣) السيوطي ، م. س. جـ ٢ ص ١٠ .
(٤) ابن جني ، **الخصائص** ، جـ ٢ ص ٧٤ حيث يعرض ابن جني لِحُجج أبي عمر وسيبويه ، وينتهي إلى أن المصدرين متقاودان (متقاربان) كجدب وجبز .
(٥) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٧٧ والسيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** جـ ٢ ص ٢١١ .

التطوُّر الحاصل مع الجهضمي :

لا يحكم به ؛ لعدم وصول الأخبار الممكِّنة من ذلك .

مؤرج بن عمر[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة لأخذه عن الخليل .

التعريف بـه :

هو مؤرج بن عمرو السدوسي العُجَلي ، وأورد ابن النديم إسماً آخر له[2] ويكنى بأبي فيد توفي سنة ١٩٥ هـ .

علمـه :

أخذ عن الخليل وعن أبي زيد الأنصاري ، وهو من كبار أهل اللغة ، والعربية ، حافظ للّغة ، بليغ فصيح ، قدم من البادية ، ولا معرفة له بالقياس الذي تعلَّمه في حلقة أبي زيد ، أخذ عليه النضر بن شميل وأخذ منه هو ، كما أخذ عليه أحمد بن محمد بن أبي محمد يحيى اليزيدي .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها غير نتف قليلة الفائدة ذكرت مع كتبه عند ابن النديم في **الفهرست** .

التطوُّر الحاصل مع مؤرج :

لا يحكم به نحوياً ، للتعميم في أخباره ، عِلماً إنه يظهر أن اللغة قد غلبت عليه لا النحو .

محمد بن أبي محمد اليزيدي[3] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة من دون أن يعيِّن عمن أخذ توفي بمصر من دون ذكر لسنة الوفاة .

التعريف بـه :

هو محمد بن أبي محمد ، يحيى بن المبارك الآنف الذكر في الطبقة نفسها

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ٧٨ ، الإنباري ، **نزهة الالباء** ، ص ١٠٥ أو القفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٣٢٧ ـ ٣٣٠ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٠٥ .

(٢) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٧١ ، تحت اسم مؤرج السدوسي .

(٣) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ٧٨ ، الانباري ، **نزهة الالباء** ص ١١٨ . القفطي ، **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٢٣٦ ـ ٢٤٠ .

كنيته أبو عبد الله ، وهو أشهر الجماعة من اليزيديين[1] ، وهو أكثر الجماعة شعراً .

أشهر أخباره العلمية :

لم يردنا غير شاعر عالم متّسع في العلم والرواية .

التطوُّر الحاصل مع محمد اليزيدي :

لا يحكم به للتعميم الحاصل في نقل أخباره .

أحمد بن محمد أبي محمد اليزيدي[2] :

سجّله الزبيدي في الطبقة السادسة إلى جانب أبيه وجدّه .

التعريف بـه :

هو حفيد يحيى بن المبارك من ابنه محمد توفي ٢٦٠ هـ .

علمـه :

نحوي بصير بالنحو ، وهو أمثل أهـل بيته في العلم ، أخـذ عن أبيه ، وعن جدّه ، وعن أبي زيد الأنصاري ، وكان مقرئاً .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها غير أموره مع المأمون وهي متعلقة بالمنادمة والأخوانيات ولا تفيد علمياً بشيء .

التطوُّر الحاصل مع أحمد بن محمد اليزيدي :

لا يحكم به للتعميم في نقل أخباره .

الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي[3] :

سجّله الزبيدي في هذه الطبقة إلى جانب أبيه وجده .

التعريف بـه :

هو حفيد يحيى بن المبارك الثاني من ابنه محمد توفي ٢٧٨ هـ .

---

(١) هذا خبر ابن النديم ، **الفهرست** ص ٧٤ السطر ٢٠ .

(٢) الزبيدي ، **الطبقات** ص ٨٦ ، القفطي ، **إنباه الرواة** جـ ١ ص ١٢٩٦ ، وياقوت **معجم الأدباء** جـ ٤ ص ١٣٩ ـ ١٤٣ والسيوطي ، **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٣٨٦ .

(٣) الزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ٨٦ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٧ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٢٤٦ .

علمه :

أحد النبلاء ، والنحاة ، والرواة ، والعلماء . أخذ عنه جمّ غفير ، أخذ عن أبيه وروى عن الجمحي محمد بن سلام ، والمازني ، وهو ناقص الأدب .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء .

التطوُّر الحاصل مع الفضل اليزيدي :

لا نستطيع الحكم به لعدم ورود ما يمكِّننا منه .

- ٧ -

الطبقة السابعة

وتضم أخبار ستة علماء وهم : المازني ، والسجستاني ، والرياشي ، والزيادي ، والتوزي ، وقطرب .

المازني[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة السابعة ، لأخذه عن الأخفش الأوسط ، وعن الجرمي ، وعن الأصمعي .

التعريف به :

هو أبو عثمان ، بكر بن محمد بن بقية المازني ، أبوه محمد بن حبيب النحوي القاريء أخذ أبو عثمان عن كبار الطبقة التي سبقته ، وأخذ عنه أبو العباس المبرِّد ، والفضل بن أبي محمد اليزيدي وغيرهم توفي ٢٤٧ أو ٢٤٨ هـ على اختلاف في المراجع[2] .

علمه :

كان فطناً عالماً بارعاً في المناظرة ، لا يناظر أحداً إلا قطعه لقدرته على الكلام . وقد ناظر الأخفش الأوسط أستاذه فقطعه ، عالم البصرة بالنحو ، والتصريف من دون منازع بعد موت أساتذته .

---

(١) الزبيدي **طبقات النحويين** ص ٩٢ ، والأنباري ، **نزهة الالباء** ص ١٤٠ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ١ ص ٢٤٦ - ٢٥٦ ، وياقوت **معجم الادباء** جـ ٧ ص ١٠٧ - ١٢٨ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٥ .

(٢) قال الزبيدي ٢٣٦ هـ و ٢٤٩ هـ والقفطي أورد ٢٤٧ ، و ٢٤٨ و ٢٤٩ هـ ورجح ياقوت الأخيرتين بعد ذكره ٢٣٠ هـ والفهرست سكت .

أشهر أخباره العلمية :

توفرت عنه عدة أخبار تُيسّر لنا الاطلاع عليِ منهجه في العمل النحوي فضلاً عن الصرفي . منها قصة تلك الجارية التي غنت الواثق العباسي قصيدة منها هذا البيت :

أظلوم أن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم[1]

فراجعها بعض الحاضرين[2] على رفعه على أنه خبر أن وهي تصر على النصب لأن شيخها أبا عثمان لقَّنها النصب . فأمر الواثق بإحضاره وسأله أترفع رجلاً ، أم تنصبه فقال : بل الوجه النصب ودافعه اليزيدي حتى احتج بقوله : إن ضربكم زيداً لظلم ، وعلق بأن زيداً مفعول به بمصابكم ومنصوب به .

ومنها ما نقله الزبيدي ، والحريري ، وياقوت[3] ، عن سؤال المازني عن سبب حذف الهاء من بغياً من الآية ﴿**وما كانت أمك بغياً**﴾ بعد أن أجاب الحاضرون إجابات غير مرضية فأجاب قائلاً : إن بغياً ليست فعيلاً وإنما هي مفعول بمعنى فاعل لأن الأصل بغوي ومن أصول التعريف أنه متى اجتمعت الياء والواو في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء مثل يوم أيام ، وهذا أصل مطّرد لم يشذ منه إلَّا القليل ، وهكذا تحذف الياء وجوباً . وتحذف التاء أيضاً لأنها تحذف مع امرأة صبور ، بمعنى صابرة .

ـ ومنها ما كان عند الواثق بينه ، وبين ابن السكّيت فطلب الواثق من المازني سؤاله فقال له : ما وزن نكتل فقال : نفعلٍ . فقال المازني : غلطت وفسره بأن أصله نكتيل ، وقلبت الياء ألفاً للفتحة قبلها وسكّنت اللام للجزم ، لأنه جواب أمر فحذفت الألف لالتقاء الساكنين . فقال الواثق هذا هو الجواب .

ـ وعن آرائه النحوية كانت له مواقف ، ولكنه تابع فيها أستاذه الأخفش الأوسط

---

(١) البيت للعرجي ورد عند ابن النديم ، وعند الحريري في المقامات . في العجز : تحية ، وفي غيرهما : إليكم ، على اختلاف .

(٢) اختلفت الروايات فيه قال الزبيدي ومن أخذ عنه أن التوزي ، أو الثوري ، وقال الحريري في مقاماته إنه اليزيدي ، راجع للشريشي ، **شرح المقامات** ، ١٩٧٩ م جـ٢ ص ١٤ سطر ١٩ آخر السطر .

(٣) اختلف الثلاثة فيما نقلوه فقال الزبيدي وياقوت : أمام الواثق مع الكوفيين ، أما الحريري فقال : أمام المتوكل ولم يعين مدرسة الموجودين .

ولم يخرج عليه كما خرج الأخفش المجاشعي على أستاذه الفارسي ، بل ردَّد آراءه نفسها ، وإنما أوردنا هذا كيلا يُظن أنه لم يشارك في الجانب اللغوي .

التطوُّر الحاصل مع المازني :

للمازني في التطوُّر النحوي العام دور مهم جداً تجلّى في عمله الصرفي أكثر منه في النحوي . وبه فاق معاصريه ، بينما ردد في النحو تعاليم أستاذه سعيد بن مسعدة ولذا تمّ إبراز دوره الصرفي ليتيسر نعته بالإمام في علم التصريف الذي شدَّ بأقدامه إلى أرضه ، كما ترسخ الجبال العتيدة وبذا رسم لنفسه خطة تفرّد بها عن سابقيه ، ومازته عنهم بأن خطا تجاه فصل النحو عن الصرف بعد أن وضع كتابه في الصرف[1] . وعليه نقول :

١ ـ أن المازني هو من خطا تجاه فصل النحو عن الصرف بعد أن نظَّم مادة الصرف بشكل دقيق استفاد في الإتيان به من تجربة سيبويه في «الكتاب» فجعل مباحثات الصرف متخصِّصة بعد أن كانت مختلطة بالنحو ، وأموره ، ولهذا تمكَّن من لّم مباحثه المتناثرة ، ويسَّر طلبه ليصبح بعده علماً كما أورد في كتابه : كتبت لك في هذا الكتاب هذه الأمثلة ، لتعلم كيف مذاهب العرب فيما بنت من الأسماء والأفعال . . .[2] .

٢ ـ من التطوُّر تشدُّده في العمل بالقياس على كلام العرب بعد وضعه «أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامها» قاعدة عامة[3] .

٣ ـ من التطوُّر معه مخالفته لسيبويه في بعض مسائل التصريف عن بصيرة منه وبراعة وحنكة بحجة : إذا قال العالم قولاً ، فللمتعلم الاقتداء به ، والانتصار له ، والاحتجاج لخلافه . إن وجد سبيلاً[4] .

٤ ـ كان صاحبَ الفضل في نضج علم الصرف لاحقاً مع أبي علي الفارسي ، وابن جني بعد أن سلَّط الأضواء عليه بعمله الفريد .

---

(١) أسمى ابن جني شرحه لكتاب تصريف المازني «المنصف» .
(٢) ابن جني ، **الخصائص** ، جـ ١ ص ١٩٥ .
(٣) م . ن . جـ ١ ص ٣٥٧ .
(٤) م . ن . جـ ١ ص ١٩٧ .

أبو حاتم السجستاني[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السابعة ؛ لأخذه عن أبي زيد ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، وعلى الأخفش بصورة خاصة إذ قرأ عليه كتاب سيبويه مرتين .

التعريف به :

هو سهل بن محمد عالم ثقة باللغة ، والنحو توفي ٢٥٥ هـ . واختلف في سنة وفاته . وهذا هو التاريخ الأصح[2] .

علمه :

إمام في العربية وعلومها ، والقرآن ، والشعر ، عالم ثقة باللغة أخذ عنه ابن دريد ، حسن المعرفة بالعروض كثير التآليف في اللغة ، يقول الشعر ، وهو صادق الرواية .

أشهر أخباره العلمية :

كان السجستاني إذا التقى بالمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل عنه أو بادر بالخروج خوفاً ، من أن يسأله المازني في النحو .

التطوُّر الحاصل مع السجستاني :

لا يمكن أن نحكم به نظراً للتعميم الحاصل في نقل الأخبار عنه . والظاهر أنه كان لغوياً أكثر منه نحوي .

الرياشي[3] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السابعة ، من نحاة البصرة ، لأخذه عن المازني .

التعريف به :

هو أبو الفضل ، العباس بن الفرج الرياشي ، مولى توفي ٢٥٧ هـ .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٠٠ ، والانباري **نزهة الألبَّاء** ص ١٤٥ ، وياقوت **معجم الادباء** جـ ١١ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٥٨ ، وابن النديم **الفهرست** ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٢) أيد ابن النديم هذا التاريخ وكذلك الزبيدي ، أما السيوطي فروى أكثر من تاريخ فلتراجع وفق ما ورد في الحاشية رقم ١ .

(٣) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٠٣ ، والأنباري **نزهة الألباء** ص ١٥٢ ، وابن النديم **الفهرست** ص ٨٦ وياقوت **معجم الأدباء** جـ ١٢ ص ٤٤ ـ ٤٦ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٣٦٧ ـ ٣٧٣ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٢٧ .

علمـه :

من كبار أهل اللغة والشعر ، أخذ عن الأصمعي ، وكان يحفظ كتبه ، وكتب أبي زيد كلها قرأ كتاب سيبويه على المازني ، وأقرَّ له ابن النديم بقراءة النصف الأوَّل منه على أبي عثمان المازني فقط .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منها خبر عن طريق ثعلب نـرويه على حـذر الأخذ عن الخصم قـال ثعلب : قدِم الرياشي بغداد سنة ٢٣٠ هـ فأتيته لأكتب عنه فقال : أسألك عن مسألة فقلت : قل : فقال : نعم الرجل يقوم . قلت الكسائي يضمر رجلاً يقوم ، والفرَّاء لا يضمر ، لأن نعم عنده اسم وعند الكسائي فعل . ويقوم في صلة الرجل وسيبـويه يقول : إنه ترجمة . قال : صدقت قلت : فتقـول يقوم نعم الـرجل : قـال : نعم قلت : هذا مخالف لقول صاحبك ، والكسائي والفـرَّاء يجيزانـه لأن الترجمـة إذا تقدَّمت فسد الكلام (أي تغيَّر المقصـد) لأنه إنمـا أتي بها في آخـره ليظهـر معنى الكلام ، فاقصد لما أتيت له .

التطوُّر الحاصل مع الرياشي :

من خلال أخباره ، التي انتهت إلينا ، ومن خلال أسماء كتبه التي وصلتنا يظهر الرياشي لغوي التوجهات ، والمشاركة . فهو لم يتِم دراسة الكتاب ، كما نقل عنه أنه كان يحفظ كتب الأصمعي ، وأبي زيد . ولذا قدَّرنا أن رواية ثعلب بحقِّه صحيحة ، وقبلنا خبره عنه ، لأنه لم يكن من أصحاب النحو ، وإنما من أصحاب اللغة .

الزيادي[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السابعة ، لأخذه عن الأصمعي ، وأبي عبيدة .

التعريف بـه :

هو إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن الزيادي . قيل أنه لقب بالزيـاد لأنه من أولاد زيـاد بن أبيه تـوفي ٢٣٨ هـ وقيل ٢٤٩ هـ حسب بغيـة الوعاة .

---

(١) الـزبيدي ، **طبقـات النحويين واللغـويين** ص ١٠٧ ، والأنباري ، **نـزهة الالبـاء** ص ١٥٧ ، والقفـطي **إنبـاه الـرواة** جـ ١ ص ١٦٦ ، ويـاقـوت **معجم الادبـاء** جـ ١ ص ١٥٨ ـ ١٦١ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤٤ .

علمـه :

نحوي قرأ كتاب سيبويه ولم يتمَّه ، عالم باللغة والنحو ، أخذ عنه المبرِّد .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء سوى أنه وضع شرحاً لكتاب سيبويه .

التطوُّر الحاصل مع الزيادي :

هو أيضاً ممن غلبت عليه اللغة ، دون أن تفوته معرفة النحو ، والاشتغال به ، ولكنه لم يكن من المبرزين فيه كما يظهر .

التوزي[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السابعة ، لأخذه عن الجرمي ، والأصمعي درس على الجرمي كتاب سيبويه .

التعريف بـه :

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن هـرون ، صُحف باسمه فقيل «التـوزي» وقال ابن النديم : «الثوري» وسجَّل أخباره تحت هذا الاسم دون ذكر وفاته ، وهو من الموالي .

علمـه :

من أكابر علماء اللغة ، أخذ عن أبي عبيدة ، والأصمعي ، وقرأ الكتاب على الجرمي ، قال المبرِّد : ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من التوزي وهو أكثر أصحـاب أبي عبيدة رواية عنه .

أشهر أخباره العلمية :

تقدَّم مع المازني خبر حول خطأ جارية بإنشاد بيت ، ورفضها تصحيح العالم الموجود لما أنشدته ، لأنها درست على شيخ أهل البصرة في زمانه[2] .

التطوُّر الحاصل مع التوزي :

نستطيع أن نحكم على التوزي أنه لم يكن من المبرزين ، فضلاً عن كونه من أصحاب الشعر ، واللغة كما تقدم لنا الأخبار الواردة أدناه .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٠٧ ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ١٣٥ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ١٢٦ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٦١ .

(٢) متن الصفحة ١٦٢ من هذا الكتاب في الرواية والحاشية في التعليق على خبر ذلك العالم واسمه والاختلاف فيه .

قطرب[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة السابعة ؛ لأخذه عن سيبويه .

التعريف بـه :

هو محمد بن المستنير ، ويقال أحمد بن محمد ، ويقال الحسن بن محمد ، والأوّل أصح ، وهو يكنى بأبي علي ، وقد لقّبه سيبويه بهذا الإسم لمباكرته إياه في الأسحار توفي ٢٠٦ هـ .

علمـه :

أخذ عن سيبويه وعن جماعة من البصريين ثقـة فيما يحكيـه . من المؤدبين لأولاد الخلفـاء والخاصـة فقد أدّب الأمين ابن هـارون الرشيـد ، وأولاد أبي دلف القاسم بن عيسى ، أحد قادة الرشيد المرموقين .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منها ما يفي بالغرض من ذلك ما نقله عنه الزجّاجي في تعليل دخول الإعراب . في الكلام حيث عارض ما جاء به سيبويه ، وغيره من البصريين من أن الإعراب دخل في العربية لبيان الفوارق بين المعاني ، التي يريدها المتكلمون حيث قال :

«لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني ، والفرق بين بعضها ، وبعض لأنّا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني وأسماء مختلفة في الإعراب متفقة المعاني . . . فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه ، ولا يزول إلا بـزواله . وإنمـا أعربت العـرب كـلامها ، لأن الاسم في حـال الـوقف يلزمـه السكـون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل (وهذا مستحيل ، وينشأ عنه لبس ، واشتباه كبيران) فلما وصلوا ، وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبـاً للإسكـان ليعتدل الكلام . (وهكذا حسب رأيه نشأت الحركات) وكان الإعراب[2] .

---

(١) الـزبيدي ؛ **طبقـات النحويين واللغـويين** ص ١٠٧ ، والأنباري ؛ **نـزهـة الالبـاء** ص ٧٦ ، والقفطي ؛ **إنباه الرواة** جـ٣ ص ٣٢١٩ ، وياقـوت ؛ **معجم الأدباء** جـ١٨ ص ٥٢ ـ ٥٤ ، والسيوطي ؛ **بغية الوعاة** جـ١ ص ٢٤٢ .

(٢) الزّجاجي ، **الإيضاح في علل النحو** ، ص ٧٠ .

ومما خالف به سيبويه ، والخليل ، وهـو لم يصل طبعـاً إلى درجة الأخفش الأوسط . ما كان يقول به إن حركات الإعراب (ضمة ، فتحة ، كسرة ، سكون) هي نفسها حالات البناء (ضم ، فتح ، كسر ، سكون)[1] .

ومنها ما خالف به الأخفش الأوسط كما خالف به سيبويه في آن معاً حيث ذهب إلى أن إعراب المثنى ، والجمع المذكر السالم ، والأسماء الخمسة هو بالحروف نفسهـا الألف ، والواو في المثنى والجمع رفعاً ، والياء في المثنى ، والجمع نصباً وجراً ، بالواو ، والألف ، والياء ، رفعاً ونصباً ، وجراً مع الأسماء الخمسة بينما ذهب الخليل وسيبويه إلى إعراب المثنى ، والجمع والأسماء الخمسة ، بحركات مقدَّرة في الألف ، والواو ، والياء ، وذهب الأخفش إلى تقدير حركات الإعراب على ما قبل تلك الحروف[2] .

التطوُّر الحاصل مع قطرب :

يستمر التطوُّر مع قطرب محـاولاً إيصال مـا حصَّله عن سيبويـه في الخطوط النحوية العامة التي لم يترك هذا الأخير لأحد مجالاً لتغييرها . ولكن التطوُّر معه يظهر عبر محاولاته في الإجابة بما يوافق تحليله للأمور ، وتعمقه فيها ، وما يوافق وجهة نظره الخاصة التي يستحيل أن تختفي عند العالم . كما في محاولتـه الإجابـة عن أسباب الإعراب ، لعدم اقتناعه بما أجاب عليه سيبويه ، وأستاذه الخليل . وهكذا بالنسبة لحركات الإعراب ، وعلامـاته ، وحـالات البناء ، وأيضـاً بالنسبـة لإعراب المثنى والجمع ، والأسماء الخمسة . وهنا يمكننا أن نحكم بأن التـطوُّر معه كـان موضوعياً يحاول فيه عبر هذه المسائل الاقتناع بما يقوله ، وقد لاقى أمره نجاحاً ، والدليل على هذا أنه تمكن بعمله من دحر آراء سيبويه والخليل . الأمر الذي وصلنا ، وها نحن نعرب بطريقته هو .

---

(١) السيوطي ، **همع الهوامع على جمع الجوامع** ، جـ ١ ص ٢٠ .

(٢) م . ن . جـ ١ ص ٤٧ في إعراب المثنى ، والجمع المذكر السالم وجـ ١ ص ٣٨ . في إعراب الأسماء الخمسة .

- ٨ -

الطبقة الثامنة

وتضم أخبار عالمين هما : المبرَّد ، والباهلي .

أبو العباس المبرَّد[١] .

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثامنة ، لأخذه عن أبي عثمان المازني ، واختصاصه به بعد أخذه عن الجرمي .

التعريف بـه :

هو محمد بن يزيد بن عبد الله الأزدي ، الثُمالي ، البصري المولد ، المعروف بالمبرد بعد أن لقَّبه أستاذه المازني به لإتيانه بالإجابة على أصولها . تـوفي ببغداد ٢٨٥ هـ .

علمـه :

شيخ أهل النحو والعربية بعد طبقة الجرمي ، والمازني ، درس الكتاب على الجرمي ، ثم لزم المازني ، وهو آخـر أئمة المـدرسة البصـرية المهمِّين أخـذ عنه الصولي ، ونفطويه .

أشهر أخباره العلمية[٢] :

منها أمر مخالفته لسيبويه في نصب المستثنى بإلاَّ في المثل ، قام القوم إلا زيداً

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٠٩ ، والإنباري **نزهـة الالباء** ص ١٦٤ ، ويـاقوت **معجم الادباء** جـ ١٨ ص ١١١ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٢٤١ - ٢٥٣ .

(٢) راجع في آرائه في المستثنى همع الهوامع جـ ٢ ص ١١٥ وفي كان وأخواتها جـ ١ ص ١١٢

فقد نصبه بإلاّ نفسها لأنها عاملة ، كما نصبه في رأي ثان له بفعل أستثني بينما نصبه على أنه معمول للفعل السابق المتعدِّي له بواسطة إلاّ[1] .

ومنها رده على الرغم من اعتماده للسماع بشكل كبير ـ لبعض ما رُوي على الرغم من وروده عند سيبويه فقد قال في بيت امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

ليست هذه الرواية الصحيحة وإنما هي فاليوم فاشرب ليبرر سكون الفعل ، على أنه فعل أمر . وهذا حدا بابن جني إلى مهاجمته لتحكيمه الشهوة المجرَّدة في النصفة ؛ بالسماع ، وردِّه للرواية[2] .

ومنها مخالفته لسيبويه في دخول لام الابتداء على خبر أن ، ومعموله إذا كان ظرفاً أو جارّاً ومجروراً مثل «إنك لبحمد الله لناجح» حيث قال هو بذلك ومنعه سيبويه وواضح غرابة هذا الرأي[3] .

التطوُّر الحاصل مع المبرَّد :

مما لا شك فيه أن المبرد ، واحد من كبار البصريين المهمين ، وهو من أعلم الناس بمذاهب البصريين في عصره ولذلك نحكم عليه مع موضوع التطوُّر ، بشكلين :

أولاً : محاولته تقرير وسائل العمل النحوي عند البصريين من سماع ، وقياس ، وتعليل . وهي الخطوط الكبرى للنحو عند أهل البصرة .

ثانياً : محاولته أن يتوسع في ترك أثره الخاص على المجال النحوي شأن الأخفش الأوسط فخالف الكبار لا سيما الخليل ، وسيبويه ، فوفِّق في مجال وأخفق

= وفي لو وما يليها الهمع جـ ١ ص ١٣٨ و ١٣٢ والمفعول معه الهمع جـ ١ ص ٢٢١ ، وفي عمل غير في حالات معينة الهمع جـ ١ ص ٢١٠ وفي المثنى والجمع جـ ١ ص ١٤٦ وفي عدا وخلا وعملهما الهمع جـ ١ ص ٦٢ وفي لام الابتداء وما يتعلق بها الهمع جـ ١ ص ١٣٩ وفي ترخيم المنادى الهمع جـ ١ ص ١٨٢ وفي اللهم وتحليلها الهمع جـ ١ ص ١٧٨ وفي بعض حرفياته الهمع جـ ٢ ص ١٨١ و ١٩٢ و ٢٠٨ و ١٩٥ و ٢٢٤ وفي بعض ما مر كله في كتاب المبرِّد : حياته ، وآثاره ، وآراؤه .

(١) السيوطي ، **همع الهوامع** ، طبعة الخانجي ، جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٢) ابن جني ، **الخصائص** ، بيروت دار الهدى ، ط ٢ جـ ١ ص ٧٢ .

(٣) السيوطي ، الهمع ، جـ ١ ص ١٣٩ .

في مجالات . كما قال ابن جني : أما ما تعقب به أبو العباس . . . كتاب سيبويه في الموضوعات التي سمّاها مائل الغلط فقلّما يلزم صاحب الكتاب إلاَّ الشيء النزر[1] . ولكن مخالفته تلك كانت وليدة علمه الصافي ، وعقله النيّر .

الباهلي[2] :

سجّله الزبيدي في الطبقة الثامنة ولم يعيّن عمن أخذ علمه .

التعريف بـه :

هو أبو العلاء الباهلي . وفي بغية الوعاة أبو يعلى توفي ٢٥٧ هـ .

علمـه :

لم يذكر منه شيء .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا عنها شيء .

التطوُّر الحاصل مع الباهلي :

لا يحكم به لانعدام الحديث عن أخباره العلمية .

---

(١) ابن جني ، الخصائص ، بيروت ، دار الهدى ط ٢ جـ ١ ص ٧٢ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٢٠ .

- ٩ -

الطبقة التاسعة

وتضم أخبار تسعة علماء هم : الزجَّاج ، ابن السرَّاج ، المبرمان ، الفزاري ، الأخفش الصغير ، ابن درستويه ، أبو بكر بن أبي الأزهر ، أبو بكر بن شقير ، ابن الخياط .

الزجّاج[١] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة التاسعة ، لأخذه عن المبرد .

التعريف به :

هو أبو إسحق إبراهيم بن السري بن سهل لقب بالزجَّاج لأنه كان يعمل بخرط الزجاج لزم المبرِّد ، واختصٍ به ، وجعل له كل يوم درهماً يؤديه له طيلة حياته أجراً على تعليمه لأنه كان لا يعلِّم مجاناً ولا يعلِّم بأجرة إلاَّ على قدرها إحترف التعليم وأدَّب أولاد الخلفاء والوجهاء والوزراء توفي عام ٣١٠ هـ .

أشهر أخباره العلمية :

كان يرى أن الفعل المضارع لا يدلُّ على الحال والاستقبال كما قال سيبويه ، والجمهور من النحاة ، بل على الاستقبال فقط ، لأن اللحظة التي ننطق فيها بكلمة يكتب تصبح ماضية بمجرد أن ننطق بها[٢] . كان يرى أن عامل النصب في المفعول

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٢١ ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ١٨٣ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ١ ص ١٥٩ ، وياقوت **معجم الادباء** جـ ١ ص ١٣٠ - ١٥١ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤١١ .

(٢) السيوطي ، **همع الهوامع** جـ ١ ص ٧ .

معه الفعل المضمر بعد الواو في : استيقظت وطلوع الفجر ، وتقديره استيقظت ، ولابس طلوع الفجر . لأن الفعل لا يعمل في المفعول بتوسط الواو بينهما كما قال سيبويه والنحاة[1] .

وكان يدافع عن رأي أصحابه البصريين حول المصادر وأصلها من الاشتقاق بقوله : لو كان المصدر بعد الفعل لوجب أن يكون لكل مصدر فعل ، فلما رأينا في كلام العرب مصادر لا أفعال لها مثل البطولة ، والأمومة .

ورأينا في كلامها مصادر على غير ألفاظ أفعالها نحو «الكرامة» علمنا أن المصادر هي الأصول وهذا بيِّن واضح[2] .

وفي الصرف خالف الجمهور ومنه قوله : إن الضمير في «هو وهي» الهاء فقط ، أما الواو ، والياء ، فهما حرفان زائدان لحذفهما مثل هم وهن . بينما رأى البصريون أن الضمير هو مجموع الحرفين في كل منهما[3] .

واشتهر باشتقاقه الغريب ، ومنه قوله سمي الثور ثوراً ، لأنه يثير الأرض ، والثوب ثوباً ، لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً ، والقصعة اشتقت من القصع ، لأنها تقصع الجوع أي تكسره . وعلق ابن العلّاف هازئاً : إنه كان يجب أن يقول العصفر من العصفور ، والدب من الدّب ، والعذب من الشراب مشتق من العذاب ، والخريف من الخروف[4]. . .

التطوُّر الحاصل مع الزجَّاج :

نلاحظ مع الزجَّاج أيضاً أنه يسير في ركاب خطين متوازيين هما :

أولاً : إيصال الأصول ، والأسس حسب الانتماء المدرسي العلمي فهو يدافع عن آراء الجمهور من البصريين التي وافقت مزاجه ، أو قل يدافع عن الأسس العامَّة مثل المصادر ، وأصلها من الاشتقاق حسب آراء مدرسته ، أم الأفعال حسب مدرسة الكوفة .

ثانياً : محاولته التجديد بما يرى من نفسه القدرة عليه حباً بترك الأثر الخاص

(١) م . ن . جـ ١ ص ٢٢٠ .
(٢) الزجاجي ، **الإيضاح في علل النحو** ، ص ٥٨ .
(٣) السيوطي **همع الهوامع على جمع الجوامع** ، جـ ١ ص ٦١ .
(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ١ ص ١٠٩ .

على العمل النحوي ذلك الشيء الذي راود مخيلة الكثيرين ، ودغدغ أحلامهم قبله مع أغلب العلماء .

نـلاحظ معه الإغـراب في بعض آرائه ، وهـذا من التطوّر كمـا في اشتقاقـه البعيد ، والضمائر .

نلاحظ معه أثر التفكير المستفـاد من العلوم العقلية الـدخيلة التي مكنته من التفكير بلحظات الماضي والمضارع ، وأصول الاشتقاق ، والضمائر ، وهي أمـور طريفة ولكنها دخيلة على الصرح النحوي العربي .

ابن السرّاج[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة التاسعة ؛ لأخذه عن المبرّد .

التعريف بـه :

هو أبو بكر محمد بن السري ، أحدث أصحاب المبرد سناً ، وأحبهم إليه توفي ٣١٦ هـ .

علمـه :

أحد أئمة النحو ، وإليه انتهت الرئاسة بعد الزجاج ، قرأ الكتاب على المبرّد ، وتشاغل عنه فيما بعد بالموسيقى ، والمنطق ، شاعر مجيد ، أخذ عليه السيرافي ، وأبو علي الفارسي ، والرمّاني النحوي .

أشهر أخباره العلمية :

بعضها نحوي ، والآخر صرفي ، ومنها ما نقله عنه ابن جني[2] في حديثه عن العلّة ، وعلّة العلّة قال ذكر أبو بكر في أول أصوله هذا ومثّل برفع الفاعل قال : فإذا سئلنا عن علّة رفعه قلنا : ارتفع بفعله فإذا قيل : لمَ صار الفاعل مرفوعاً فهذا سؤال عن علّة العلّة .

ومنها عنايته بالقياس إلى درجة مهاجمة من يحتفل بالشاذ ، والنادر ، وقد دعا إلى إسقاطهما كي لا يضطرب القياس في النحو ، والصرف ، وذلك بقوله : «إعلم أنه ربما شذ شيء من بابه ، فينبغي أن تعلم أن القياس إذا اطّرد في جميع الباب لم

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٢٢ ، والأنباري ، **نزهة الالباء في طبقات الأدباء** ص ١٨٦ ، والسيوطي **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** جـ ١ ص ١٠٩ .

(٢) ابن جني ، الخصائص ، جـ ١ ص ١٧٣ ، أول الصفحة .

يعن بالحرف الذي يشذ عنه ، وهذا مستعمل في جميع العلوم ، ولو اعترض بالشاذ على القياس : المطَّرد لبطل أكثر الصناعات ، والعلوم»(1) .

ومما خالف به الجمهور تجويزه في تقديم خبر كان ، وتوسُّطه بينهما ، وبين اسمها ، وكان يحتج بالآية : ﴿**وأنفسهم كانوا يظلمون**﴾(2) . وكان يقول تقديم المعمول يؤذن بتقدم العامل(3) .

ومنه ما زاده على أبنية الأسماء وصيغها في إثنين وعشرين بناءً على ما ذكره سيبويه(4) .

التطوُّر الحاصل مع ابن السراج :

يستمر التطوُّر مع ابن السرّاج ، ونصل معه إلى ما عرف في النحو بالعلّة ، وعلّة العلّة . وقد هجن ذلك إبن جني ورآه أنه يؤدي إلى هجنة القول ، وضعفة القائل به(5) .

يستمر التطور مع ابن السرّاج بنقل المبادىء والأصول المدرسية البصرية ، ولكن مع تقديمه القياس على السماع ، بعد اهتمامه بالتعليل ، ويهاجم القياس على الشاذ ، والنادر ويدعو إلى تركه .

يحاول ابن السرّاج الإدلاء بدلوه في العمل النحوي ، ولذلك نراه يجيب بما يوافق تحليلاته ، مخالفاً أساتذته في الفروع التي يكون الحكم فيها بحسب وجهات النظر ، والدرجة العلمية الخاصَّة بكل عالم على حدة .

في آرائه تأثُّر بالعلوم العقلية الدخيلة خاصة مع معرفتنا بدراسته للمنطق ، ويظهر ذلك عبر تعليله بالعلّة ، وعلّة العلّة ، وعبر عنايته بالقياس ، ودفاعه عنه بطرق فلسفية .

المبرمان(6) :

سجَّله الزبيدي في الطبقة التاسعة لأخذه عن المبرّد .

---

(1) السيوطي ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، جـ ١ ص ٢٣٢ .
(2) الآية من سورة الأعراف ١٧٧/٧ .
(3) السيوطي ، **همع الهوامع على جمع الجوامع** ، جـ ١ ص ١١٨ .
(4) السيوطي ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** جـ ٢ ص ٤ .
(5) ابن جني ، **الخصائص** ، جـ ١ ص ١٧٣ بأسرها .
(6) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٢٥ والقفطي **إنباه الرواة على أنباه النحاة** جـ ٣ =

التعريف بـه :

هو صاحب المبرِّد وأكثر بعده في الأخذ عن الـزجَّاج ، يشتـرط إقراء كتـاب سيبويه بمئة دينار اسمه محمد بن علي بن إسماعيل ، يكنى أبـا بكر ، وهـو ساقط المروءة يتعمد أذية الناس بسوء أدبه توفي ٣٤٥ هـ .

علمـه :

ملم بالنحو ، أخذ عنه الفارسي ، والسيرافي ، وسوء أدبه صرف الناس عن علمه ، وتسجيل أخباره العلمية .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء .

التطوُّر الحاصل مع المبرمان :

لا يحكم به فقد تشاغل الرواة بنقل الأخبار عن سوء أدبه لا عن علمه . ولذا شحَّت أخباره العلمية جداً .

الغزاري[1] :

سجَّله الزبيدي في هذه الطبقة (التاسعة) ولم يعيِّن عمن أخذ .

التعريف بـه :

لم يترجم له بأكثر من أبي زرعة .

علمـه :

لم يصلنا عنه شيء .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء .

التطوُّر الحاصل مع الفزاري :

لا يمكن أن يُحكم به ، لعدم عثورنا على شيء من أخباره العلمية .

= ص ١٨٩ ـ ١٩١ السيوطي **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** جـ ١ ص ١٥٧ .

(١) الـزبيدي ، **طبقـات النحويين واللغـويين** ، تحقيق أبو الفضـل إبراهيم ، القـاهـرة ١٩٥٤ م ص ١٢٥ .

الأخفش الصغير[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة التاسعة ؛ لأخذه عن المبرَّد .

التعريف بـه :

هو أبو الحسن ، علي بن سليمان ، سُمي بالصغير تفريقاً له عن الكبير والأوسط المتقدِّم ذكرهما توفي ٣١٥ هـ .

علمـه :

من أفاضل علماء العربية ، أخذ فضلاً عن المبرَّد ، عن ثعلب ، والمعافى بن زكريا ، وعلي بن هارون ، وكان ثقة ، وكان إذا سُئل عن مسائل النحو يضجر كثيراً .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا عنها شيء غير الذي ذكرناه ، ولكنه معروف بخلط المذهبين ، وقد أشار ابن النديم إلى هذا .

التطوُّر الحاصل مع الأخفش الصغير :

يظهر أنه يُدرج في عداد المدرِّسين العادين ، ولم ينته إلينا من أخباره ما يغني .

ابن درَّستويه[2] :

سجَّله الزبيدي في هذه الطبقة (التاسعة) ، لأخذه عن المبرَّد .

التعريف بـه :

هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن درُّستوريه توفي ٣٤٧ هـ وفي الفهرست نيف وثلاثين وثلاثمائة .

علمـه :

فاضل أخذ عن ثعلب ، وعن المبرَّد ، متفنن في علوم كثيرة ، متعصِّب للبصريين عصبية شديدة ، وقد أطال ابن النديم في الحديث عن كتبه التي تدلُّ على سعة علومه .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٢٥ ، وابن النديم ، **الفهرست** ص ١٢٣ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٧٦ وياقوت **معجم الادباء** جـ ١٣ ص ٢٤٦ ـ ٢٥٧ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٢٦ وابن النديم ، **الفهرست** ص ٩٣ ، والقفطي ، **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ١١٣ والسيوطي ، **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٦ .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء .

التطوُّر الحاصل مع ابن درُستويه :

لا يمكن الحكم به للتعميم الحاصل في نقل الأخبار عنه .

أبو بكر بن أبي زهر[1] :

سجَّله الزبيدي من دون أن يعيِّن أخذه عن أحد ، ولم يترجم له غيره شيئاً غير اسمه .

التعريف بـه :

هو أبو بكر بن أبي زهر ، مستملي أبي العباس المبرَّد .

علمـه :

لم يردنا عنه شيء يذكر .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء .

التطوُّر الحاصل مع ابن أبي زهر :

لا يحكم به لانعدام الأخبار التي تمكِّننا من القيام بهذا العمل .

أبو بكر بن شقير[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة التاسعة دون أن يذكر أخذه عن أحد ، ولم يترجم له بشيء ونقل الزجَّاجي أنه المؤسس الثاني للمدرسة البغدادية بعد ابن كيسان .

التعريف بـه :

هو أحمد بن الحسين ، وقيل أحمد بن الحسن بن العباس بن الفرج بن شقير أبو بكر وقال الزبيدي ، محمد بن شقير توفي ٣١٧ هـ وقيل ٣١٥ هـ وقال ابن النديم : هو عبد الله بن محمد .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٢٧ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ١١٣ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٦٠ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٢٨ والأنباري **نزهة الالباء** ص ١٨٧ وابن النديم ، **الفهرست** ، ص ١٢٣ وياقوت **معجم الادباء** جـ ٣ ص ١١ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٣٠٢ والزجَّاجي ، **الإيضاح في علل النحو** ص ٧٩ .

علمـه :

عالم بالنحو ، خلط المذهبين حسب ابن النديم ، أخذ عن ابن ناصح ، وأخذ عنه ابن شاذان .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا عنه غير بعض الأخبار في أسماء كتب نحويه له .

التطوُّر الحاصل مع ابن شقير :

التطوُّر معه يظهر في تعمُّده خلط المذهبين : البصري ، والكوفي ، لإيجاد ما عرف فيما بعد بالمذهب البغدادي .

ابن الخيَّاط[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة التاسعة دون أن يعيّن عمن أخذ ، ودون ترجمة .

التعريف بـه :

هو محمد بن أحمد بن منصور ، أبو بكر المعروف بابن الخيَّاط من سمرقند توفي ٣٢٠ هـ .

علمـه :

كان يخلط المذهبين ، ناظر الزجَّاج ، وأخذ عنه الفارسي ، وله كتاب ذكره ابن النديم . يدلُّ على سعة علمه ، وقد ذكر الزجَّاجي أنـه المؤسس الثالث للمـدرسة البغدادية بعد تعمُّد خلطه المذهبي .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء غير خلطه لمذهبي البصرة والكوفة .

التطوُّر الحاصل مع ابن الخياط :

التطوُّر معه ارتدى شكل خلط مذهبي البصرة والكوفة ، الأمر الذي أوجد ما يسمَّى بالمذهب البغدادي .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٢٨ والأنباري **نزهة الالباء** ص ١٨٥ وياقوت **معجم الادباء** جـ ١٧ ص ١٤١ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٥٤ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤٨ .

- ١٠ -

الطبقة العاشرة ، والأخيرة عند البصريين

وتضم أخبار تسعة علماء هم : أبو الفهد ، والزجّاجي ، والسيرافي ، والفسوي ، والبغدادي ، والميدمي ، وأبو طاهر ، والكرماني ، وأبو علي إسماعيل بن القاسم .

أبو الفهد البصري[١] :

سجّله الزبيدي في الطبقة العاشرة ؛ لأخذه عن الزجّاج ، وابن الخياط .

التعريف بـه :

لم يترجم له بأكثر من أبي الفهد عند أحد.

علمه :

نحوي ، لغوي قرأ كتاب سيبويه على الزجّاج مرتين وفيه بله فقال له الزجّاج : أنت في الدفعة الأولى أحسن منك حالاً في الثانية .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء .

التطوّر الحاصل مع أبي الفهد :

لا يحكم به لندرة أخباره العامّة ، والخاصّة ، ويظهر أنه كان من المغمورين في النحو .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٢٩ ، وابن النديم ، **الفهرست** ١٢٦ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٢٤٩ .

أبو القاسم الزجّاجي[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة العاشرة ، لأخذه عن الزجَّاج رأس الطبقة التاسعة .

التعريف بـه :

أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسحق ، فارسي الأصل نشأ بنهاونـد وانتقل إلى بغداد حيث لازم الزجَّاج ونسب إليه توفي ٣٢٩ هـ[2] .

علمـه :

من أفاضل النحاة ، درس على ابن السرَّاج ، والأخفش الصغير ، ونفطويـه وابن دريد وأبو بكر ابن الأنباري ، وابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخيَّاط ، وهو صاحب كتاب الجمَل ، والإيضاح في علل النحو والأول كتاب مشهور جداً .

أشهر أخباره العلمية :

وهي متوفرة لانتهاء كتابه الإيضاح إلينا ، ومنها على سبيل المثال حديثه عن أقسام الكلمة وحدود الاسم ، والفعل ، والحرف . واقفاً مع الموضـوع الأول إلى جانب سيبويه ، والثاني إلى جـانب المبرَّد ، ومنهـا حديثـه عن أصل الاشتقـاق : المصدر أو الفعل ووقوفه إلى جانب البصريين ضد الكوفيين فيه ومنها حديثه عن الفرق بين النحو واللغة[3] ومنها ما خالف به البصريين والكوفيين كما في إعراب سوى ، فالبصريون يرون أنها ظرف دائماً ، والكوفيون يرونها أكثر الأحيان ظرفـاً ، وبعض الأحيان غير ظرف . أما هو فقد أعربها فاعلاً في جـاء سواك ، ومفعـولاً في رأيت سواك ، وبدلاً أو استثناء في ما جاء أحد سواك[4] .

التطوُّر الحاصل مع الزجَّاجي :

اتجه التطوُّر في النحو مع الزجَّاجي ناحية الخلط المتعمَّد بين مذهبي البصرة والكوفة بعد أخذه على علمـاء البلدين ، وقد اعتمـد في خلطه ذاك على المذهب الانتقائي القائم على اختيار ما يناسب عقله من فتاوى المدرستين ولذلك كثرت عنده

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٢٩ والأنباري **نزهة الألبّاء** ص ٢٢٧ والقفطي **انباه الرواة** جـ ٢ ص ١٦٠ والسيوطي **البغية** جـ ٢ ص ٧٧ .

(٢) اختلف في سنة وفاته فقيل أكثر من تاريخ ٣٢٧ هـ وقبل ٣٤٠ هـ وقيل ٣٢٩ هـ .

(٣) انـظر في آرائه هـذه مجتمعة ، **الإيضـاح في علل النحو** ، تحقيق مـازن المبـارك القـاهـرة ط ١٩٥٩ م وانظر أيضاً كتابه **الجمَل** وقد طبع مؤخراً .

(٤) السيوطي ، **همع الهوامع على جمع الجوامع** جـ ١ ص ٢٠٢ .

الآراء الخاصَّة به والتي بناها على التأثر بمعطيات الثقافة التي حصَّلها من فلسفة ، ومنطق ، وعلم كلام ، وجدل ، وفقه ، فضلاً عن علوم العربية وبعبارة أوضح التطوُّر النحوي مع الزجَّاجي هو : الاختيار المبني على الاجتهاد المحيط بأصول المذهبين ، والمستفيد من العلوم المستحدثة .

السيرافي(١) :

سجَّله الزبيدي في الطبقة العاشرة لأخذه عن ابن السرَّاج ، وعن ابن دريد .

التعريف بـه :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ، فارسي الأصل ، والمولد بغدادي الوفاة عام ٣٦٨ هـ .

علمـه :

أعلم الناس بنحو البصريين ، وهو معدوم النظير بالنحو لعصره ، قرأ القرآن على ابن مجاهد ، واللغة على ابن دريد ، وقرأ عليه الأخير النحو ، وهو قاض متفقّه ، عرض في كتابه الذي شرح فيه كتاب سيبويه آراء البصريين والكوفيين الذين تلوا سيبويه حتى أيامه هو مع انتصاره للبصريين ولسيبويه في مخالفيه من دون أن تفوته مخالفة سيبويه في بعض آرائه .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منها ما يفي بغرض الحكم على التطوُّر معه .

انتصر لسيبويه عند حديثه عن عنوان كتابه الذي شرح فيه «الكتاب» بقوله هذا «باب علم ما الكلم في العربية» ويعلق على أوجه الإعراب ، ويرد على الاعتراض على سيبويه ، في تحديداته ، كما فعل المازني في كلمات مجاري الكلم في العربية(٢) ومنها تعليله لما لم يعلِّل له النحاة مثل عدم جر المضارع كما جر الاسم بسبع علل(٣) ، وخالف سيبويه ووافق الأخفش في اعتبار كيف غير ظرف(٤) وكان

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٢٩ والأنباري ، **النزهة** ص ٢٢٧ والقفطي ، **إنباه الرواة** جـ ١ ص ٣١٣ وياقوت ، **معجم الأدباء** جـ ٨ ص ١٤٥ ـ ٢٣٢ .

(٢) شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، مصر ، دار المعارف ط ٤ ص ١٤٧ نقله عن كتاب تقريرات السيرافي على كتاب سيبويه .

(٣) م . ن . والصفحة نفسها في أسفلها .

(٤) السيوطي ، **همع الهوامع** ، جـ ١ ص ٢١٤ .

يقول : إن كان الزائدة في ما كان أكرم زيداً تامّة ، وفاعلها المصدر الدالة هي عليه . أي كان الكون[1] ، وهذا مخالف لقول الجمهور .

وكان يمنع دخول لام الابتداء على خبر أن المفتوحة . كما تقدَّم مع المبرِّد[2] ، في مثل «إنك لبحمد الله لناجح» ، محتجاً بدخولها على الخبر نفسه[3] ، ولكنه لم يمنع دخول هذه اللام على السين في التعبير لسوف أقوم[4] .

وقد أكثر تخريجه لوجوه الإعراب كما في الآية : ﴿**لكن الراسخون في العلم منهم ، والمؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة ، والمؤتون الزكاة**﴾[5] . حيث يخالف الخليل بقوله إن ﴿**المقيمين**﴾ مجرورة بالعطف على ما فتكون . . . بما أنزل إليك ، وما أنزل من **قبلك** . . . وبالمقيمين . . . بينما رأى الخليل أنها منصوبة بتقدير واذكر المقيمين[6] .

التطوُّر الحاصل مع السيرافي :

يتابع التطوُّر خط سيره مع السيرافي بشكل يدافع معه هذا العالم عن مدرسته البصرية ، مؤكداً أصولها التي قامت عليها ، منافحاً عن تلك الأصول أمام من ينتقص منها من الكوفيين .

كذلك يحاول السيرافي إيجاد دور لنفسه في موضوع التعليل ، بالحديث عن العلل التي لم يعلِّل لها النحاة ، وهي في بعض منها غريبة أو غير مفيدة ، لعدم الحاجة إليها كما في المثل أدناه .

كذلك يحاول ترسيخ دوره في عملية الاحتجاج لوجوه الإعراب التي يراها . وهذا ما أدَّى به إلى مخالفة سيبويه ، والخليل ، من باب الاجتهاد عند اضطراره إلى تخريجات إعرابية جديدة .

---

(١) م . ن . جـ ١ ص ١٢٠ .
(٢) الصفحة ٥٤ من هذا الكتاب مع المبرّد .
(٣) السيوطي ، **همع الهوامع** ، جـ ١ ص ١٣٩ .
(٤) م . ن . جـ ٢ ص ٧٢ .
(٥) الآية من سورة النساء ١٦٢/٤ .
(٦) السيرافي ، **تقريرات السيرافي على كتاب سيبويه** ، جـ ١ ص ٢٤٩ .

الفسوي[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة العاشرة تحت عنوان أصحاب ابن السرَّاج .

التعريف بـه :

هو أبو علي الفسوي ، قال ياقوت : اسمه زيد بن علي بن عبد الله وكنيته أبو القاسم ، كان عند سيف الدولة ثم انتقل إلى بغداد ليؤدِّب أولاد أخ الديلمي ، ثم توجَّه إلى شيراز مات في طرابلس الشام عام ٤٦٧ هـ .

علمـه :

لم يصلنا عنه شيء يغني .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا عنها شيء ، نقل ياقوت إنه شرح **ديوان الحماسة** ، **والإيضاح في النحو** لأبي علي الفارسي .

التطوُّر الحاصل مع الفسوي :

لا يحكم به للتعميم في نقل الأخبار لدى أصحاب التراجم ، والطبقات ، والوفيات .

علي بن عيسى البغدادي[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة العاشرة ؛ لأخذه عن الزجَّاج وابن السرَّاج ، ولم يترجم له بشيء .

التعريف بـه :

من كبار النحاة ، اسمه أبو الحسن ، المعروف بالرمَّاني ، والورّاق ، والإخشيدي ، باحث معتزلي مفسِّر ، أصله من سامرَّاء ومولده ووفاته ببغداد ٧٨٤ هـ .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ١٣٠ ، وياقوت **معجم الأدباء** جـ ٤ ص ٢٢٤ ، والسيوطي **البغية** جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٢) الزبيدي ؛ **طبقات النحويين** ص ١٣ دون ترجمة ، والأنباري **نزهة الالباء** ص ٢٤٩ ، والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٢٩٤ وياقوت ، بمعجم الأدباء جـ ١٤ ص ٧٣ ـ ٧٨ السيوطي ، **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ١٨١ . وهو غير البغدادي الربعي الذي يحمل الاسم نفسه لأن الربعي من شيراز وقد تلمذ للفارسي أيضاً والأخير مشهور بقتل الكلاب وله حادثة في هذا مع ابن جني ، والعموم يخلطون بينهما .

علمه :

عالم بالنحو ، من الكبار في النحو ، والكلام ، والصرف ، والتأليف ، وهو بغدادي من طبقة الفارسي والسيرافي .

أشهر أخباره العلمية :

لم ير مثله قط علماً بالنحو ، وغزارة الكلام ، واستخراجاً للعويص ، وإيضاحاً للمشكل مع نزاهة ، ودين ، وعفاف ، وفصاحة ، كان يمزج النحو بالمنطق والفلسفة . حتى قال أبو علي الفارسي : «إن كان النحو ما يقوله الرّماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله فليس معه منه شيء» .

التطوُّر الحاصل مع البغدادي :

من خلال ما انتهى إلينا عنه يمكننا القطع أن التطوُّر مع البغدادي واضح الدور بيّن ، وعليه نحكم بما يلي :

١ ـ هو واحد من هؤلاء الذين عملوا بمذهب الانتقاء من مدرستي : البصرة والكوفة ، وعليه فهو بغدادي وقد أيَّد ذلك ابن النديم[١] وأبو علي الفارسي[٢] .

٢ ـ هو واحد من الكبار الذين أجهدوا أنفسهم ليتركوا الأثر البيّن الخاص بهم على النحو ومناهجه في التفكير ، والتأثُّر بالأساليب المختلفة من عقليَّة ، ونقلية وشخصية .

٣ ـ هو واحد من هؤلاء الذين تأثَّرت مناهج البحث عندهم بالمنطق ، والفلسفة والعلوم الدخيلة . والدليل على ذلك شهادة أبي علي الفارسي بعلمه .

أصحاب الأخفش الأصغر :

وهم الميدمي ، أبو طاهر ، الكّرماني ، أبو علي البغدادي .

الميدمي[٣] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة العاشرة تحت اسم أصحاب علي بن سليمان أحد أفراد الطبقة التاسعة .

---

(١) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ٩٤ .

(٢) نقل هذا الأمر القفطي ، في **إنباه الرواة** جـ٢ ص ٢٩٤ والسيوطي ؛ **بغية الوعاة** جـ٢ ص ١٨١ .

(٣) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٣٠ ولم يترجم أحد غيره له .

التعريف بـه :

لم أعثر له على ترجمة تذكر .

علمـه :

لم يصلنا عنه شيء .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصل إلينا منها شيء .

التطوُّر الحاصل مع الميدمي :

لا يحكم به .

أبو طاهر[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة العاشرة ، لأخذه عن سيبويه .

التعريف بـه :

هو أبو عبد الله بن عمر بن محمد بن أبي هاشم المقرىء توفي ٣٤٤ هـ .

علمـه :

لم ير بعد ابن مجاهد مثله ، وأشار الزبيدي إلى أنه كوفي المذهب (وهذا غير صحيح) .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها غير أنه من أصحاب ابن درُستويه .

التطوُّر الحاصل مع أبي طاهر :

الغالب أنه كان يخلط المذهبين ، لأن الزبيدي أشار إلى أنه كوفي المذهب بعد أن أشار إلى أنه من أصحاب ابن درستويه . وعليه يسلك مع المجدِّدين الذين حاولوا أن يخطوا بالنحو خطوات مهمة نحو الإمام قائمة على الانتقاء ، والاختيار المصحوب بالاجتهاد ، والمدعوم بالعلل .

الكرماني[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة العاشرة ؛ لأخذه عن ابن درُستويه .

---

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٣ .

(٢) الزبيدي ، طبقات النحويين ص ١٣١ وياقوت معجم الادباء جـ ٧ ص ١٩ ـ ٣٣ السيوطي بغية =

التعريف بـه :

هو محمد بن عبد الله بن موسى ، أبو عبد الله بن موسى ، أبو عبد الله الرمَّاني المعروف بالورَّاق ، المتوفى ٣٢٩ هـ .

علمـه :

عالم باللغة والنحو ، يورِّق بالأجرة قرأ على ثعلب فضلاً عن ابن درستويه ، وكان يخلط المذهبين .

أشهر أخباره العلمية :

خلطه لمذهبي البصرة والكوفة .

التطوُّر الحاصل مع الكرماني :

يتابع الكرماني طريقة أبناء طبقته بالخلط بين مذهبي البصرة ، والكوفة باعتماد مذهب الاختيار الموافق لطبيعة العالم . وهذا هو التطوُّر المهم معه .

أبو علي البغدادي[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة العاشرة ، لأخذه عن ابن درستويه وهو من أصحابه الذين عرفوا به .

التعريف بـه :

هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون المعروف بالقالي ، أخذ عن ابن درستويه والزجَّاج ، والأخفش الصغير ، ونفطويه ، وابن دريد ، وابن السرَّاج ، وابن الأنباري ، وابن أبي الأزهر ، توفي بقرطبة عام ٣٥٦ هـ .

علمـه :

أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب ، رحل إلى الأندلس ، وهو أعلم أهل زمانه بنحو البصريين وعليه تلمذ الزبيدي صاحب الطبقات .

أشهر أخباره العلمية :

نقل الزبيدي عنه مناصرته المطلقة لسيبويه وكتابه مع إظهار فضل البصريين عامة وإظهار فضل سيبويه على غيره .

= **الوعاة** جـ ١ ص ٦٠ وهو غير الكرماني محمود بن حمزة المتوفي ٥٠٠ هـ والمعروف بتفسيره الغريب للقرآن راجع في ترجمة الأخير ، الزركلي ، **الاعلام** جـ ٧ ص ١٦٨ .

(١) المقرَّي **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** ، جـ ٢ ص ٨٥ ، ولابن خلكان **وفيات الأعيان** جـ ١ ص ٧٤ ، **وإنباه الرواة** جـ ١ ص ٢٠٤ .

التطوُّر الحاصل مع البغدادي أبي علي :

يتجه التطوُّر معه اتجاهاً خاصاً ناصر فيه أبناء مدرسة البصرة بعصبية ملحوظة دون أن يفكِّر في التفرُّد بمواقف علمية خاصة وعليه نقول في وصف التطوُّر معه :

١ ـ تعصُّب للبصريين في مواجهة الكوفيين ، بشكل عنيف ، وهذا من التأثُّر بالتمذهب في النحو القائم على القناعة التامَّة بأفضلية من أخذ عنهم وتفوُّقهم على غيرهم .

٢ ـ تعصب لسيبويه بشكل خاص على من خالفه عامة ، ومن خرج عليه من البصريين خاصة وهذا شيء مميز عنده .

٣ ـ أقام الحجج المنافحة عن سيبويه ، واحتج بالعلل ، لما جاء به من فكر وآراء مدافعة عن سيبويه .

الفصل الثالث

التطور مع مدرسة الكوفة :

كما حاول البحث ، أن يركِّز وجهة نظر خاصة به مع مدرسة البصرة النحوية ، ونشأتها ، وتطوُّرها انطلاقاً من الواقع الكائن لا المتصوَّر . يتابع عمله مع مدرسة الكوفة ، محاولاً اختراق الحجب الموضوعة ، والموانع المصطنعة المانعة من الوصول إلى الحقيقة إيماناً منه بمغايرة الشائع المنتشر للواقع العلمي الكائن . حيث يرى أن مدرسة الكوفة قد برزت إلى الوجود ببدايات ترافق خلافة علي وإقامته في الكوفة كحاضرة للخلافة . بدليل مباحثة الدؤلي لعلي بن أبي طالب في النحو أثناء خلافته بعد أن خاطبه بأمير المؤمنين كما تقدَّم(١) ، ودليل استحالة عزل الكوفة عن الموضوع علماً أنه حدث على أراضيها ، لا لشيء إلّا لتقديم البصرة عليها التي لا ينتمي إليها الدؤلي انتماء الإنسان إلى الوطن ، وإنما ينتمي إليها انتماء المقيم الساكن. . .(٢) ولكن ومع خلو أيدينا من الوثائق التي تتحدث عن البدايات الأولى لمدرسة الكوفة ، ومع انعدام وجودها ، أصلاً يُعتمد عليه كحجة سندية دامغة يمكننا بواسطتها تأكيد صحة هذه البدايات التي رافقت دور البصرة فيها ، لا يسعنا إلا الرضوخ لأمر الحقيقة الواقعة ، والإقرار بقصر إمكاناتنا عن معرفة ما حدث في تلك البدايات ، ومدى تأثُّرها بعمل الدؤلي الرائد ، ومدى اكتسابها من توجيه الإمام علي للدؤلي بشكل خاص ، ومدى علاقتها بمبادىء أبي الأسود التي نشرها في النحو ،

(١) بحث هذا الأمر بالتفصيل في الصفحة ١٥٢ ـ ١٥٣ من كتابنا نشأة النحو حيث الإحالة إلى مصدر الرواية .

(٢) هذا الموضوع مما تقدَّم في الصفحات ١٢٠ ـ ١٢٤ وحول انتماء الدؤلي بشكل خاص .

ومدى ما لحقها من تطوُّر حتى غدت قائمة بنفسها مستقلَّة أيام الرؤاسي[1] ، والهرَّاء[2] ، والكسائي[3] ، والفرَّاء[4] ، وهذا من دون أن تفوتنا الإشارة إلى خطأ ، وابتعاد الباحثين المتأخرين ، والمحدثين ، والمعاصرين تحت تأثير الأقدمين ، وآرائهم في الموضوع الخلافي بين البصرة والكوفة ، في استنتاجاتهم ، وميلهم بها عن جادة الصواب حيث أرجعوا الأمر في تلك البدايات إلى أيام الرؤاسي ، والهرَّاء ، بل تجاوزوا ذلك إلى عدّهما شقًّا عصا الطاعة من دون فائدة تذكر ، وأن المؤسسين الحقيقيين للنحو الكوفي هما : الكسائي ، والفرَّاء[5] .

هذه هي الحال مع المتقدمين ، والمتأخرين وقد ساءت هذه الحال مع المتأخرين ، لأنهم قبلوا ما وصلهم من دون أن يعملوا فيه أنظارهم عبر مناهجهم المستجدّة التي أعوزت المتقدمين، ومن دون تحقيقه بعد تخلّصهم من روح العصبية التي سيطرت على المتقدمين في أبحاثهم؛ ولذا وقعوا في الاضطراب الذي طبق أبحاث المتقدمين ، ذلك الاضطراب الذي يبرَّر بالعصبية قديما ، بينما يستحيل تبريره حديثاً . فقد اعترف البصريون - كما هو معلوم - للكوفيين بالتقدُّم في مجال رواية الشعر[6] ، وقراءة القرآن[7] ، ودراسة الفقه[8] ، وأنكروا عليهم معرفتهم بالنحو العلمي حتى أيام الرؤاسي ، والهرَّاء ، أو الكسائي ، والفرَّاء . رغم استحالة العمل بهذه المقولة لمناقضتها لطبائع الأمور . إذ كيف تمارس هذه العلوم وتدرس ، وتكتب من دون المبادىء التي لا تستغني عنها في النحو ، واللغة خاصة في مجال القراءات واختلافها الأمر الذي يستدعي إحاطة بأمور اللغة ، والنحو ، وقد كان للكوفة فيه ثلاثة

---

(١) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .

(٢) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٧ من هذا الكتاب .

(٣) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

(٤) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب .

(٥) هذا هو رأي المتقدمين بمجملهم ولم يشذ عنه واحد منهم ولا ندري سبب ميلهم إلى تقديم البصريين وبه أخذ أغلب المحدثين أمثال شوقي ضيف ، وإبراهيم مصطفى ، وسعيد الأفغاني ، وأحمد أمين ، وغيرهم كثير .

(٦) شوقي ضيف ، **تاريخ الأدب العربي** ، **العصر الإسلامي** ط ٥ ص ١٩٩ - ٢٠٠ **والعصر الجاهلي** ط ٦ ص ١٤٨ - ١٥٨ بعنوان رواة محترفون ففيه توسع ومعالجة شاملة **ومراتب النحويين** ، للغوي ص ٧٤ .

(٧) صبحي الصالح ، **مباحث علوم القرآن** ، ص ٢٤٧ - ٢٥٨ .

(٨) فيليب حتي ، **تاريخ العرب المطول** ، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ البصرة ، والكوفة . . .

من الكبار السبعة المشهورين وهم : عاصم بن أبي النجود المتوفى ١٢٨ هـ[١] وحمزة بن حبيب الزيات المتوفى ١٥٦ هـ[٢] والكسائي المتوفى ١٧٩ هـ[٣] . والثلاثة من الموالي الذين يحتاجون إلى علم النحو ، لفقدانهم عنصر السليقة !

طبيعي والحال هذه أن تكون البدايات النحوية الكوفية متقدِّمة على أيام الرؤاسي ، والهرَّاء ، ومن تبعهما لوفاة عاصم المبكرة ، وطبيعي أن يحكم بهذا . وإن أعوزتنا الوثائق ، لأن ممارسة العلوم من فقه ، ورواية شعر ، وقراءة قرآن لا تكون من دون معطيات لغوية ، ونحوية سابقة عليها لأن هذه العلوم لا تمارس من دونها ـ كما هو واضح ـ ولذلك يمكننا أن نجزم بصدق الرواية التي نقلها ابن النديم[٤] عن الرؤاسي ، وفيها قوله : «بعث إلي الخليل يطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه ، ووضع كتابه»[٥] . مؤكدين أن هذا ليس حديث خرافة على الإطلاق . كما يمكننا أن نجزم بتقدُّم علم النحو عند الكوفيين على الرؤاسي والهرَّاء ، وأن كتاب الرؤاسي الآنف الذكر ليس إلَّا حلقة من حلقات التطور في البناء النحوي الكوفي المستفيد من بدايات الدؤلي ، وأنه رافق مرحلة عيسى بن عمر ، وكتابيه . والدليل الأقوى على صحة هذه الأمور مجتمعة هو رحيل الرؤاسي إلى البصرة للاطلاع على ما أنتجه البصريون بعد اشتهارهم بالموضوع ثم مفارقته لهم بعد أن رأى خلافاً مع ما كان عنده من أصول ، وفروع نضجت لاحقاً بعده ، وبعد الهرَّاء مع الكسائي ، والفرَّاء . كما يمكننا أن نجزم أن التطوُّر النحوي عند الكوفيين سار جنباً إلى جنب معه عند البصريين ، لاستحالة الفصل بينهما ويؤيد ذلك رواية ابن النديم حول كون «الرؤاسي أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو»[٦] وهذا يعني مرافقة عمل الرؤاسي لعمل عيسى بن عمر كما تقدَّم بعد أن أكد طلب الخليل من الرؤاسي كتابه للزمالة الجامعة بينهما عند الأخذ عن عيسى حصول هذا الأمر أي وجود الكتاب قبل ذلك الأخذ ، وإلَّا فما حاجته به !

---

(١) هو عاصم بن بهدلة ويكنى أبا بكر مولى بني خذيمة ، أحد القراء السبعة المشهورين راجع فيه **الاعلام** جـ ٣ ص ٢٤٨ .

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات ، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي وأحد القراء السبعة راجع فيه **الأعلام** جـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) التعريف به في حاشية الصفحة ٤٨ من هذا الكتاب وهو أحد القراء السبعة راجع فيه **الاعلام** جـ ٤ ص ٢٨٣ .

(٤) التعريف به في حاشية الصفحة ٨٢ من كتابنا نشأة النحو العربي .

(٥) ابن النديم ، **الفهرست** ص ٩٦ أخبار الرؤاس السطر ١٦ .

(٦) ابن النديم ، **الفهرست** ص ٩٦ أخبار الرؤاسي السطر ٩ .

وختاماً يمكننا القول إنه لا يمكننا الحديث عن مدرسة كوفية تتعمَّد مخالفة المدرسة البصرية قبل الرؤاسي ، والهرَّاء شأننا عند معالجتنا لموضوع مدرسة البصرة ، ومخالفتها المتعمَّدة للكوفة[1] . لأنه لا يسعنا أن نغفل حقيقة ممارسة الكوفيين لكتابة العلوم الفقهية ، ورواية الشعر ، وقراءة القرآن من دون مبادىء نحوية معينة يعتمدون عليها في محاوراتهم ، ويصدرون عنها في روايتهم للشعر ، وقراءتهم للقرآن خاصة حيث كان لهم من بين القراء السبعة المشهورين ثلاثة . وهذا إن دل على شيء فهو يدل على إلمامهم المبكِّر بقواعد النحو ذلك الإلمام الذي مكَّنهم من الاختصاص في قراءة آي الذكر الحكيم لأنه لا بدَّ للمتفرِّد الذي يطلب الاختصاص بقراءة خاصة به ، من حجج يبرّر بها خروجه على قراءة غيره ، وسابقه وهذا لا يكون إلَّا بالإبداع النحوي الملم بالدقائق ، والفروع فضلاً عن الأصول وهذا يؤكد أن ارتحال الرؤاسي كان لشيئين : إما لاستطلاع ما يملكه البصريون ، وإما للتزوُّدِ بعلومهم بعد شهرتهم بها . ولكن عودته ، ونصَّه على بداية الخلاف ، تؤكِّد أمر الاستطلاع لغاية في نفس يعقوب . وهذا ما يدعونا إلى رفض أو عدم الاطمئنان لكل ما شاع عن مدرسة الكوفة في النحو ، إلَّا بعد إخضاعه لنظام خاص لمعرفة مدى صدقه ، وتجرُّده وعلى رأس ذلك الخبر الذي توسَّع المتقدمون ، والمتأخرون ، في الاعتماد عليه ، والذي كان من أهم ما اشتهر في الموضوع ، وقد نقله اللغوي[2] عن السجستاني البصري[3] وفيه «كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي ، وهو مطروح العلم ليس بشيء» .

---

(١) هذا مما مر في الصفحات ١٢٠ ـ ١٢٤ من هذا الكتاب خاصة في الصفحة الأخيرة .

(٢) التعريف به في حاشية الصفحة ٨١ من كتابنا نشأة النحو وخبره ورد في كتابه مراتب النحويين ص ٢٤ .

(٣) التعريف به في حاشية الصفحة ١٤٧ من هذا الكتاب .

- ١ -

الطبقة الأولى

وتضم أخبار ثلاثة علماء هم : أبو جعفر الرؤاسي ، معاذ الهرّاء ، وأبو مسلم مؤدب عبد الملك .

الرؤاسي[١] :

سجّله الزبيدي أساس الطبقة الأولى عند الكوفيين وأيّد ذلك ابن النديم في الفهرست والأنباري في نزهة الألبّاء والقفطي في إنباه الرواة وياقوت في معجم الأدباء ، والسيوطي في بغية الوعاة .

التعريف به :

هو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي ، ويقال محمد بن أبي سارة . لقب بالرؤاسي لعظم رأسه ، وكبره ، وهو أستاذ أهل الكوفة في النحو ، ولا سيما أستاذ الكسائي ، والفرّاء .

علمه :

أستاذ الكوفيين ، وهو أعلم الكوفيين بالنحو ، كما حدّث الكسائي .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها غير أخذه عن عيسى بن عمر ، وعن أبي عمرو بن العلاء إن صح ذلك كما نقل ابن النديم أسماء كتب له تدل على علم عنده ، خاصة ذلك الذي

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٣٥ والأنباري نزهة الالباء ص ٥٠ والقفطي انباه الرواة جـ ٤ ص ٩٩ وياقوت معجم الادباء جـ ١٨ ص ١٢١ ـ ١٢٥ والسيوطي بغية الوعاة جـ ١ ص ٨٢ .

استعان به الخليل بن أحمد . كما تدل المناقشة التي حدثت بين الفراء ، والكسائي ، حول مسائل الرؤاسي والتي نقلها الفهرست .

التطوُّر الحاصل مع الرؤاسي :

اعتماداً على ما انتهى إلينا من أخبار عن الرؤاسي وهي الواردة أدناه يمكننا الجزم بما يلي :

١ ـ الرؤاسي أعلم الكوفيين لعصره .

٢ ـ الرؤاسي حلقة من سلسلة النحاة الكوفيين ، وعمله مرحلة من مراحل التطوُّر النحوي الكوفي .

٣ ـ خبر وضعه لأوَّل كتاب عند الكوفيين يدل على وراثته لعلمهم في الموضوع ، وعلى تمكّنه من الإحاطة بما أنتجوه حتى أيامه .

معاذ الهراء[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الأولى من نحاة الكوفة وأيده في ذلك الأنباري في نزهة الألبَّاء ، والقفطي في إنباه الرواة ، والسيوطي في بغية الوعاة .

التعريف به :

هو معاذ بن مسلم الهراء ، يكنى أبا مسلم وقيل أبا علي وهو مولى ، وقيل أنه عم الرؤاسي وسكت ابن النديم عن هذا توفي ١٨٧ هـ حسب الفهرست ، ووفيات الأعيان .

علمه :

قيل إنه اختلف إلى البصرة مثل الرؤاسي ، وهو أستاذ الكسائي أيضاً . ونسب إليه ابتداع علم التصريف .

أشهر أخباره العلمية :

ما وصلنا عنه عند حديثه إلى رجل ناظره في النحو فقال معاذ له : كيف تقول من تؤزرهم أزاً ، يا فاعل إفعل ، وصلها بـ ﴿**وإذا الموؤدة سئلت**﴾[2] .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٣٥ والانباري **نزهة الالباء** ص ٥٠ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٢٨٨ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٢٩ .

(٢) الجواب يا آز ، أز ، ويا وائد ، إد والآية من سورة التكوير ٨/٨١ .

التطوُّر الحاصل مع الهراء :

الأخبار التي وصلتنا عن الهرَّاء ليست كافية للحكم على التطوُّر معه . كونها شحيحة جداً ولكن قال فيه السيوطي إنه مبدع علم التصريف اعتماداً على مسألة وردت في ذلك عنه . وهذا غير بعيد !

أبو مسلم[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة الأولى من نحاة الكوفة ، وقد أيَّد القفطي في الإنباه ذلك ، كما أيَّده السيوطي في بغية الوعاة .

التعريف بـه :

هو مؤدِّب عبد الملك بن مروان ، ولم ينقل عنه أكثر من هذا في كتب التراجم التي ذكرته .

علمـه :

نظر في النحو فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه ، وأنكره فهجا أصحاب النحو فقال :

قد كان أخذهم من النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

أشهر أخباره العلمية :

هجاؤه للنحو ، والنحاة عند سماعه كلام الهرَّاء المتقدم مع من يحاوره في يا آز ، أز ويا وائد إد .

التطوُّر الحاصل مع أبي مسلم :

لا يحكم به للتعميم الحاصل في نقل أخباره .

---

(١) التعريف به في الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٣٦ ، والقفطي إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ ٣ ص ٢٨٨ ـ ٢٩٥ والسيوطي بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٩٠ .

- ٢ -

الطبقة الثانية

الكسائي[١] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثانية من الكوفيين ، لأخذه عن الرؤاسي أستاذ الكوفيين .

التعريف بـه :

هو علي بن حمزة الكسائي يكنى أبا الحسن ، مولى بني أسد ، دخل الكوفة وهو غلام . أخذ عن الرؤاسي ، والهرَّاء ، ويقال إن الأخير هو الذي لقَّبه الكسائي على ما نقله ابن النديم ، توفي بالري ١٩٧ هـ ونقله غيره ١٨٩ هـ[٢] .

علمـه :

أحد القراء السبعة المشهورين ، وأستاذ الفرَّاء ، فصيح اللسان خالط البصريين ، وأخذ عن علمائهم أمثال أبي عمرو بن العلاء ، ويونس ، والخليل ، ورحل إلى البوادي ، وشافه الأعراب ، وهو عالم أهل الكوفة ، وإمامهم . إليه ينتهون بعلمهم ، وعليه يعولون في روايتهم وقد صدَّره يونس مكانه في حلقة الخليل بعد

---

(١) الزبيدي **الطبقات** ص ١٣٨ والأنباري **نزهة الألبَّاء** ص ٥٨ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٢٠٦ وياقوت **معجم الأدباء** جـ ١٣ ص ١٦٧ - ٢٠٣ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ١٦٢ وابن النديم **الفهرست** ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) هذا التاريخ أيَّده الجميع وخالفه ابن النديم ، وعنينا بالجميع أصحاب كتب الطبقات أعلاه ، وراجع **الاعلام** جـ ٤ ص ٢٨٣ .

عودته من البادية إلى البصرة إثر موت الخليل ، ومناظرته : ليونس في مسائل أقرَّ له فيها ، وصدَّره في موضعه[1] .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منها ما يقدم لنا صورة وافية تمكننا من الحكم على دوره في النحو .

ـ منها ما مر آنفاً حول خلافه مع الأصمعي في تحريك «رئمان أنف» برفع رئمان أو نصبها ومنها ما كان بينه ، وبين اليزيدي في «لا يكون المهر مهر» ومنها بل أشهرها أمره مع سيبويه ، والمسألة الزنبورية[2] .

ـ ومنها ما مر أيضاً بينه ، وبين اليزيدي أبي محمد من «إن من خير القوم . . . »[3] .

ـ ومنها ما نقله ياقوت[4] عنه مع القاضي أبي يوسف حيث انتفص القاضي من مكانة الكسائي لانشغال الرشيد به ، وهنا يُضحك الكسائي الرشيد بعد أن يتحدَّى القاضي في الفقه ليسأله عن قول القائل لزوجته بالطلاق إن دخلت الدار ليجيب القاضي : إنِ دخلت الدار طلقتِ بكسر همزة إن ، وليردَّ الكسائي بفتحها ، ليصبح الطلاق واجباً بمجرد الدخول إلى البيت لأنه لا يجب إذ لم تدخل .

التطوُّر الحاصل :

من خلال ما تقدَّم من أخبار علمية مع الكسائي ، وما ورد أدناه يمكننا الحكم بالتطوُّر التالي معه :

١ ـ الكسائي هو الإمام الذي مكَّن للنحو الكوفي بناءه القريب من الكمال بما تمكَّنٍ منه من إلمام بمسائل الكوفيين بعد أن درسها على الرؤاسي ، والهرَّاء . وبعد أن اطَّلع على آراء البصريين وبعد أن رحل إلى البوادي وسمع عن الأعراب . مما قيض له أرضية اعتمد عليها في إرساء مبادىء المدرسة الكوفية في النحو .

٢ ـ هو العالم الكوفي الأوَّل الذي استطاع ، أو قل تعمَّد مجابهة البصريين على أساس المخالفة القائمة على التمذهب في النحو في مختلف الأمور ، والمسائل بما ملكه من ملكات ومواهب ، وسماع ، وفصاحة ، وعلم .

(١) ياقوت الحموي ، **معجم الادباء** ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٢٣ ـ ١٩٢٦ م جـ ١٨ ص ١١ ـ ١٢ .
(٢) في هذه الأمور مجتمعة ما مرَّ في الصفحة ٩٢ من هذا الكتاب .
(٣) متن الصفحة ١٥١ من هذا الكتاب حيث المسألة بالتفصيل .
(٤) ياقوت الحموي ، **معجم الادباء** جـ ١٣ ص ١٨٥ .

٣ ـ اعتمد الخلاف مع الكسائي على مبادىء وحجج علمية ، وليس على شهوة المخالفة ، والدليل على ما كان في قضية «رئمان أنف» في البيت :

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رئمان أنفٍ إذا ما ضن باللبن

حيث يجيب الكسائي الأصمعي ، بأنه يجوز الرفع بالرد على ما فيصير ، أم كيف ينفع رئمان أنف ، ويجوز النصب بتعطي ، فيصير تعطي رئمان ، ويجوز الخفض بالرد على الهاء التي في به[1] .

٤ ـ قياسه على القليل ، لسماعه عن العرب كما كان مع سيبويه ، وعرب «الحطمية» والمسألة الزنبورية ، لا كما ذهب البصريون بأنه رشاهم ، أو اعتمد الشاذ ، والنادر ، وهذه تخريجات غير علمية[2] .

٥ ـ من التطوُّر معه وضع القواعد باعتماد ما جاء في الذكر الحكيم بالاحتجاج بالقراءة ، أو بالقياس على ما ثبت إعرابه مثل العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض ، أو العطف على اسم إن قبل تمام الخبر[3] .

---

(١) ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** جـ ١٣ ص ٨٣ .
(٢) الأفغاني ، **في أصول النحو** ص ١٥١ وشوقي ضيف ، **المدارس النحوية** ، ٥٨ ـ ٥٩ و ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٣) متن الصفحة ٦٦ من هذا الكتاب حيث الآيات والتعليق .

- ٣ -

الطبقة الثالثة

وتضم أخبار تسعة علماء هم : الفرَّاء ، والقاسم بن معن ، والأحمر ، وهشام الضرير ، وأبو طالب المكفوف ، وسلمويه ، وإسحق البغوي ، وأبو مسحل ، وقتيبة النحوي .

الفرَّاء[1] :

سجَّله الزبيدي في رأس الطبقة الثالثة ؛ لأخذه عن الكسائي ، واختصاصه به بعد الرؤاسي .

التعريف بـه :

هو يحيى بن زياد الفرَّاء يكنى أبا زكريا ، مولى بني منقَّر . كوفي المولد ، وهو من لُقب بأمير المؤمنين في النحو . لأنه أبرع الكوفيين في النحو توفي ٢٠٧ هـ .

علمـه :

هـو وارث علم الكوفيين في النحـو بعـد الكسـائي ، روى عن الكسـائي ، والرؤاسي والهرَّاء ، وروى عنه سلمة بن عاصم ، ومحمد بن الجهم .

أشهر أخباره العلمية :

ما نقله ابن النديم عنه في رسمه لحدود النحو ، وهي فريدة بديعة[2] ومنها ما

---

(١) الزبيدي **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٤٣ ، وللأنباري **نزهة الالباء** ص ١٨١ ، ولابن النديم **الفهرست** ص ٩٨ - ١٠٠ وليـاقوت **معجم الأدباء** جـ ٢٠ ص ٩ - ١٤ وللقفطي **انباه الرواة** جـ ٤ ص ١ - ١٧ وللسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٣٣ .

(٢) ابن النديم **الفهرست** ، ص ١٠٠ .

مر ذكره حول علامات الإعراب ، واشتقاق المصدر من الفعل لا الفعل من المصدر كما يذهب البصريون ، وإعراب الأفعال ، وأنها أصل فيها كما الاسماء ، وقسمته للأفعال إلى ماض ، ومضارع ، ودائم[1] ومنها ما نقله الزبيدي عنه في حديثه عن كلا وهي عند الخليل اسم بينما هي عند الفرَّاء بين الأسماء ، والأفعال ، فلا حكم عليها بالاسم ، ولا بالفعل ، فلا أقول : إنها اسم لأنها حشو في الكلام ، ولا تنفرد كما ينفرد الاسم . واشتبهت الفعل لتغيرها في المكني ، والظاهر . لأني أقول في الظاهر رأت كلا الزيدين ، ومررت بكلا الزيدين ، وكلمت كلا الزيدين ، فلا تتغير . أقول في المكني رأيتهما كليهما ، ومررت بهما كليهما ، وقام إلي كلاهما . فأشبهت الفعل لأني أقول قضى زيد ما عليه ، فتظهر الألف مع الظاهر ، ثم أقول قضيت الحق فتصير الألف مع المكني ياء .

ومنها مخالفته لسيبويه ، والخليل في تسمية المصطلحات ، في عمل هذا عمل كان ولذا أسماء التقريب[2] ، وتسميته الواو التي يأتي بعدها مضارع منصوب ، أو مفعول معه ، بواو الصرف[3] .

ومنها مخالفته لأستاذه الكسائي . في إعراب الآية ﴿**فآمنوا خيراً لكم**﴾[4] فالكسائي يعربها منصوبة بإضمار يكن. وقال الفرَّاء إنها مفعول مطلق بتقدير آمنوا إيماناً خيراً لكم فهي صفة للمصدر المحذوف رادًّا على الكسائي ، لأنه يقول إتق الله تكن محسناً ، ولا يجوز اتق الله محسناً بإضمار تكن[5] .

ومنها ما وصلنا عن ردِّه لبعض القراءات ، بتخطئة أصحابها كما فعل مع الآية : ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾[6] حيث رد قراءة حمزة بخفض الإرحام قائلاً بالنصب ، ودافع عن رأيه بقول : إنه يريد ، واتقوا الله. . . واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، لأن العرب لا تردُّ مخفوضاً على مخفوض وقد كني عنه ، وإنما يجوز ذلك في الشعر لضيقه[7] .

(١) متن الصفحة ٦٦ من هذا الكتاب المقطع الأول وما ورد في الصفحتين ٧١ ـ ٧٢ .
(٢) متن الصفحة ٧٧ من هذا الكتاب بعنوان التقريب .
(٣) متن الصفحة ٧٨ من هذا الكتاب بعنوان الصرف .
(٤) الفرّاء ، **معاني القرآن** ، وهذا الكتاب هو مصدر أغلب الآراء المتعلِّقة بالفرَّاء والوارد ذكره أعلاه . الآية من سورة النساء ٤/ ١٧٠ .
(٥) الفرَّاء ، م. ن. جـ ١ ص ٥٩٥ .
(٦) الآية من سورة النساء ٤/ ١ .
(٧) الفراء ، **معاني القرآن** جـ ١ ص ٢٥٢ .

ومنها ما ورد عنه في موضوع الهمز بقول : «وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه من الهمز ، فيهمزون غير المهموز . ويضرب مثلاً : سمعت امرأة من طيء تقول رثأت زوجي بأبيات ورثأت من رثيئة اللبن ، وهو حلب الحليب على الرائب منه»[1] .

التطوُّر الحاصل مع الفرَّاء :

لعب الفرَّاء في تطوير النحو دوراً مهماً يضارع ذلك الدور الذي قام به الكسائي ، والخليل ، وسيبويه ، عبر الأعمال التي قام بها ، والتي كان التطوُّر معها كما يلي :

١ ـ إن المعارف والعلوم التي ألمَّ بها الفرَّاء ـ كما حدّث عنه ثمامة بن أشرس[2] قال : فجلست إليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً ، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته فقيهاً عارفاً باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهراً ، وبالطب خبيراً ، وبأيام العرب ، وأشعارها حاذقاً[3] ـ مكَّنته من إقامة الصرح النهائي للنحو الكوفي ، وما خلا بعض الأمور والفروع .

٢ ـ التطوُّر الحاصل مع الفرَّاء هو استتمام لذلك الذي بدأ مع الكسائي .

٣ ـ لم يتعمَّد الفراء أساساً له في عمله مجرَّد المخالفة حباً بها وبالجدل ولكنه أطال النظر في أصول النحو ، حسب طرائق مدرسته . ولذا لم يتورَّع عن مخالفة الكسائي فيما لم يرضه عنه ، كما تقدَّم في أخباره ؛ عملاً بقاعدة الاجتهاد .

٤ ـ من التطوُّر المهمّ مع الفرَّاء إقامته للحدود في النحو ، وفق مذهبه ، وتصوُّره النحوي الخاص به .

٥ ـ من التطوُّر المهمّ مع الفرَّاء متابعة رسمه للمصطلحات الخاصة به ، وبمدرسته في الفروع والأصول .

٦ ـ من التطوُّر المهمّ مع الفرَّاء توسعه في مخالفة البصريين استكمالاً منه لمفهوم النحو حسب القواعد والأصول الكوفية كما في تحليله لأوجه الإعراب ، والتعبير ، وتخريج العبارات .

---

(١) م. ن. جـ ١ ص ٤٥٩ .

(٢) هو أبو بشر وقيل أبو معن من كبار المعتزلة وأحد الفصحاء البلغاء المقدَّمين عند الرشيد والمأمون ، صاحب نوادر وملح ، **الأعلام** جـ ٢ ص ١٠٠ .

(٣) ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** جـ ٦ ص ١٧٦ رقم الترجمة ٧٩٨ .

٧ ـ من التطوُّر المهم مع الفرَّاء إخضاعه المبادىء لآرائه ، ولذا استخدم القياس تارة ليؤكد أوجهاً يريد تثبيتها كما تقدم أعلاه ، وأبطل السماع ، أو القياس أخرى كما مر في أخباره لتعارض ما سمع ، أو ما قيس مع أصول التفكير النحوي العقلي عنده .

٨ ـ التطوُّر مع الفراء أصيل ، ومتأثر في آن معاً . فقد خطا الفرَّاء بالنحو خطوة مهمة انطلقت من أسس اللغة المبنية على الملاحظة ، والاستقراء الواسعين كما في مسألة كلا . وهذا من الأصالة في مكان لانطلاقه من دواع وأسس عربية أصيلة . على أن هذا التطوُّر من ناحية منه متأثر إلى حد بعيد بطرق النقض ، والردّ ، ورسم الحدود ، ووضع الأقسام ، وتحديد المعاني الخاصَّة بالفعل ، وأزمنته ، ومكانته من المصدر والاشتقاق بالنسبة إليهما . وما شابه ذلك .

القاسم بن معن[١] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة ، من نحاة الكوفة إلى جانب تلاميذ الكسائي من دون أن يعيِّن أخذه عن أحد ، وكذلك فعل ابن النديم .

التعريف بـه :

هو القاسم بن معن بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود ، قاضي الكوفة ، وصاحب أبي حنيفة توفي ١٧٥ هـ .

علمـه :

أشد الناس افتناناً في الآداب كلها . كان يناظر في الحديث وأهله ، وفي الرأي وأهله وفي الشعر وأهله . ثقة جامع العلوم ، رواية للشعر ، والغريب ، والنحو .

أشهر أخباره العلمية :

لم يكن بالكوفة له نظير .

التطوُّر الحاصل مع القاسم بن معنٍ :

يظهر لنا من الأخبار المتوفرة عنه ، وعن علومه التي يحرزها أنه كان متعدد الاهتمامات العلمية إلى جانب اهتمامه بالنحو . وهذا يعني أنه لم يكن متفرغاً لعلم النحو كما كان غيره . وإنما أحرزه من باب تحصيل الثقافة الكاملة التي تحتاج إليه

---

(١) الزبيدي ؛ **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٤٦ والقفطي ؛ **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٣٠ والسيوطي ؛ **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٢٦٣ .

وخير دليل على هذا كونه قاضياً . وعليه نقول عن التطوُّر معه أنه معدوم لاكتفائه بإحراز مبادىء العلم على أساس من المشاركة فيه .

الأحمر[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة الكوفة ، لأخذه عن الكسائي .

التعريف به :

هو علي بن المبارك وقيل بن الحسن ، والأول هو الشائع المشهور ، كان من رجال النوبة عند باب الرشيد ، يصاحب الكسائي داخلاً ، فيسأله ، وخارجاً ، فيسأله . بعد أن يمسك بزمام راحلته توفي ١٩٤ هـ .

علمه :

أحد المشهورين بالتقدُّم في النحو الكوفي ، وهو أستاذ الأمين ابن الرشيد . وكان يحفظ الكثير من القصائد ، وشواهد الغريب .

أشهر أخباره العلمية :

نقل السيوطي عنه أنه كان كالفرَّاء يجيز أن تكون ما ، أداة استثناء ، ويستشهد على ذلك بقول العرب : «كل شيء مهه ، ما النساء وذكرهن» . والتقدير أن فعل الاستثناء بعد ما محذوف ، وعليه يكون . ما خلا ما عدا النساء وذكرهن»[2] .

التطوُّر الحاصل مع الأحمر :

يتابع الأحمر عمل الكوفيين النحوي ، حسب مبادئهم ، وطرائقهم الخاصة بهم . ولا سيما حسب مبادىء أستاذه الكسائي . وهذا يستفاد من خبره اليتيم الذي يدلنا على بعض علمه ، ومستواه فيه . وهذا وإن كان غير كاف للحكم عليه بدقة تمنع الإجحاف اللاحق به من قبل البصريين ، ومؤرخيهم . فإنه يدلنا أن ما قيل عنه لم يكن صادقاً بأنه كان مدخول العلم . أو أنه سمي للرشيد ليعلِّم الأمين خوفاً من وصول البصريين إلى القصر . بل على العكس أن دخوله إلى القصر يعني رسوخ قدميه في العلم عامة ، وفي أمر النحو خاصة .

---

(١) الزبيدي ؛ **طبقات النحويين** ص ١٤٧ والقفطي ؛ **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٣١٣ ـ ٣١٧ وياقوت ؛ بمعجم الادباء جـ ١٣ ص ٥ ـ ١ السيوطي ؛ **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٢) السيوطي ؛ **همع الهوامع** جـ ١ ص ٢٣٣ .

هشام بن معاوية الضرير[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة ، لأخذه عن الكسائي .

التعريف بـه :

هو هشام بن معاوية الضرير ، يكنى أبا عبد الله ، وهو صاحب الكسائي ، وكان مشهوراً بصحبته توفي ٢٠٩ هـ .

علمـه :

أشهر من أخذ عن الكسائي بعد الفرَّاء ، وهو أحد أعيان أصحابه ، كان من المؤدِّبين لبعض الأثرياء ، ونقل عنه صاحب الفهرست أسماء ثلاثة كتب : قطعة في الحدود لا يرغب فيها ، وكتاب المختصر ، وكتاب القياس .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منها ما يفي بالغرض ، فقد نقلت عنه كتب النحاة آراء سار في بعضها على خط أستاذه ، وسار في بعضها الآخر على هدي اجتهاده ومنها :

١ ـ قوله مع الكسائي بحذف الفاعل للفعل الأوَّل في صيغة التنازع كي لا يكون هناك إضمار قبل ذكره الفاعل في ذهب ، وعاد زيد[2] .

٢ ـ ومنها أن نائب الفاعل للفعل اللازم المبني للمجهول مثل «شرب منه» . هو ضمير المجهول ، وليس الجار والمجرور كما يرى الجمهور . وهذا الضمير يعود على المكان ، أو المصدر ، أو الزمان . وهكذا قال الكسائي[3] .

٣ ـ وما خالف فيه الكسائي ، والفرَّاء ، وجمهور البصريين ، ولا سيما سيبويه ، والخليل هو إعرابه للأسماء الخمسة فقد قال سيبويه ، والخليل : إنها معربة بحركات مقدَّرة في حروف الواو ، والألف ، والياء . وقال الأخفش الأوسط : إنها معربة بحركات مقدَّرة على ما قبل تلك الحروف[4] . وذهب الكسائي ، والفرَّاء إلى القول : إنها معربة بالحركات في آن معاً[5] . وقال هشام : إنها معربة بالأحرف

---

(١) الزبيدي ؛ **الطبقات** ص ١٤٧ بدون ترجمة ، وابن النديم ؛ **الفهرست** ص ١٠٤ والقفطي ؛ **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٣٦٤ والسيوطي ؛ **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣٢٨ .

(٢) السيوطي ، **همع الهوامع على جمع الجوامع** ، جـ ١ ص ١٠٩ .

(٣) المرجع السابق نفسه جـ ١ ص ١٦٤ .

(٤) المرجع السابق نفسه جـ ١ ص ٣٩ .

(٥) المرجع السابق نفسه جـ ١ ص ٣٨ .

الواو ، والألف ، والياء . وهذه الحروف نابت عن الحركات في الإعراب[1] .

٤ ـ ومنها ما نقل عنه في إعرابه عبارة «لا أبا لك» حيث أعربها ، لا نافية للجنس ، وأبا اسمها ، ولك جار ومجرور صفة لأب ، والخبر محذوف[2] . بينما أعرب الجمهور أبا اسم لا وهو مضاف واللام زائدة ، والخبر محذوف .

التطوُّر الحاصل مع هشام :

١ ـ يستمر التطور النحوي مع هشام بشكل يعتمد فيه على البناء النحوي الكوفي محاولاً إيصال فكر الكسائي ، والفرّاء ، فضلاً عن تثبيته لدعائم الصرح النحوي وفق آراء مدرسته .

٢ ـ كما أدرك التطوُّر عند العلماء السابقين لهشام مختلف مداركهم العلمية بعد تقدُّمهم في العلم ، واجتهادهم فيه . هكذا كان الأمر مع الضرير حيث خالف أستاذه الكسائي ، ومدرسته الكوفية ، والبصريين فيما رأى ضرورة فيه تدعوه إليها بصيرته ، وأصوله . كما في إعراب الأسماء الخمسة ، وتخريجه للصيغ الإعرابية كما في «لا أبا لك» .

أبو طالب المكفوف[3] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة ؛ لأخذه عن الكسائي .

التعريف بـه :

لم يرد تعريفه عند أحد بأكثر من تعريفه باسمه أعلاه دون وفاة .

علم المكفوف :

له كتاب في حدود العوامل ، والأفعال ، واختلاف معانيها .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا عنها شيء .

التطوُّر الحاصل مع المكفوف :

لا شك بمشاركة المكفوف بالعمل النحوي ، الأمر الذي مكَّنه من وضع كتابين

---

(١) المرجع السابق نفسه جـ ١ ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه جـ ١ ص ١٤٥ .

(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٧ ، والسيوطي بغية الوعاة جـ ٢ ص ١٦ .

فيه ، ولكننا لا نملك من الأخبار ما يمكّننا من الحكم بمدى هذه المشاركة ، ومدى ما لحقها من تطوُّر .

سلمويه[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة الكوفة ؛ لأخذه عن الكسائي ، دون ترجمة .

التعريف بـه :

لم يزد التعريف به عن اسمه ، وعن تلمذته للكسائي ، دون وفاة .

علمـه :

أخذ عنه عدد وافر من نحاة الكوفة .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيءٌ يُذكر .

التطوُّر الحاصل مع سلمويه :

لا يمكن أن يحكم به ، للتعميم الحاصل في الإخبار عنه .

إسحق البغوي[2] :

سجّله الزبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة الكوفة ، لأخذه عن الكسائي ، دون أن يترجم له .

التعريف بـه :

لم نعثر له على ترجمة ، أكثر من اسمه دون وفاة .

علمـه :

لم تصلنا أخبار عنه .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصل إلينا منها شيء يذكر .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٤٨ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٦٤ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٥٩٦ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٤٨ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٤٤٠ .

التطوُّر الحاصل مع إسحق :

لا يحكم به لعدم وصول شيء من أخباره إلينا .

أبو مسحل[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة ؛ لأخذه عن الكسائي دون أن يترجم له .

التعريف بـه :

هو عبد الله بن حريش ، أو عبد الوهاب بن حريش ، كما سماه ابن النديم[2] ، يكنى أبا محمد حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل ، وله مع الأصمعي مناظرات في التصريف ، دون وفاة .

علمـه :

يروى عن علي بن المبارك ، أربعين ألف بيت شاهد في النحو .

أشهر أخباره العلمية :

بالرغم من التعميم والندرة ، أخباره تدل على علم مكَّنَه من مناظرة الأصمعي وكتابة كتابه (النوادر) وكتابه «الغريب» .

التطوُّر الحاصل مع أبي مسحل :

أخباره الشحيحة تدل على مكانة علمية لا بأس بها مكَّنته من مناظرة الأصمعي ولكنها غير كافية بل لا تسمح أصلاً بالتفكير في مدى مشاركته بالعمل النحوي على أساس التطوُّر المنتظم .

قتيبة النحوي[3] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الثالثة ، ولم يعيِّن عمن أخذ علمه .

التعريف بـه :

لم نعثر له على ترجمة تذكر أكثر من اسمه .

---

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين ص ١٤٨ والسيوطي بغية الوعاة جـ ٢ ص ٤٢ ، وابن النديم الفهرست ص ٦٩ .

(٢) ابن النديم الفهرست ص ٦٩ أخبار أبي مسحل .

(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٤٩ والسيوطي بغية الوعاة جـ ٣ ص ٣٧ والقفطي إنباه الرواة جـ ٢ ص ٢٦٥ .

علمه :

استشاره كاتب المهدي له ، تدل على تبحُره في العلم ، وصلاحيته للاستشارة وهي سترد لاحقاً .

أشهر أخباره العلمية :

قال أبو عبد الله كاتب المهدي «قرى عربية» بالتنوين فقال شبيب بن شيبة إنما هي غير منونة . فقال أبو عبد الله لقتيبة ما تقول : فقال : إن كنت أردت القرى التي بالحجاز فهي بدون تنوين لأنها لا تنصرف . وإن كنت أردت قرى من قرى السواد فهي تنصرف .

التطوُّر الحاصل مع قتيبة :

التعميم، وندرة الأخبارة لا يمكِّنانا من إصدار الأحكام الدقيقة ، خاصة بالنسبة لغيره من المعاصرين والمشهورين ولكن الظاهر أن قتيبة قد بلغ مكانة علمية جعلته في مصاف من يُستشارون بالنحو الكوفي وغيره .

- ٤ -

الطبقة الرابعة

وتضم أخبار أصحاب الفرَّاء : وهم خمسة على رأسهم سلمة بن عاصم ، ثم أبو عبد الله الطوَّال ثم محمد بن قادم ، ثم ابن سعدان ، ثم محمد بن حبيب .

سلمة بن عاصم[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة ؛ لأخذه عن الفرَّاء .

التعريف بـه :

هو سلمة بن عاصم يكنى أبا محمد ، صاحب الفرَّاء ، وهو أستاذ ثعلب .

علمـه :

قال ثعلب كان حافظاً لتأدية ما في الكتب ، وكان حسن النظر في النحو عالماً ، روى كتب الفراء ولازمه .

أشهر أخباره العلمية :

لم يردنا غير ما نقله ابن النديم عن روايته للكتب الفرَّاء كلها ، وذكر له كتاب «الحلول في النحو» .

التطوُّر الحاصل مع سلمة :

الظاهر من الأخبار التي وصلتنا على ندرة شديدة أن سلمة تابع أستاذه الفرَّاء على آرائه ، وسبله . دون أن يشق عليه عصا الطاعة والتلمذة ..

(١) الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٠ والقفطي إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ ٢ ص ٥٦ ـ ٥٧ وياقوت معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ والسيوطي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جـ ١ ص ٥٩٦ .

أبو عبد الله الطوّال[1] :

سجّله الزبيدي في الطبقة الرابعة ؛ لأخذه عن الفرَّاء بعد الكسائي دون ترجمة .

التعريف بـه :

هـو أبو عبـد الله ، وقد ذكـره السيـوطي تحت اسم محمـد بن أحمـد تـوفي ٢٤٣ هـ .

علمـه :

كان حاذقاً بإلقاء المسائل في العربية ، كما حدَّث ثعلب ، ولم يذكر ابن النديم كتباً له . حدَّث عن الأصمعي .

أشهر أخباره العلمية :

لم يردنا منها شيء يفيدنا في التعرُّف على منهجه في العمل النحوي .

التطوُّر الحاصل مع الطوَّال :

لا يحكم به لندرة الأخبار ، والتعميم الحاصل في نعت علمه !

محمد بن قادم[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة من نحاة الكوفة ، لأخذه عن الفرَّاء .

التعريف بـه :

هو أبو قادم محمد بن قادم ، وقيل أبو جعفر أحمد ، صاحب الفرَّاء ، معلِّم المعتزَّ قبل خلافته استدعاه بعد وصوله إليها . ولم يعد أبو قادم لحقد المعتز عليه بعد تأديبه له توفي عام ٢٥١ هـ .

علمـه :

حدَّث من حضر حلقة ثعلب أنه ورد شيخ يتوكأ على عصا فقال لأهل الحلقة : أفرجوا فأفرجوا حتى جلس إلى جانبه ، ثم سألوا عن مسألة فقال : قـال الرؤاسي فيها : كذا ، والكسائي : كذا ، والفرَّاء : كذا وهشام : كذا ، وقلت : كذا . فقال له الشيخ : لن تراني أعتقد فيها إلا جوابك . فالحمد للّه الذي بلَّغني هذه المنزلة

(١) الزبيدي طبقات النحويين ص ١٥٠ والقفطي إنباه الرواة جـ ٢ ص ٩٢ والسيوطي بغية الوعاة جـ ١ ص ٥٠ .

(٢) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ص ١٥١ .

فيك . فقلنا : من هذا قالوا : أستاذه محمد بن قادم .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها غير ما نقلناه .

التطوُّر الحاصل مع ابن قادم :

لا يحكم به للتعميم الشديد في الخبر الذي وصلنا عنه .

محمد بن سعدان[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة ، لأخذه عن هشام بن معاوية الضرير .

التعريف بـه :

هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير ، كان معلماً للعامّة ، وأحد القرَّاء توفي سنة ٢٣٠ هـ .

علمـه :

كان يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه ففسد عليه الأصل ، والفرع ، أخذ عنه ابن المرزبان ، وكان نحوياً .

أشهر أخباره العلمية :

انتهى إلينا منها ما نقله ابن النديم عن كتابته لكتاب «مختصر النحو» ولقطعة حدود على نسق حدوده الفرَّاء ولا يرغب فيها .

التطوُّر الحاصل مع ابن سعدان :

يمكننا الحكم على وجه الإجمال أن إبن سعدان عمل على متابعة أساتـذته الكوفيين ، ولا يمكننا التدقيق في إصدار درجة التطوُّر معه للتعميم الحاصل .

محمد بن حبيب[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الرابعة من نحاة الكوفة .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٥٣ ، والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ١١١ وياقوت **معجم الادباء** جـ ١ ص ٢١٥ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ١٤٠ وهو غير ابن سعدان الذي ترجم له **الفهرست** ص ١١٨ بينما يعتبر المترجم له ص ١٠٤ إبنه ؟ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٥٣ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ١١٩ ـ ١٢١ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٧٣ .

التعريف بـه :

هو أبو جعفر ، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ، وحبيب اسم أمه ، وهي مولاة لبني العباس وأبوه مولى كذلك ، وقيل أنه إبن ملاعنة توفي ٢٤٥ هـ .

علمـه :

نقل فيه ابن النديم ، إنه من علماء بغداد بـالأنساب ، والأخبـار ، واللغة ، والشعر والقبائل .

أشهر أخباره العلمية :

حدّث ثعلب قال : أتيت محمد بن حبيب ، وقد بلغني أنه يملي شعر حسان بن ثابت فلما عرف مطمعي قطع الإملاء ، فانصرفت. . . فلم أزل به حتى قعد في جمعة من الجمع ، واجتمع الناس . فسأل سائل عن هذه الأبيات :

أزحنَّة عني تطردين تبدَّدت ... بلحمك وطير طرن كل مطير
قفي لا تزلي زلة ليس بعدها ... جبور وزلات النساء كثير
فإني وإياه كرجلي نعامة ... على كل حال من غني وفقير

ففسر ما فيه فسئل من غني وفقير . فاضطرب فقلت للسائل : هذه غريبة ، وأنا أنوب عنه ، وبيّنت العلّة ، وانصرف . ثم لم يعد للقعود بعد ذلك ، فانقطعت عنه .

التطوُّر الحاصل مع محمد بن حبيب :

يتضح مما وصلنا عن محمد إنه كان من المدرِّسين ، ولم يكن من المبدعين ، والكبار في النحو كما يتضح أنه كان من المقصِّرين في تدريسهم .. وأنه لم يصل إلى ما وصل إليه غيره ، وعليه يقتصر الأمر معه على إقراء ما أخذه عن سابقيه فقط .

- ٥ -

الطبقة الخامسة

قصرها الزبيدي على عالم واحد هو ثعلب .

ثعلب[١] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة الخامسة ، لأخذه عن تلاميذ الفرَّاء : الطوّال ، وابن قادم ، وسلمة بن عاصم ، واختصَّ بالأخير في النحو .

التعريف بـه :

هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيَّار أبو العباس ثعلب ، مولى فارسي الأصل . التقى بالرياشي ، وجالسه وناظره ، وقد تقدَّم هذا[٢] تولى تأديب طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب شرطة بغداد ، فحصل بعض الجاه كما كتب له من عطاء السلطان مات ٢٩١ هـ .

علمـه :

هو وارث علم الكوفيين ، بل تجاوز سابقيه كما وُصف (مبالغ في الخبر) إمام في اللغة ، والنحو ، وهو رجل يتلهب ذكاء ويجيب عن كل مسألة يسأل عنها في النحو ، والقرآن ، والغريب ، وأبيات المعاني ، اختلف إلى فقهاء عصره ومنهم ابن حنبل ، والتقى الرواة ومنهم ابن سلاَّم ، وعمر بن شبَّة وغيرهما .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٥٥ والأنباري **نزهة الالباء** ص ١٧٣ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ١ ص ١٣٨ - ١٥١ وياقوت **معجم الادباء** جـ ٥ ص ١٠٢ - ١٤٦ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٣٩٦ .

(٢) تقدَّم الحديث عن الموضوع بالتفصيل في الصفحة ١٦٥ من هذا الكتاب .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منها ما يفي بالغرض ، عبر كتابه المهمّ (مجالس ثعلب) ، وعبر غيره من الكتب التي روت أخباره ومنها :

١ ـ حادثة جرت بينه ، وبين المبرِّد البصري ، عند محمد بن عبد الله بن طاهر المتقدِّم الذكر قال أحمد : فلما قعدت قال لي محمد ما تقول في بيت امرىء القيس :

لها متنتان خطاتا كما اكبَّ على ساعديه النمر

قال فقلت : الغريب أن يقال له : خظا بظاً إذ كان مكتنزاً صلباً ، ووصف فرساً . وقوله كما أكبَّ على ساعديه النمر ، أي في صلابة النمر ، إذا اعتمد على يده ، والمتن الطريقة الممتدة عن يمين الصلب وشماله ، وما فيه من العربية أن خظتا فلما تحرَّكت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة .

قال : فأقبل بوجهه على محمد بن يزيد ، فقال : أعز الله الأمير أراد في خطاتا الإضافة إلى كما . فقلت له : ما قال هذا أحد . فقال محمد بن يزيد : بل سيبويه يقول : فقلت لمحمد : لا والله ما قال : هذا سيبويه قط وهذا كتابه فيحضر : ثم أقبلت على محمد بن طاهر ، فقلت له : ما حاجتنا إلى كتاب سيبويه أيقال مررت بالزيدين طريفي عمرو فيضاف نعت الشيء إلى غيره فقال محمد بن عبد الله بن طاهر بصحة طبعه : لا والله ما يقال ، ونظر إلى محمد بن يزيد ، فأمسك ولم يقل شيئاً ، وقمت ونهض المجلس .

وله حادثة مع الرياشي ، عندما كان يسمع منه ، وهو صغير سأله الرياشي كيف تقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سنّي

كيف تقول بازلَ أو بازلُ يقول ثعلب : فقلت أتقول لي هذا في العربية إنما أقصدك لغير هذا يروي بازلَ وبازلُ وبازلِ ، النصب على الحال ، والرفع على الاستئناف ، والخفض على الاتباع ، فاستحيا وأمسك .

ومنها ما مرَّ بينه وبين الرياشي حول مسألة فاعل فعل المدح أو الذم ، فلتراجع[1] .

---

(١) تقدّم ذكرها في متن الصفحة ١٦٥ من هذا الكتاب .

التطوُّر الحاصل مع ثعلب :

إن الحديث عن التطوُّر مع ثعلب يعني الحديث عن عمل عالم مهم من العلماء المتأخرين في مدرسة الكوفة . ذلك العمل الذي يمثل المتابعة الخالصة القائمة على إحياء علم أستاذي المدرسة الكوفية : الكسائي ، والفرَّاء بحفظ آرائهما ، وإيصالهما إلى اللاحقين والدفاع عنها ، والاستشهاد بها عند المقارعة ، والمخاصمة قائلاً : قال الفرَّاء ، وقال الكسائي ، مع التصدِّي لبعض المسائل بما وافق عقله ، وتحليله اعتماداً على قاعدة الاجتهاد .

التطوُّر مع ثعلب كائن في قدرته على استيعاب ما انتهى إليه من آراء الخلاف البصري الكوفي في الأصول والفروع .

من التطوُّر مع ثعلب انتصاره العنيف لمدرسته الكوفية أمام البصريين ، بشكل عام عند دفاعه عن آرائها ، وانتصاره لزعيميها : الكسائي ، والفرَّاء بشكل خاص معتمداً على ردوده على أصول الكوفيين فضلاً عن ذكائه ، وقدرته على الإقناع ، والنقض ، والرد كما تقدم آنفاً(١) .

لم يمنع إلمام ثعلب بآراء أستاذيه وإحاطته بما قالاه الإتيان ببعض الجديد على سبيل الاجتهاد في العلم . وكما في مسألة نصب «زيد عندك»(٢) ، وزيادته فعلي : نشب ، وقام . على أخوات كاد(٣) . وتجويزه تقديم المفعول به على الفعل ، والفاعل في «ما نومك سلب إلَّا زيد» بينما رفض الكسائي هذا التعبير لأنه يجيز تقديم المفعول مع حذف الفعل ، وإعراب زيد فاعل(٤) . ولكن هذا الاجتهاد يبقى ضيقاً إجمالاً .

---

(١) متن الصفحة ١٦٥ من هذا الكتاب حيث أجابه برأي الكسائي ، والفراء فيها .

(٢) المسألة رقم ٢٩ من كتاب **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، للأنباري .

(٣) ثعلب ، **مجالس ثعلب** ، ص ٢١٢ ـ ٤١٧ والسيوطي **الهمع** ، طبقة الخانجي جـ ١ ص ٣٢٠ .

(٤) الأنباري ، **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، مسألة رقم ٢١ .

- ٦ -

الطبقة السادسة عند الكوفيين

وتضم أخبار ستة علماء هم : هارون بن الحائك ، والحامض ، والمعبَّدي ، وابن كيسان ، وابن الأنباري ، ونفطويه .

هارون بن الحائك[١] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة تحت اسم أصحاب ثعلب ؛ لأخذه عنه .

التعريف بـه :

هو هارون بن الحائك الأعمى ، ونقل ابن النديم[٢] إنه ابن الحائل باللام وأصله يهودي من أهل الحيرة من غلمان ثعلب ، وذكر له سنة وفاته ، ويقال : إنها بعد مناظرته للزجّاج .

علمـه :

متقدم من غلمان ثعلب عارف بالنحو ، كان يناظر المبرَّد حسب ابن النديم ، ويكابر حتى نهاه الأخير عن ذلك .

أشهر أخباره العلمية :

وصلنا منه مناقشة جرت بينه وبين الزجّاج . عنـد عبيد الله بن سليمـان وزير المعتضد بعد أن قال لهما : أريد أن أصطفي أفضلكما في العلم . فتساءلا ، فقال

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٦٨ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٣٥٩ وياقوت **معجم الادباء** جـ ١٩ ص ٣٦١ - ٣٦٢ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ٢ ص ٣١٩ وابن النديم **الفهرست** ص ١١١ .

(٢) ابن النديم ، **الفهرست** ، بيروت دار المعرفة ط ١٩٧٨ م ص ١١١ .

الزجاج لهارون : كيف تقول ضربت زيداً ضربا ، فقال : ضربت زيداً ضرباً ، فقال الزجاج : كيف تكنى عن زيد وعن الضرب[1] فأفحمه ولم يجبه ، وحار في أمره ، وانقطع انقطاعاً مشيناً ، وكان يوزن بميزان ثعلب ، ويقال : إن هذه المناظرة أودت به .

التطوُّر الحاصل مع هارون :

يتضح لنا مما انتهى إلينا من أخبار هارون أنه كان من تلاميذ ثعلب النابهين بدليل أنه دعي لمناظرة الزجَّاج البصري ، وهذا مما يدل على مكانته في العلم . ولكنَّ العمل النحوي معه لم يتجاوز دور نقل العلم وتبليغه كما تلقَّاه عن أساتذته ، من دون أن يختار لنفسه منهجاً خاصاً .

الحامض[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة تحت اسم أصحاب ثعلب .

التعريف بـه :

هو أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد ، وقيل محمد بن سليمان ، والأوَّل هو الأشهر وقد لقب بالحامض لشراسة أخلاقه ، وضيق صدره ، عن المناقشة توفي ٣٠٥ هـ .

علمـه :

أقرأ الناس بعد وفاة ثعلب من كتبه ، وكتب الفرَّاء . وهو المقدَّم من أصحاب ثعلب ، والمتصدر في حلقته بعده . بارع في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين ، وقد خلط المذهبين ، وكان يتعصب للكوفيين .

أشهر أخباره العلمية :

لم ينته إلينا غير الذي ذكرناه عنه .

التطوُّر الحاصل مع الحامض :

لم يتجاوز دور الحامض في التطوُّر النحوي عمل التلميذ النابه ، الذي يتابع

---

(١) جواب المسألة : ضربته إياه ، ومعنى ذلك إحالة الاسم إلى ضمير ، أو التعبير بالضمير بدل الاسم .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين** ص ١٧٠ والأنباري **نزهة الالباء** ص ١٨١ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٢ ص ٢١ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٦٠١ .

أستاذه على أصوله إخلاصاً واعترافاً بفضله ، وريادته في النحو ، ولذا تصدَّر حلقة ثعلب بعد وفاته وأقرأ الناس في كتبه ، وكتب الفرَّاء . من دون أن يشقَّ عليهما ، ويختار لنفسه منهجاً غير تابع لهما .

المعبَّدي[1] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة تحت اسم أصحاب ثعلب .

التعريف بـه :

هو أحمد بن عبد الله ، وكان بارعاً .

علمـه :

كان بارعاً ، ولم يصلنا أكثر من ذلك .

أشهر أخباره العلمية :

لم يصلنا منها شيء يذكر .

التطوُّر الحاصل مع المعبَّدي :

لا يُحكم به للتعميم الحاصل في نقل أخباره ، فضلاً عن ندرتها . والتي لا تعدو وصفه بالبارع .

ابن كيسان[2] :

سجَّله الزبيدي ، في الطبقة السادسة من نحـاة الكوفـة تحت اسم أصحاب ثعلب .

التعريف بـه :

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن كيسان ، سلكه البعض في عداد المدرسة البصرية ، والبعض الآخر في عداد الكوفية . وأشـار الآخرون إلى خلطه المذهبين ، وجعلوه أول المدرسة البغداديـة ولذا سجَّله ابن النـديم مع من خلطوا القولين[3] توفي ٢٩٩ هـ .

---

(١) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ، ص ١٧٠ .

(٢) الزبيدي **الطبقات** ص ١٧٠ ابن النديم **الفهرست** ص ١٢٠ والقفطي **إنباه الرواة** جـ ٣ ص ٥٧ وياقوت **معجم الادباء** جـ ١٧ ص ١٣٧ .

(٣) ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ١٢٠ .

علمه :

فاضل أخذ عن ثعلب والمبرِّد ، كان ابن مجاهد يعتبره أنحى من ثعلب والمبرِّد ، وابن الأنباري يقول خلَّط فلم يضبط مذهب الكوفيين ، ولا مذهب البصريين وكان شديد التعصب عليه لذلك .

أشهر أخباره العلمية :

نقل عنه مجالسته للقاضي إسماعيل[1] الذي كان مفتوناً به يجالسه عقب صلاة الجمعة سأله ما تقول في ﴿**إن هذان لساحران**﴾ فما وجهتها على ما جرت به عاداتك من الإغراب عن الإعراب . فأطرق ابن كيسان ملياً ثم قال : نجعلها مبنية لا معربة ، وقد استقام الأمر : قال إسماعيل : فما علّة بنائها ، قال : لأن الفرد منها هذا ، وهو مبني والجمع هؤلاء ، وهو مبني ، فيحتمل التثنية على الوجهين .

ومن آرائه التي أخذ فيها بقوله البصريين : نصبه المضارع بعد لام التعليل في «جئت لأكرمك» بأن مضمرة ، وأضاف أنه يجوز أن يكون منصوباً بكي محذوفة لمجيئها في جئت لكي أكرمك . والكوفيون ينصبونه بلام التعليل نفسها[2] .

ومما وافق فيه الكوفيين ، وخالف البصريين : قوله بجواز تقديم خبر ما زال عليها في قائماً ما زال زيد[3] ومنه منعه الفصل بين إسم إن وخبرها كما ذهب الفرَّاء في إن زيداً لغير شك قائم . وأجاز هذا البصريون[4] .

ومما انفرد به إجازته تذكير الفعل مع المبتدأ المؤنث مثل «الشمس طلع»[5] ، وتذكيره مع الفاعل المؤنث مثل «قال فلانة»[6] لسماعها عن العرب ، ومنها قوله في علة بناء أمس بأنها تضمنت معنى الفعل الماضي ، وهو مبني ، وقال الجميع : ببنائها لتضمنها معنى لام التعريف[7] ، وقوله بإعراب غد لأنها في معنى الفعل المستقبل ، وهو معرب[8] .

---

(١) هو إسماعيل بن إسحق الجهضمي من بيت علم وفصل، من نظراء المبرد قاضي بغداد وغيرها وقاضي القضاة توفي ببغداد ٢٨٢ هـ ، **الاعلام** جـ ١ ص ٣١٠ .
(٢) السيوطي **همع الهوامع على جمع الجوامع** ، جـ ٢ ص ١٦ .
(٣) ابن يعيش **شرح المفصل** ٧٩ ص ١١٣ .
(٤) السيوطي ، م . ن . جـ ١ ص جـ ١ ، ص ١٤٠ .
(٥) السيوطي ، **همع الهوامع على جمع الجوامع** طبقة الخانجي جـ ٢ ص ١٧١ .
(٦) م . ن . ، والصفحة نفسها .
(٧) م . ن . ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .
(٨) م . ن . ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

التطوُّر الحاصل مع ابن كيسان :

١ ـ نهج التطور مع ابن كيسان منهجاً خاصاً ، فارق به المتقدمين من العلماء البصريين ، والكوفيين فقد خلَّط بين المذهبين بشكل متعمد كما نص ابن مجاهد ، وابن الأنباري ، وأيَّد ابن النديم ، والزجَّاجي ، عندما حدَّث عن مشايخه بقوله : من علماء الكوفيين الذين أخذت عنهم ابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخياط لأن هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين وكان أول اعتمادهم عليه . ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين[1] .

٢ ـ من التطوُّر المهم معه الأمر الذي تابعه فيه ابن شقير ، وابن الخياط ، وهو خلطه المتعمَّد للمذهبين ، الأمر الذي أدَّى إلى ظهور المدرسة البغدادية في النحو .

٣ ـ يحكم على التطوُّر معه إنه لم يتعمد شهوة الخلط ، فقط . وإنما اعتمد على مبادىء يحكمها العلم ، والاجتهاد ، والرأي فلقد بدأ انتخاباً لإحرازه العلمين . ثم غدا جنوحاً تجاه الاجتهاد ، والدليل الأقوى على هذا عدم تأخره عن التفرُّد ببعض آرائه كما فعل مع لام التعليل ، وتذكير الفعل ، وبناء وإعراب أمسِ ، وغد .

ابن الأنباري[2] :

سجَّله الزبيدي في الطبقة السادسة ، من نحاة الكوفة ؛ لأخذه عن ثعلب .

التعريف بـه :

هو أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، أخذ عن أبيه ، وعن ثعلب ، وهـو أفضل من أبيه توفي ٣٢٨ هـ .

علمـه :

من أعلم الناس بالنحو ، والأدب ، وأكثرهم حفظاً قيل إنه يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن . وهو في نهاية الـذكاء ، والفـطنة ، وجـودة القريحـة ، وحضور البديهة ، وسرعة الجواب . لا يُملي من كتاب أو دفتر ، وله كتب ذكرها ابن النديم ، منها الأضداد في النحو (وقد نشر) .

---

(١) الزجاجي **الإيضاح في علل النحو** ص ٧٩ .

(٢) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٧١ ولابن النديم **الفهرست** ص ١١٢ والقفطي **إنباه الرواة** جـ٣ ص ٢٠١ ـ ٢٠٨ والسيوطي **بغية الوعاة** جـ ١ ص ٢١٢ .

أشهر أخباره العلمية :

١ ـ نقل عنه احتجاجه لقول الكوفيين إن المصادر هي المشتقة من الأفعال . أو بالأحرى إن الفعل هو أصل الاشتقاق ، لا المصدر . كما ذهب البصريون إلى قوله : إن المصادر تكون توكيداً ، للأفعال كقولك : ضرب زيداً ضرباً. . . ولا خلاف أن المصادر ها هنا توكيد للأفعال . والتوكيد تابع للمؤكَّد ثانٍ بعده والمؤكَّد سابق له . فدل على أن المصدر تابع للفعل مأخوذ منه . وأن الفعل هو الأصل الذي أُخذ منه [١] .

٢ ـ ونقل عنه قوله بأنه قد تقع بين الظرفية شرطية إذا كانت في أول الكلام كما في قوله : بينما «أنصفتني ، ظلمتني» [٢] .

التطوُّر الحاصل مع ابن الأنباري :

من خلال الأخبار التي توفرت لنا عن ابن الأنباري يمكننا القطع أن التطوُّر معه كان مدرسياً أكثر منه فردياً . يدلنا على ذلك ما يلي :

أولاً : ما أوردناه من انتصاره للكوفيين في مسألة اشتقاق المصادر من الأفعال ، الأمر الذي دعا إليه للكوفيون وعملوا على الدفاع عنه بمجملهم .

ثانياً : ما تقدم من ترجمة ابن كيسان من تعصُّبه على ابن كيسان لخلطه بين المذهبين ولم تنقل عنه آراء مهمَّة في خالفة أساتذته ، ولذا حكمنا بمتابعته للمتقدمين وحمله لمبادىء علوم الكوفة إلى من جاء بعده .

نفطويه[٣] :

سجَّله الزبيدي في آخر الطبقة السادسة عند الكوفيين .

التعريف بـه :

هو أبو عبد الله ، إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب ابن المهلب بن أبي صفوة العتكي الأزدي المعروف بنفطويه توفي ٣٢٠ هـ .

---

(١) الزجَّاجي ، م س . ص ٦٠ وما يليها .

(٢) السيوطي **همع الهوامع على جمع الجوامع** ، جـ ١ ص ٢١١ .

(٣) الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين** ص ١٧٢ ، وابن النديم **الفهرست** ص ١٢١ وياقوت **معجم الادباء** جـ ١ ص ٢٥٤ ـ ٢٧٢ والقفطي **إنباه الرواة على أنباه النحاة** جـ ١ ص ١٧٦ ـ ١٨٢ والسيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** جـ ١ ص ٤٢٨ .

علمه :

أديب متفنن حافظ للنقائض يروي الحديث وهو ضعيف في النحو أخذ عن ثعلب والمبرد وهجاه ابن دريد بقوله :

أفٍ على النحو وأربابه   قد صار في أربابه نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه   وصير الباقي صراخاً عليه

أشهر أخباره العلمية :

علمه بالحديث والعربية وخلطه للمذهبين البصري والكوفي طاهر الأخلاق حسن المجالسة .

التطوُّر الحاصل مع نفطويه :

التطوُّر البارز مع نفطويه هو خلطه للمذهبين ، ومشاركته في إيجاد المدرسة البغدادية التي ركَّزت على هذا الخلط ، وعملت على الاستزادة منه بعد أن طلبته عمداً ، إثر اعتماده على مبدأ الاختيار ، والانتقاء المعتمد على التفكير الشخصي حتى تمكَّنت من إرساء مبادئها المستوحاة من الكوفيين ، والبصريين . ولا يمكِّننا التعمُّق في معرفة درجة التطوُّر معه أكثر من الحاصل ، لأن التعميم في أخباره أم لا يسهل تجاوزه .

خاتمة

مع التطوُّر :

تمَّ التمهيد للحديث عن موضوع التطوُّر بالحديث عن مدلول كلمة تطوُّر في الوضع ، والاصطلاح بشكل مبسّط[1] مكّن من تحديد أطر موضوع التطوُّر وحدوده المشتمل عليها ، وقد جاءت كما يلي :

١ ـ تمَّ تحديد انطلاقة التطوُّر زمنياً بمرحلة النضج في الممارسات النحوية الفنية ، حيث تم استكمال العدة ، وكان التوثب بدافع الحاجة العلمية مع مرحلة الإمام علي وأبي الأسود[2] .

٢ ـ تمَّ تحديد انطلاقة التطوُّر علمياً ، بعملية إيجاد القواعد في النحو مع الإمام علي وأبي الأسود الدؤلي[3] .

٣ ـ تمَّ الحكم على الإعراب إنه أصيل بممارسته السليقية ، مستحدث برسمه ، وعلاماته ، وأسس شكله بالحركات ، والتسميات[4] .

٤ ـ تمَّ الحكم على التطوُّر في النحو أنه فرع من التطوُّر العام الذي شمل مختلف الصعد مع العصر الإسلامي : الإنساني ، والإقتصادي ، والإجتماعي ، والسياسي ، والعلمي العام منها . وقد كانت لهذا التطوُّر أسبابه ، ومنها الخاص به

---

(١) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٣ ـ ١٤ من هذا الكتاب .
(٢) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٦ ـ ١٨ من هذا الكتاب .
(٣) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٨ ـ ١٩ من هذا الكتاب .
(٤) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٩ ـ ٢٠ من هذا الكتاب .

كانتشار اللحن ، والخلاف المذهبي بين الكوفة ، والبصرة ، والتنافس بين علمائه ، وازدياد عدد العاملين به . ومنها العام كاليقظة العلمية ، والتأثر بالعلوم الدخيلة ، وحاجة العلوم الأخرى للنحو . كونه الأساس في الكتابة والتعبير(١) .

٥ ـ عمل الدؤلي حكم عليه بأنه رأس التطوُّر ، وبدايته في الوضع على طريق التطوُّر النحوي العلمي العام . وهو الخطوة الأهم تجاه التحوُّل بالممارسة النحوية من التقليد والسليقة . إلى التنفيذ العلمي المرتبط بالأصول ، والقواعد(٢) .

٦ ـ حُكم على جانب من عمل طلاب الدؤلي إنه تطوُّر مع نقط القرآن بنقط الأعجام(٣) .

٧ ـ أكَّد البحث دور النظر الشخصي في تطوير الدراسات النحوية ، ووضع القواعد(٤) .

٨ ـ أكَّد البحث أن إيجاد المذاهب انطلق من إعمال النظر الشخصي في التحليل والدرس ، والتقعيد وأن هذا الإيجاد تطوُّر في الممارسة النحوية حيث دافع كل عالم عن آراء مدرسته ، وفريقه بما يوافقها(٥) .

٩ ـ أكَّد البحث أن البناء النحوي هو نسيج أعمال متلاحقة بدأت بالدؤلي وانتهت بالسيرافي على صعيد مدرسة البصرة ، وقد توزَّعت هذه الأعمال على سبعة عشر عالماً لعبوا الدور الأهم في وضع مبادىء النحو البصري . أما على الصعيد الكوفي فقد بدأ البناء النحوي حسب ما انتهى إلينا مع الرؤاسي ، واتخذ شكله النهائي مع الفرَّاء . والمشاركون في تأليفه هم أربعة من العلماء الكبار(٦) .

١٠ ـ تفرَّد البحث في الحكم على أعمال سيبويه ، وكتابه بشكل خاص أنها ليست أعمالاً يتيمة . وأن كتابه لم يكن تطوُّراً مفاجئاً . وإنما كان حلقة مهمة في

---

(١) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٢٨ ـ ٣٨ من هذا الكتاب .
(٢) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٤٢ ـ ٤٣ من هذا الكتاب .
(٣) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٤٣ ـ ٤٤ من هذا الكتاب .
(٤) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٤٤ ـ ٤٧ من هذا الكتاب .
(٥) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٤٧ ـ ٥٢ من هذا الكتاب .
(٦) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٥٢ ـ ٥٦ من هذا الكتاب .

سلسلة البناء النحوي العام . إيماناً منه بهذه الحقيقة التي يؤيِّدها الواقع الذي سيرد الحديث عنه لاحقاً(١) .

١١ ـ قام البحث بالحكم على أعمال تسعة علماء هم : الدؤلي ، وابن أبي إسحق ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والمازني مع مدرسة البصرة ، والرؤاسي ، والهرَّاء ، والكسائي ، والفرَّاء مع مدرسة الكوفة . لأنه رأى أن أعمال هؤلاء العلماء التي تشكل زوايا حادة بين ما سبق وما لحق ، هي الأسس التي يستحيل دونها قيام بناء نحوي(٢) .

١٢ ـ أكَّد البحث أن استحداث القياس في النحو من التطوُّر المهم المتأثر بالفلسفة والمنطق ، والتفكير الرياضي(٣) .

١٣ ـ أكَّد البحث أن استحداث العلَّة في النحو من التطوُّر المتأثر بالفلسفة والمنطق ، والعلوم العقلية الدخيلة(٤) .

١٤ ـ أكد البحث أن استحداث العوامل ، والمعمولات من التطوُّر الملحوظ المتأثر بالفلسفة ، والمنطق(٥) .

١٥ ـ سجَّل البحث بلوغ التطوُّر ، المصطلحات النحوية . انطلاقاً من البدايات الأولى لإيجاد العلم حتى نضوجه ، واستوائه قريباً من الكمال مع المازني(٦) .

١٦ ـ قام البحث بتأكيد حصول التطوُّر عبر ما آلت الأمور إليه من انفصال النحو عن غيره من العلوم التي شاركته في بداية الأمر(٧) .

١٧ ـ قام البحث بتأكيد حصول التطوُّر في دراسة النحو عبر تغير برامج الدراسة

---

(١) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٥٦ ـ ٥٨ من هذا الكتاب وراجع الأرقام ١٥ ١٨ و ٢١ من الخاتمة .
(٢) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٥٨ ـ ٦٠ من هذا الكتاب .
(٣) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٦٠ ـ ٦٣ من هذا الكتاب .
(٤) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٦٣ ـ ٦٧ من هذا الكتاب .
(٥) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٦٨ ـ ٧٢ من هذا الكتاب .
(٦) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٧٢ ـ ٧٨ من هذا الكتاب .
(٧) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٧٨ ـ ٨١ من هذا الكتاب .

بصور متلاحقة منذ البداية ، وحتى نضج الشكل النهائي ، للنحو مع البصرة والكوفة[1] .

١٨ ـ قام البحث بتعداد أماكن الدراسة التي شاركت في تطوير النحو بصور متفاوتة بحسب إمكاناتها عبر المراحل التي حكمت وجودها[2] .

١٩ ـ استعرض البحث آراء العلماء في الإعراب من قدماء ومحدثين ، ومستشرقين وعرب وانتهى إلى الحكم بضرورة القول به ، وفق أغلب تلك الآراء . بعد مناقشة الآراء الرافضة وردّها إثر تبيان زيفها ، وفسادها[3] .

٢٠ ـ استعرض البحث آراء العلماء القاضية بعلاقة النحو العربي بغيره عند الشعوب ، وبيَّن الموقف إزاء كل منها على حدة[4] .

٢١ ـ عمل البحث بمنهج خاص في دراسة التطوُّر قائم على الانطلاق في دراسته من عرض المسائل حسب وقوعها عند أصحابها من العلماء أبناء مدرستي : البصرة والكوفة . وطبقات كل من هاتين المدرستين عند الزبيدي . مما مكَّنه من إصدار الحكم على المسائل بدقَّة ورصد متلاحق من البداية وحتى النهاية ، وبه تمَّ وضع عمل كل عالم في مكانه دون أي خطأ[5] .

٢٢ ـ قام البحث عند حديثه عن التطوُّر وبداياته بإخراج أبي الأسود من دائرة التمذهب المتعمَّد والمقصود ، لعدم التزام عمله بالمفهوم المدرسي الخاص بالمخالفة[6] .

٢٣ ـ قام البحث بتأخير التمذهُب في النحو مع مدرسة البصرة إلى أيام الخليل بن أحمد وسيبويه[7] .

٢٤ ـ قام البحث بالحكم بقدم الممارسات النحوية الكوفية ، وتزامنها مع الممارسات البصرية[8] .

---

(١) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٨٢ ـ ٨٧ من هذا الكتاب .
(٢) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٨٧ ـ ٩٥ من هذا الكتاب .
(٣) راجع في هذا الموضوع الصفحات ٩٦ ـ ١٠٠ من هذا الكتاب .
(٤) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٠٤ ـ ١١١ من هذا الكتاب .
(٥) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١١٥ ـ ١١٩ من هذا الكتاب .
(٦) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٢٠ ـ ١٢٤ من هذا الكتاب .
(٧) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٢٠ ـ ١٢٤ من هذا الكتاب .
(٨) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٨٩ ـ ١٩٢ من هذا الكتاب .

٢٥ ـ قام البحث بالحكم على أعمال الرؤاسي ، والهرَّاء ، والكسائي ، والفرَّاء بأنها حلقات متأخرة في بناء النحو الكوفي المتطوِّر من بدايات لم يصلنا عنها شيء يذكر[١] .

٢٦ ـ أكَّد البحث القول : إن مخالفة الرؤاسي ، والهرَّاء هي الأساس في الخلاف المدرسي المتعمَّد بين الكوفة والبصرة[٢].

(١) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٩٣ ـ ٢٠٢ من هذا الكتاب .
(٢) راجع في هذا الموضوع الصفحات ١٩٤ ـ ٢٠٢ من هذا الكتاب .

المصـادر[1]

١ - إبن أبي داود ، عبد الله بن سليمان (+ ٣١٦ هـ) ، المصاحف ، نشر ليدن عام ١٩٣٧ م .

ابن الجزري ، محمد بن محمد (+ ٨٣٣ هـ) ، النشر في القراءات العشر ، دمشق ، ١٩٤٥ هـ .

٣ - إبن جنِّي ، عثمـان (+ ٣٩٢ هـ) ، الخصائص ، تحقيق محمـد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى ، ط ٢ ، لا . ت .

٤ - إبن خلدون ، عبد الرحمٰن بن محمد (+ ٨٥٢ هـ) ، الإصابـة في تمييز الصحابة ، القاهرة ، ط ١٣٥٨ هـ .

٥ - إبن خلدون ، عبد الرحمٰن بن محمد (+ ٨٠٨ هـ) ، المقدِّمة ، بيروت دار القلم ط ١٩٧٨ م .

٦ - إبن خَلِّكان ، أحمد بن محمد (+ ٦٦١ هـ) ، وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، مصر ، ط ١٣١٠ هـ .

٧ - إبن سلاَّم الجمحي ، محمد (+ ٢٣٠ هـ) ، الطبقات الكبير ، بيروت ، دار صادر ، ودار بيروت ، ط ١٩٥٧ م .

٨ ـ إبن سلاَّم الجمحي ، محمد (+ ٢٣٢ هـ) ، طبقات الشعراء ، مصر ، دار المعارف ، ط ١٩٢٠ م .

٩ ـ إبن عساكر ، علي بن الحسن (+ ٥٧١ هـ) ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، لعبد القادر بدران ، دمشق المكتبة العربية ، ١٣٤٩ ـ ١٣٥١ هـ .

١٠ ـ إبن فارس ، أحمد بن فارس (+ ٣٩٥ هـ) ، الصاحبي في فقه اللغة ، القاهرة ، المكتبة السلفية ط ١٣٢٨ هـ .

١١ ـ إبن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (+ ٢٧٦ هـ) ، الشعر والشعراء ، بيروت دار الثقافة ط ١٩٦٤ م .

١٢ ـ إبن منظور ، محمد بن مكرم (+ ٧١١ هـ) ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأخيرة ، ١٥ مجلداً ، لا تاريخ نشر .

١٣ ـ إبن النديم ، محمد بن إسحٰق (+ ٣٨٥ هـ) ، الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ١٩٧٨ م .

١٤ ـ إبن هشام ، عبد الملك (+ ٢١٣ هـ) ، السيرة النبوية ، بيروت ، دار الجيل ، ط ١٩٧٥ م .

١٥ ـ إبن هشام ، عبد الله بن يوسف (+ ٩٦١ هـ) ، مغني اللبيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ١٩٥٩ م .

١٦ ـ إبن يعيش ، موفق الدين بن علي (+ ٦٤٣ هـ) ، شرح المفصَّل للزمخشري ، القاهرة ، المطبعة المنيرية لا . ت .

١٧ ـ أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة عبد الرحمٰن بدري ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٩٥٣ م .

١٨ ـ الأستراباذي ، محمد بن الحسن (+ ٦٨٦ هـ) ، شرح الكافية لابن الحاجب بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

١٩ ـ الأستراباذي ، محمد بن الحسن (+ ٦٨٦ هـ) ، شرح الشافية لابن الحاجب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

٢٠ ـ الأشموني ، علي بن محمد (+ نحو ٩٠٠ هـ) ، منهج السالك إلى ألفية

ابن مالك ، حقّقه محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٥٥ م .

٢١ ـ الأصبهاني ، أبو الفرج ، علي بن الحسين (+ ٣٥٦ هـ) ، الأغاني ، بيروت ، دار جمّال ، وهي مصورة عن طبعة دار الكتب لا . ت .

٢٢ ـ الأنباري ، أبو البركات ، عبد الرحمٰن بن محمد (+ ٥٧٧ هـ) ، نزهة الالبّاء في طبقات الادباء ، تحقيق إبراهيم السامرّائي ، بغداد ، مكتبة الأندلس ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م .

٢٣ ـ الأنباري ، أبو البركات ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية ط ٣ ، ١٩٥٥ م .

٢٤ ـ البغدادي ، عبد القادر بن عمر (+ ١٠٩٣ هـ) ، خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ ـ ١٩٨١ م .

٢٥ ـ التوحيدي أبو حيان ، علي بن محمد (+ ٤٠٠ هـ) ، ومسكويه أحمد بن محمد (+ ٤٢١ هـ) ، الهوامل ، والشوامل ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ١٩٥١ م .

٢٦ ـ ثعلب ، أحمد بن يحيى ، (+ ٢٩١ هـ) ، مجالس ثعلب تحقيق عبد السلام هارون ، مصر ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٤٨ م .

٢٧ ـ الجاحظ ، أبو عطمان ، (+ ٢٥٥ هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط ١٩٦٨ م .

٢٨ ـ الجرجاني ، علي بن عبد العزيز (+ ٣٩٢ هـ) ، الوساطة بين المتبني ، وخصومه تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ٣ ، ١٩٥١ م .

٢٩ ـ الجوهري ، عبد الله بن سليمان ، (+ ٨٨٣ هـ) ، المواهب السنية في شرح الفرائد البهية ، تحقيق علي مالكي ، القاهرة ، المكتبة التجارية ١٩٣٦ م .

٣٠ ـ الحُلّي ، الحسن بن يوسف (+ ٧٢٦ هـ) ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد لمحمد بن الحسن الطوسي (+ ٦٧٢ هـ) ، بيروت ، دار الأعلمي ، ط ١٩٧٩ م .

٣١ ـ الخوئي ، أبو القاسم ، المسائل المنتخبة ، بيروت ، دار الغدير ، ط ١٠ ، ١٩٧٩ م .

٣٢ ـ الخوئي ، أبو القاسم ، منهاج الصالحين ، بيروت ، دار الغدير ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م .

٣٣ ـ الخوارزمي ، محمد بن أحمد (+ ٣٨٧ هـ) ، مفاتيح العلوم ، مصر ، المطبعة النيرية ، ط ٢ ١٣٤٢ هـ .

٣٤ ـ الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (+ ٣٧٩ هـ) ، طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل ، إبراهيم ، ط ١ ، ١٩٥٤ م .

٣٥ ـ الزجَّاجي ، أبو القاسم ، عبد الرحمٰن بن إسحٰق (+ ٣٣٧ هـ) ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ١٩٥٩ م .

٣٦ ـ الزركشي ، محمد بن بهادن (+ ٧٩٤ هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١٩٥٧ م .

٣٧ ـ الزمخشري ، محمد بن عمرو (+ ٥٣٨ هـ) ، أساس البلاغة ، بيروت ، دار المعرفة ط ١٩٧٩ م .

٣٨ ـ سيبويه ، عمر بن عثمان (+ ١٨٠ هـ) ، الكتاب ، القاهرة ، بولاق ، ط ١٣١٦ ـ ١٣١٧ هـ .

٣٩ ـ السيرافي ، الحسن بن عبد الله (+ ٣٦٨ هـ) ، أخبار النحويين البصريين ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ط ١٩٣٦ م .

٤٠ ـ السيوطي ، عبد الرحمٰن بن أبي بكر (+ ٩١١ هـ) ، بغية الوعاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، مطبعة الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٥ م .

٤١ ـ السيوطي ، عبد الرحمٰن بن أبي بكر (+ ٩١١ هـ) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، مصر ، دار إحياء الكتب العربية ط ٣ .

٤٢ ـ السيوطي ، عبد الرحمٰن بن أبي بكر (+ ٩١١ هـ) ، همع الهوامع في جمع الجوامع تحقيق محمد بدر العساني ، القاهرة ، طبعة الخانجي ، ١٣٢٧ هـ .

٤٣ ـ السيوطي ، عبد الرحمٰن بن أبي بكر (+ ٩١١ هـ) ، الأشباه والنظائر في النحو ، حيدر أباد ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، ط ٢ ، ١٣٥٩ هـ .

٤٤ ـ السيوطي ، عبد الرحمٰن بن أبي بكر (+ ٩١١ هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ، القاهرة ، مطبعة حجازي ، ط ٣ ، ١٩٤١ م .

٤٥ ـ الشريشي ، أحمد بن عبد المؤمن (+ ٦١٩ هـ) ، شرح مقامات الحريري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .

٤٦ ـ الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (+ ٥٤٨ هـ) ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيِّد كيلاني ، بيروت ، دار المعرفة ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

٤٧ ـ الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، بيروت ، دار الأعلمي ، ط ٣ ، ١٩٧٣ م .

٤٨ ـ طرفة بن العبد (+ ٦ ق. هـ ، ٥٦٤ م) ، الديوان ، بيروت ، دار صادر ، ط ١٩٦١ م .

٤٩ ـ عبد الواحد بن علي (+ ٣٥١ هـ) ، مراتب النحويين ، تحقيق تحمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، ط ١٩٥٥ م .

٥٠ ـ الفاكهي ، عبد الله بن أحمد (+ ٩٧٢ هـ) ، الحدود النحوية ، لا معلومات عن النشر أبداً .

٥١ ـ الفرَّاء ، يحيى بن زياد (+ ٢١٧ هـ) ، معاني القرآن ، تحقيق أحمد نجاتي وغيره ، دار الكتب المصرية ، ط ١٩٥٥ م .

٥٢ ـ الفيروزأبادي (٨١٧٠ هـ) ، القاموس المحيط ، بيروت ، مكتبة التربية ، ط ١٩٥٢ م .

٥٣ ـ القالي ، إسماعيل بن القاسم (+ ٨١٧ هـ) ، الأمالي ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط ٣ ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ م .

٥٤ ـ القرآن الكريم .

٥٥ ـ القفطي ، علي بن يوسف (+ ٦٤٦ هـ) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١٩٥٠ م .

٥٦ ـ المظفر ، محمد رضا ، المنطق ، النجف ، مطبعة النعمان ، ط ٣ ، ١٩٦٨ م .

٥٧ ـ المظفر ، محمد رضا ، أصول الفقه ، النجف الأشرف ، مطبعة النعمان ، ط ٣ ، ١٩٧١ م .

٥٨ ـ ياقوت الحموي (+ ٦٢٦ هـ) ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، مصر ، تحقيق الدكتور مرجليوت ، ط ٢ ، ١٩٢٣ ـ ١٩٢٦ م .

المراجع[1]

١ ـ أبو المكارم ، علي ، الظواهر اللغوية في التراث النحوي ، القاهرة ، الحديثة للطباعة ، ط ١ ، ١٩٦٨ م .

٢ ـ أبو المكارم ، علي ، أصول التفكير النحوي ، الجامعة الليبية ، كلية التربية ، ط ١٩٧٣ م .

٣ ـ الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دمشق ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٦٠ م .

٤ ـ الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دمشق ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٦٠ م .

٥ ـ أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ١٠ ، ١٩٦٩ م .

٦ ـ أمين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط ١٠ ، لا ـ ت .

٧ ـ أنيس إبراهيم ، من أسرار اللغة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ١٩٥١ م .

٨ ـ أنيس ، إبراهيم ، اللهجات العربية ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر العربي ، ط ١٩٤٧ م .

---

(١) حسب الترتيب الألفبائي .

٩ ـ البرقوقي ، عبد الرحمٰن ، شرح ديوان المتنبي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، لا . ت .

١٠ ـ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، تعريب عبد الحليم النجار ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، ط ١٩٥٩ م .

١١ ـ بشر ، محمد كمال ، قضايا لغوية ، القاهرة ، دار الطباعة القومية ، ط ١٩٦٢ م .

١٢ ـ بلاشير ، رجيس ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة إبراهيم الكيلاني ، منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٩ م .

١٣ ـ بيضون ، وزكّار ، تاريخ العرب السياسي ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٧٤ م .

١٤ ـ ترزي ، فؤاد ، في أصول اللغة والنحو ، بيروت ، مطبعة دار الكتب ، ط ١٩٦٩ م .

١٥ ـ حتّي ، فيليب ، تاريخ العرب المطوّل ، بيروت ، دار غندور للطباعة والنشر ، ط ١٩٧٤ م .

١٦ ـ حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، مصر ، دار المعارف ، ط ١٩٦٦ م .

١٧ ـ حسن ، عبد الحميد ، القواعد النحوية مادتها وطريقتها ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو أميركية ، ط ١٩٥٢ م .

١٨ ـ حسّان ، تمّام ، مناهج البحث في اللغة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط ١٩٥٥ م .

١٩ ـ حسّان ، تمّام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، القاهرة مكتبة الأنجلو مصرية ، ط ١٩٥٨ م .

٢٠ ـ الحسني ، عبد الصاحب ، قصص الأنبياء ، بيروت ، دار الأعلمي ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

٢١ ـ حمّودة ، عبد الوهاب ، اللهجات والقراءات ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٤٨ م .

٢٢ ـ داود ، أقليمبس ، اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، بيروت ، المطبعة الكاثولكية ، ط ١٨٩٧ م .

٢٣ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، تعريب الفندي ، الشنتناوي ، خورشيد ، يونس .

٢٤ ـ دمشقية ، عفيف ، تجديد النحو العربي ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ط ١ ، ١٩٧٦ م .

٢٥ ـ الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب ، القاهرة ، مطبعة الأخبار ، ط ١٩١١ م .

٢٦ ـ الراوي طه ، نظرة في النحو ، مقال وارد في مجلة المجمع اللغوي العربي ، جـ ١٤ ص .

٢٧ ـ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٧٩ م .

٢٨ ـ الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربي ، بيروت ، دار الثقافة . لا . ت .

٢٩ ـ زيدان ، جرجي (+ ١٩١٤ م) ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مصر ، ط ١٩١٣ م ـ ١٩١٤ م .

٣٠ ـ السامرائي ، إبراهيم ، النحو العربي ، نقد وبناء ، بيروت ، دار الصادق ، ط ١٩٦٨ م .

٣١ ـ السامرائي ، إبراهيم ، التطوُّر اللغوي التاريخي ، جامعة الدول العربية ، ط ١٩٦٦ م .

٣٢ ـ السامرائي ، عامر رشيد ، آراء في العربية ، بغداد ، مكتبة النهضة ، ط ١٩٦٢ م .

٣٣ ـ الصالح ، صبحي ، مباحث في علوم القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، ١٩٧٤ م .

٣٤ ـ الصالح ، صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٧ ، ١٩٧٨ م .

٣٥ ـ الصالح ، صبحي ، علوم الحديث ومصطلحاته ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، ١٩٧٥ م .

٣٦ ـ الضعيف ، رشيد ، محاضرات في الألسنية ، بيروت كلية الآداب والعلوم الإنسانية (أمالي عام ١٩٧٧ م) .

٣٧ ـ ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، مصر ، دار المعارف ، وهو في أربعة أجزاء على الشكل التالي :

٣٨ ـ ضيف ، شوقي ، العصر الجاهلي ط ٦ ، ١٩٧٤ م .

٣٩ ـ ضيف ، شوقي ، العصر الإسلامي ط ٥ ، ١٩٧٢ م .

٤٠ ـ ضيف ، شوقي ، العصر العباسي الأول ط ٦ ، ١٩٧٦ م .

٤١ ـ ضيف ، شوقي ، العصر العباسي الثاني ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

٤٢ ـ ضيف ، شوقي ، المدارس النحوية ، مصر ، دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٧٩ م .

٤٣ ـ طحّان ، ريمون ، الألسنية العربية ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٩٧٢ م .

٤٤ ـ طلس ، محمد أسعد ، وضع النحو . وهو مقال وارد في مجلّة المجمع العلمي العربي مجلد ١٤ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٦ .

٤٥ ـ الطنطاوي ، محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، القاهرة مطبعة السعادة .

٤٦ ـ علامة ، طلال ، النحو والطبقة ، بيروت دار الفكر اللبناني ، ط ١٩٩٢ م .

٤٧ ـ علامة طلال نشأة النحو في مدرستي البصرة والكوفة بيروت دار الفكر اللبناني ط ١٩٩٢ م .

٤٧ ـ علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، مطبعة المجمع العلمي ، العراقي ، ط ١٩٥٧ م .

٤٨ ـ العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، مصر ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٦٥ م .

٤٩ ـ عون ، حسن ، اللغة والنحو ، الإسكندرية ، ط ١ ، ١٩٥٢ م .

٥٠ ـ عون ، حسن ، تطوُّر الدرس النحوي ، معهد الدراسات العربية ، ط ١٩٧٠ م .

٥١ ـ فريحة ، أنيس ، نظريات في اللغة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١٩٧٣ م .

٥٢ ـ فون ، كريمر ، الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ، تعريب بدر ، نشر دار الفكر العربي . لا . ت .

٥٣ ـ فليش مقدمة لدراسة اللغات السامية ، باريس ، ١٩٤٧ م .

٥٤ ـ ڤندريس ، اللغة ، ترجمة الدواخلي ، والقصاص . القاهرة ، مكتبة الأنجلو مصرية ط ١٩٥٠ م .

٥٥ ـ كريديَّة ، هيام ، محاضرات في الألسنية ، (علم الصوت) بيروت الجامعة اللبنانية كلية الآداب ، (أمالي عام ١٩٧٧ م) .

٥٦ ـ الكرملي ، إنستاس ماري ، نشوء العربية ونموها واكتهالها ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، ط ١٩٣٨ م .

٥٧ ـ الكنغراوي ، صدر الدين ، الموفي في النحو الكوفي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، لا . ت .

٥٨ ـ لواساني ، أحمد ، مدخل إلى الفارسية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م .

٥٩ ـ المبارك ، مازن ، النحو العربي ، أو العلَّة النحوية ، ونشأتها ، وتطورها ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١٩٧١ م .

٦٠ ـ محمَّدي ، محمد ، الأدب الفارسي ، بيروت الجامعة اللبنانية ، كلية الآداب ، ط ١٩٦٧ م .

٦١ ـ مخزومي ، مهدي ، في النحو العربي ، صيداء ، المكتبة العصرية ، ط ١ ، ١٩٦٤ م .

٦٢ ـ مصطفى ، إبراهيم ، إحياء النحو ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١٩٥٩ م .

٦٣ ـ نظيف ، مصطفى ، نشأة النحو العربي ، مقال في مجلة المجمع اللغوي جـ ٧ ص ٢٤٢ .

٦٤ ـ وافي ، علي عبد الواحد ، علم اللغة ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ط ٤ ، ١٩٥٧ م .

٦٥ ـ ولفنستون ، إسرائيل أبو ذؤيب ، تـاريخ اللغـات الساميـة ، القاهـرة ، مطبعة الاعتماد ، ط ١ ، ١٩٢٩ م .

المراجع الأجنبية

1 - Encyclopédie de l'Islam nouvelle édition. 1978.

2 - Fleisch; H Introduction à l'étude des langues sémitiques. Paris. 1947.

3 - Blacher, Histoire de la littérature arabe. des origines à la fin du X V5c Siècle J-C. Paris 1952.

المقالات الأجنبية

1 - Fleisch; H. Arabe classique. et Arabe dialectal; travoux et jouts 12 (1964).P.P. 33-62.

2 - Fleisch. observation sur les études philogiques arabe classique; Orient (1963).P.P. 134-144.

3 - Brockelmann; C. problème de la Racine; 5cong, int, ling 1939. Réponses ou questionnaire P.P. 15-16.

4 - Cohen m D. Koine; langues communes et dialcectes arabes, Arabica 9 (1963). P.P 119-114.

فهرس الأعلام

على حروف المعجم

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

فهرس المدن والحواضر والقرى والأماكن

فهرس الشعوب والقبائل والفئات واللهجات

فهرس الأبيات الشعرية[1]

اسم الشاعر	البيت		رقم الصفحة
ابن دريد	أفٌّ عـلى الـنحـو وأربـابـه	قـد صـار في أربـابـه نفـطويـه	٢٤٢
	أحـرقـه الله بـنصـف اسمـه	وصيَّـر البـاقي صـراخـاً عليـه	
نقلهما ابن	بـطل الـنحـو جـميعـاً كـلُّه	غيـر ما أحـدث عيسى بن عمـر	٧٣
النديم	ذاك إكـمـال وهـذا جـامـع	فهمـا للنـاس شمس وقـمـر	
أفنون التغلبي	أم كـيف تـنفـع الـعلوق بـه	رئمـان أنفٍ إذا مـا ضنَّ بـاللبن	١٩٨،٩٢
امرؤ القيس	فـاليـوم أشـرب غيـر مستحقب	إثـمـاً مـن الله ولا واغـلِ	١٧٠
امرؤ القيس	لهـا متنتـان خـظاتـا كـمـا	أكبَّ على سـاعـديـه النمـرُ	٢١٤
حسَّان بن ثابت	أزحنَّـة عني تـطردين تبـددت	بلحمـك وطير طـرن كل مـطير	٢١٢
	قفي لا تـربي ذلة ليس بعدهـا	جبـور وزلَّات النسـاء كثيـر	
	فـإني وإياه كـرجلي نعـامـة	على كـل حـال من غني وفقيـر	
العرجي	أضـاعـوني وأيَّ فتى أضـاعـوا	ليـوم كـريهـة وسَـداد ثغـر	١٥٠
الفرزدق	لقد كان في معدان والفيل زاجر	لعنبسـة الراوي علي القصـائدا	١٣١
الفرزدق	على عمـائمنـا يلقى وأرحلنـا	على زواحف تـزجي مخهاريـر	١٣٤
الفرزدق	وعضُّ زمان يا بن مروان لم يدع	من المال إلا مُسحتاً أو مجـرف	١٣٤
الكسائي	إنـمـا الـنحـو قيـاس يـتبـع	وبـه فـي كـل أمـر يُنـتـفـع	٦١
المبرد	ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا	بكـاها فقلت الفضـل للمتقدم	٥٩
مجهول	سـأتـرك منـزلي لبني تميم	وألحق بـالحجـاز فـأستريحـا	١٥٣
مجهول	مـا تنقم الحـرب العـوان مني	بـازل عـامين حـديث سنِّي	٢١٤
مجهول	أظـلوم إن مصـابكـم رجـلاً	أهـدى السـلام تحيـة ظلم	١٦٢

(١) حسب الترتيب الألفبائي لإسم الشاعر .

فهرس الأزمنة والمواقيت والتواريخ

فهرس الآيات الكريمة[1]

(١) حسب الترتيب الألفبائي بالنسبة «للسور» .

فهرس الموضوعات

الطبقة الثالثة

الطبقة الرابعة

الطبقة الخامسة

الطبقة السادسة

الطبقة السابعة

الطبقة الثامنة

الطبقة التاسعة

الطبقة العاشرة

الفصل الثالث: التطور مع مدرسة الكوفة

الطبقة الأولى

الطبقة الثانية

الطبقة الثالثة

الطبقة الرابعة

الطبقة الخامسة

الطبقة السادسة



مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٤٧ - ٨٣٧٥٤٩ - ٤٦٠٧٤٣